د. محمد عبدالمعطى الحتــو

قضية النفس والروح

الجزء الثالث

مولد آدم

Adam;s Birlhday

قضية النفس والروح

- الجزء الأول: الإجهاض والاعتقاد - إصدار مدبولى الصغير
- الجزء الثانى: زواج ملـك اليمـين - إصدار مدبولى الصغير
- الجزء الثالث: مولد آدم

إهــداء..

إلـى أبينا آدم فـى يوم مـولده، شاكـرين الله الـذى اصطفاه من كـل البشـر لينجب وحده كل بـنيه، بنى الإنســان، بنـى آدم، ملايين النســاء والرجال، الذين مــاتوا والـذين يعيشــون والـذين لـم يولـدوا بعـد، والـد كـل الأنبياء والرسـل وشــياطين الأنس، الأولياء والأشـقياء، الجانين والعـقلاء، المؤمـنيـن والملـحدين، الأتقياء والكـفرة الفـجرة، عـبدة الـله وعـبدة الطـاغوت والشــمس والقـمر والنـار والأوثان، والـد كـل الجبابرة والمسـتـضعـفيـن، العـبـيد والأحـرار، العــاهرات والطـاهرات، كـل من علـى ظهر الأرض أو فــى بطـنها، كـل الشــعــوب والأجناس والأشـكال والألوان والأعــراق والأديــان، كـل هـؤلاء مـن ظـهــر رجـل واحـد، بصمته الحية يحملها الحيوان المنوى إلى كـل إنسـان أينما وُلد ووقتما وُجد مـن يوم أن نفخ الله فيه من روحه إلـى يوم يُنفخ فـى الصـور.

مقدمة..

الله وحده هو الذى ﴿لم يلد ولم يولد﴾ أما آدم فقد وُلد وولدْ. وهذا لا يتعارض أبداً مع جلال النص القرآنى الذى قرر أن آدم ونحن جميعاً خلقنا من تراب. أطاع العلماء الأمر الإلهى «سيروا فى الأرض وانظروا كيف بدأ الخلق». فعرفوا كيف تحول التراب إلى إنسان بفضل من الله.

كل شعب يؤرخ زمانه:

الفرس يؤرخون من بدأ جلوس «يزدجرشاه» على العرش، واليونان من نشأة الألعاب الأوليمبية، واليهود براس السنة العبرية والمسيحيون براس السنة الميلادية والأقباط براس السنة القبطية والمسلمون براس السنة الهجرية. ويحتفل أقباط مصر بعيد النيروز فى غرة شهر توت، فهو رأس الأعياد وتاج الإحتفالات المصرية، وكان أول من احتفل بهذا العيد هو الملك مينا الذى جلس على عرش مصر قبل مجئ السيد المسيح بأربعة آلاف عام. لماذا؟ لأنه عيد ظهور نجم الشعرى اليمانية الذى ينزل إشعاعه أفقيا على كل هرم من أهرامات مصر وإحتفظ المصريون بهذا العيد واحتفلوا به إحتفالات عظيمة شاركهم فيه الفاتحون من فرس ويونان وروم وعرب وظل مُكرّما حتى بعد الفتح الإسلامى بإعتباره عيدا وطنا جليل القدر ثم نسيته الدولة واسقطته وأبقت على عيد شم النسيم. ويحتفل المسلمون بالعيد الصغير فرحا بصيام رمضان وبالعيد الكبير إحياء لذكرى إفتداء إسماعيل بكبش عظيم وإحتفاءً بوالده إبراهيم، أبُ كل الأنبياء موسى وعيس ومحمد! فماذا لو إحتفل العالم كله بالعيد الأكبر؟ يوم ميلاد آدم أبُ الإنسانية جمعاء. يوم العبور العظيم من البشرية إلى الإنسانية. يوم جعل الله فى الأرض خليفة.

فما الفرق بين البشر والإنسان؟

إخترت لكم كتابين، لعالم وفقيه. الأول كتاب «إعجاز آيات القرآن فى بيان خلق الإنسان» لأستاذنا الدكتور محمد فياض والثانى كتاب «أبى آدم» لأستاذهم الدكتور عبدالصبور شاهين. الأول استدرج الأستاذ الدكتور رئيس قسم الفقه المقارن إلى مطب يصعب عليه الخروج منه. والثانى وقع فى شباك نسجها بنفسه لنفسه ليصطاد بها غيره فاوقع جامعات وجوامع الأزهر فى مصر، والزيتونه فى تونس، والقرويين فى المغرب وأم القرى فى السعودية، فى مطب يستحيل عليهم الخروج منه.

قدم الأستاذ الدكتور رئيس قسم الفقه لكتاب الدكتور فياض فقال:

«وقد آختار عالمنا الكبير الأستاذ الدكتور محمد فياض مجالا تخصص فيه، وكان أحد علمائه المبرزين، فبذل جهده العلمى فى إخراج الكتاب الذى يلقى فيه الأضواء العلمية التى تكشف وتبين الإعجاز القرآنى فى بيان خلق الإنسان، وعرض ذلك بأسلوب ينم عن إيمان كاتبه العميق بالخالق تبارك وتعالى، وطلاقة قدرته، وكمال إبداعه. ندعو الله عز وجل أن يجزيه خير الجزاء على الإسهام العلمى، وأن يجعله فى ميزان حسناته، إنه سميع مجيب الدعاء.

والآن هذا هو ما يقوله أستاذ الطب ويزكيه أستاذ الفقه عن قصة الخلق، اقرأ لهما وتألم معى.

بداية خلق الكون بداية مريبة

قصة الخلق فى الأحاديث النبوية!

«عن أبى هريرة قال، أخذ رسول اللهﷺ بيدى فقال: «خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، خلق الكروم يوم الثلاثاء، وخلق النون يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد عصر الجمعة، فى آخر الخلق، وفى آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل». (شرح صحيح مسلم)

«نحن هنا أمام نص واضح يتحدث عن مراحل بداية الخلق بتفصيل تام، عبر ستة أيام متساويات، أوستة أزمنة، على إعتبار أن يوما عند ربك يختلف كليَّة عن الأيام المعلومة لنا

فى هذه الحياة الدنيا ففى يوم السبت أى المدة الأولى، فى الطور الأول، خلق الله التربة، أى الأرض الخام الأولى. وفى يوم الأحد أى فى الطور الثانى، خلق الله تعالى الجبال. وفى يوم الاثنين أى فى الطور الثالث، خلق الله تعالى الشجر أى كل ما ينبت على الأرض من شجر. وفى يوم الثلاثاء، أى فى الطور الرابع، خلق الله تعالى المكروه به المعاش ويصلح به التدبير، كالحديد وغيره من جواهر الأرض. وفى يوم الأربعاء، أى فى الطور الخامس، خلق الله تعالى (النون) أى الحيتان، أى الأسماك والحيوانات البحرية. وفى يوم الخميس، أى الطور السادس، خلق الله الدواب، وهى كل ما يدب على الأرض من طير وحيوان. وهنا أكتمل خلق الأرض، بجبالها، وشجرها، ومعادنها، وأسماكها، وطيرها، وحيوانها، وهكذا بدأ الخلق. وفى يوم الجمعة أى الطور السابع، فى آخر الخلق، وفى آخر ساعة من ساعات الجمعة ، خلق الله تعالى آدم عليه السلام».

تحديد الساعة

● «عن هذا اليوم قال سيد الخلق - ﷺ - عن أبى هريرة: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه دخل الجنه، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة». (مسلم)

نفى العدم

«وكمثال لدقة العنوان الذى أخترته لهذا الكتاب، فإننى أتوقف بقارئى عند كلمة الخلق.فالخلق فى اللغة، هو الإيجاد من العدم. وقد أشار سبحانه للخلق ببيانه فى القرآن الكريم أن الإنسان أتى عليه فترة زمنية لم يكن فيها شيئا مذكورا: ﴿هلى أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا﴾ الإنسان «١». هنا أرجو - أيها القارئ العزيز - أن تلاحظ جمال التعبير الإلهى ودقته،فهو تعالى لم يقل «لم يكن شيئا» بل قال ﴿لم يكن شيئا مذكورا﴾ أى أنه قد كان شيئا ولكن لا يكاد يذكر فى قلة الإهتمام والإحتفال به ولعمرى أنها لقمة البلاغة فى البيان».

ملحوظة: الشىء غير المذكور ليس هو قليل الأهمية. بل هو اجل من ان نذكره او نتذكره. هو النور مصدر الكائنات الحية والجامدة.

إقرار ذرية آدم بربوبية الله

ملحوظـــة: الخلط بين النفس والروح

قال تعالى: ﴿وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم؟ قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين. أوتقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فتهلكنا بما فعل المبطلون﴾ الأعراف ١٧٢، ١٧٣, هذا مشهد عظيم أراد الله تعالى فيه أن يبين لبنى آدم وجميع ذريتهم الغاية التى من أجلها خلقهم أجمعين. فاشهد الله «أرواح» بنى آدم على أنفسهم، أشهدهم أنه ربهم لا شريك له، وأنه خالقهم، لئلا يتعللوا يوم القيامة بأنهم كانوا لا يعلمون هذه الحقيقة، أوأنهم كانوا مقلدين لآبائهم فى الغفلة عنها فلا يحاسبون عليها. وكان هذا هو الميثاق الأول الذى أخذه الله على جميع الناس فى «عالم الأرواح» ،قبل هذه الحياة الدنيا. تسليم أستاذ قدير بما يتعارض مع العقل والحكمة ونص الآية الكريمة.

ملحوظـــة: قوله أشهد أرواحهم على أنفسهم يخالف نص الآية الكريمة

الخلط بين الروايات والإسرائيليات

كيف خلقت حواء من آدم؟

السؤال جوابه واضح. فالحقائق تقول إن آدم خلق من تراب، وأن حواء خلقت من آدم الذى خلق وحده أولا، من التراب، فإن خلق حواء بعده، قد لا يستدعى منه تعالى أن يخلقها من تراب أيضا، مادام الصنو والمثل موجودين فى آدم. وقد أرادت حكمته أن يخلق حواء من أحد أجزاء آدم، لكى يأنس إليها، ويسكن إليها، لا يفزع منها ولا ينفر. ويعطينا الحديث النبوى الشريف دليلا آخر. فقد جاء فى المروى من الحديث الشريف بالبخارى:

«استوصوا بالنساء خيرا فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج..» والضلع المقصود فى حديث النبى ﷺ هو ضلع آدم. وهكذا بيَّن العلماء. وجاء فى الجامع لأحكام القرآن للقرطبى أن آدم بقى وحيدا فى الجنة بعض الوقت ولم يكن معه من يستأنس به، فألقى الله تعالى عليه النوم وأخذ ضلعا من أضلاعه اليسرى ووضع مكانه لحما، وخلق منه حواء، فلما إستيقظ وجد إمرأة عند رأسه فسألها: من أنت؟ قالت: إمرأة، قال: ولما خلقت؟ قالت لتسكن إلى.

وإلى مثل ذلك ذهبت التوراه إذا جاء فى الإصحاح (٢٠. ٢١. ٢٢) ما ترجمته: «القى الله على آدم نوما عميقا ثم أخذ منه أحد أضلاعه. ومن الضلع الذى أخذه الله من الرجل خلق المرأة».

ملحوظة: إعترف أستاذ الطب بباطل ما يتصوره المفسرون. لم ينكر أو يستنكر أو يصمت.

مم خلق آدم؟

آدم - كما أسلفنا - اسم مشتق من أديم الأرض. فسمى آدم كما يقول بعض العلماء بما خلق منه. وشاء الله أن يخلق جسم آدم طورا بعد طور، رغم أنه سبحانه قادرٌ على خَلقه فى التو واللحظة، فهو القائل جل جلاله ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ القمر ٥٠

فكان خلق آدم على مراحل وأطوار.. فى البداية كان التراب والماء، فكان الطين، كما قال تعالى ﴿الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ السجدة ٧. وترك الطين أجلا معلوما حتى صار لازبا أى شديد التماسك فيقول تعالى ﴿إنا خلقناهم من طين لأزب﴾ الصفات ١١. ثم ترك جسد آدم زمنا حتى صار صلصالا من حمأ مسنون. والحمأ هو الطين الذى تغير لونه وأسود، والمسنون: المصبوب ليبيس. وهو ما يقول عنه سبحانه ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾ الرحمن ١٤. والمعروف أن لفظ الصلصال يشير إلى أجزاء التربة الخصبة الغنية بالعناصر الستة عشر التى يتكرر وجودها فى التربة الزراعية، وفى جميع النباتات والحيوانات. ووبعد تمام تسوية جسد آدم، نفخ الله فيه الروح فصار بشرا سويا. فيقول جل جلاله، ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾ الحجر ٢٩. ومفهوم هنا أنه سجود تكريم لا سجود عبادة.

ملحوظة:أستاذ علينا تابع لهم كنا لا نجادله وأصبح لا يجادلهم.

﴿هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا﴾ غافر٦٧

﴿الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين. ثم جعل نسلة من سلاسلة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون﴾ السجدة ٩.٧

﴿أكفرت بالذى خلقك من تراب من نطفة ثم سواك رجلا﴾ الكهف ٣٧

﴿يأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا﴾ الحج ٥

ملحوظــــة: الخلق من تراب ليس قاصراً على آدم وحده: كل الناس من تراب: ليس آدم وحده. خلقتك. خلقكم. خلقناكم.

أيـن خلـق آدم؟

يخبرنا الحديث النبوى الشريف أنه سبحانة وتعالى خلق آدم من تراب هذه الأرض وفيها. ولكن فى أى مكان فى هذا العالم؟، هنا تتراوح أقوال المفكرين وظنونهم، فمن قائل إنه خلق فى الهند، ومن قائل إنه خلق فى بلاد النهرين. ولكن الحقيقة المؤكدة هى أن أحدا من الناس لم يشهد خلق آدم، فكيف يتحدث البشر فيما لم يشاهدوه.

ولكن روى حديث نبوى يخبرنا أن الله تعالى خلق آدم على جبل عرفات. ففى الحديث الذى يرويه الإمام أحمد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم، بنعمان، يعنى عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قائلا: ألست بربكم قالوا بلى شهدنا، أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين».

ملحوظـة: لم يقل الله أبداً أنه أخذ شيئاً من ظهر آدم ولا من صلبه. راجع الآية.

جـــنـة آدم

ينتهى بنا الحديث النبوى الشريف إذا صح؟ إلى حقيقة ساطعة هى أن الجنة التى أسكنها الله آدم وزوجه، وأمر فيها الملائكة بالسجود لأبى البشر، والتى وسوس فيها إبليس، كانت حديقة فى الأرض لها أوصافها التى جاءت فى القصة. وهذا هو القول الذى ذهب اليه غالبية المفسرين، ثم إن من يدخل الجنة لا يخرج منها. إضافة إلى ذلك، فإن جنة الخلد لا يسمح الله بالدخول فيها إلا بعد حساب.

﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾ الإنسان ٢

﴿قتل الإنسان ما أكفر. من أى شئ خلقه. من نطفة خلقه فقدره﴾ عبس ١٧. ١٩

﴿أنه خلق الزوجين الذكر والأنثى. من نطفة إذا تمنى﴾ النجم ٤٥ـ٤٦

﴿يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث﴾ الزمر٦

أحاديث نبوية شريفة

١ ـ قال رسول الله ﷺ: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها، وخلق سمعها، وبصرها وجلدها، ولحمها وعظامها، ثم قال: يارب أذكر أم أنثى فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك». أخرجه مسلم، وأبو داود، والطبرانى، وجعفر الفريانى.

٢ ـ فيما رواه مسلم عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق الصدوق قال:« أن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أوسعيد» صحيح مسلم ج٤ ص ٢٠٣٦ـ ٢٦٤٣,

يا يهودى

٣ ـ وقد روى مسلم فى صحيحه جوابا للنبى ﷺ على يهودى سأله عن الولد، قوله:(ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة «أذكر» بإذن الله، وإذا علا منى المرأة منى الرجل «أنث»بإذن الله)

٤ ـ مر يهودى رسول الله ﷺ وهو يحدث أصحابه فقالت قريش: يا يهودى إن هذا يزعم أنه نبى، فقال لأسألنه عن شئ لا يعلمه إلا نبى، قال فجاء حتى جلس ثم قال: يا محمد مم خلق الإنسان؟ فقال رسول الله ﷺ: يا يهودى من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة». مسند أحمد

مواجهة

علم القرآن الكريم.. فى مواجهة جهل البشر.

منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، نص القرآن الكريم . بكلمات صريحة واضحة. على أن خلق البشر يتم على مراحل من خلال أطوار متتابعة متلاحقة. واستخدم القرآن فى

عرضة لمراحل الخلق مصطلحات علمية دقيقة، لم يقف العالم على عتبة المعرفة بها إلا منذ مائة عام أوأكثر قليلا.

أما القرآن الكريم فقد عرض لعملية الخلق من خلال أطوار ومراحل متتالية، منها السريع ومنها البطئ، منذ البداية حتى النهاية، (مثل: سلالة من ماء مهين نطفة - علقة- مضغة)، وبتسميات تنطوى على تحديد دقيق للخصائص والوظائف الأساسية مثل الرحم بأنه «قرار مكين» بل أن المصطلحات القرآنية تتحدث عن أحجام بالغة الدقة للجنين لا يمكن رؤيتها ولا قياسها إلا تحت الميكروسكوب فقط، فالنطفة يبلغ قطرها (٠,١ ملم) والعلقة يتراوح طولها بين (٠,٧ - ٣,٠ ملم)، والمضغة طولها (٣,٢- ١٣ ملم). أما اختيار حروف العطف فقط جاء متميزا للتدليل على توقيت حدوث المراحل والأطوار الرئيسية الأربعة، فجاء حرف (ثم) للإشارة إلى المرحلة الأساسية، وجاء (الفاء) للإشارة إلى المراحل الفرعية التى تحدث بتتابع سريع نسبيا.

﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾ يس ٧٧

﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا﴾ مريم٩

﴿هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ آل عمران ٦

﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا. أنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا﴾ الإنسان١-٢

﴿مالكم لا ترجون لله وقارًا وقد خلقكم أطوارا﴾ نوح ١٣-١٤

﴿ألم يك نطفة من منى يمنى. ثم من علقة فخلق فسوى فجعل منه زوجين الذكر والأنثى﴾ القيامة ٣٧-٣٩

﴿وخلقناكم أزواجا﴾ النساء ٨

﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة أسجدوا لآدم﴾ الأعراف ١١

﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا﴾ فاطر١١

﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ المؤمنون ١٢

﴿أفرأيتم ما تمنون. ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾ الواقعة ٥٨- ٥٩

من يقرأ القرآن الكريم يجد أن هناك وحدة متماسكة فى الحديث عن الخلق ومراحله وأطواره لا تتغير فيها المفاهيم ولا الألفاظ، مهما تكررت الإشارة إليها فى آيات الذكر الحكيم. فنحن إذن أمام حقيقة علمية صحيحة دقيقة، لا تختلف مصطلحاتها ولا تتعارض ألفاظها.. وحاشا لله، فكيف يحدث هذا التعارض والخلاف وهناك رب واحد عليم هو قائلها.

ثالثا مرحلة التخليق

وهى مرحلة المتغيرات المتلاحقة، من النطفة إلى العلقة، إلى المضغة إلى العظام، إلى كسوتها بالحم.

الطور الأول

تمهيد: لابد من إنه توجد نقطة معينة، عندها يبدأ الخلق.

وذلك هو ما يقدمه لنا رب العزة فى قرآنه الكريم، إذا يقول: ﴿فلينظر الإنسان مم خلق. خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب﴾ الطارق ٥ـ ٧

البداية.. الخلية هى البداية

إذا كانت الحياة تبدأ بطرق مختلفة للتكاثر، فإن الكائنات، آدمية أوحيوانة. تبدأ بخلية واحدة. وهى الخلية (البيضة المخصبة ـ الأمشاج) تحتوى بداخلها على جينات من الذكر والأنثى، وتؤشر إلى جميع الخصائص المكتسبة للجنين مستقبلا. وهذه الخصائص التى أكتسبت عبر بلايين السنين ألا ينجب الإنسان الآدمى إلا إنسانا آدميا وتجعل فى نفس الوقت الأختلاف والتباين أمرين قائمين، إلا فى حالة التوائم المتماثلة. وبذلك يختلف أى شخص عن الآخر إختلافا بينا، ويستمر هذا الاختلاف على مدى السنوات والقرون إلى أن تفنى الحياة.

ملحوظة: يفهم من كلام الأستاذ أن خلق آدم استغرق ملايين السنين. وهذه حقيقة هامة.

النطفة الأمشاج

يذكر القرآن الكريم هذه المرحلة فى قوله تعالى ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾ الإنسان ٢ ومعنى «نطفة أمشاج»، قطرة مختلطة من ماءين. وتأخذ البييضة

شكل القطرة، وهو ما يتفق مع المعنى الأول للفظ «نطفة»، تعرف علمياً عند بدء تكونها بـ «الزيجوت» ولنتوقف لغويا أمام هذا التعبير، لنجد كلمة «نطفة» هى أسم مفرد، بينما كلمة «أمشاج» هى صفة فى صيغة الجمع، فى حين أن المفروض أن تكون الصفة تابعة للموصوف فى الإفراد والتثنية والجمع. وكان هذا التعبير واضحا عند مفسرى القرآن الكريم الأوائل الذين قالوا إن النطفة مفردة لكنها فى معنى الجمع.

ملحوظـــة: قبل الهندسة الوراثية كان من المستحيل نقل وحدة الأمر الإلهي (الجين) الموجود داخل كل خلية حية من نوع إلى نوع آخر أو من جنس إلى جنس. أما الآن فقد أصبح ممكنا نقل الجين من أى كائن إلى أى كائن آخر بلا أى استثناء.

تعريف النشأة

كلمة «نشأة» مستقاة من فعل «نشأ» ومن معانيها: بدأ ... نما... ارتفع. كما ورد عن علماء التفسير فى هذه الآية المعنيان التاليان:

١ ـ تطور الجنين إلى مخلوق ناطق سميع بصير.

٢ ـ نفخ الروح فى الجنين.

ويلاحظ فى الآية ورود حرف العطف «ثم»، ليفيد أن مرحلة «النشأة» تأتى بعد مرحلة «الكساء باللحم» على التراخى فى الزمن بصورة تدريجية.

هذا المعنى الذى يدل عليه حرف «ثم» نجده واضحا فى تاريخ طور النشأة، حيث تبدأ «المرحلة الجنينية» فى الأسبوع التاسع، ويظهر نمو بعض الأعضاء فى الأسبوع الحادى عشر، وتستمر مرحلة النشأة حتى نهاية الحمل، أى الأسبوع الثامن والثلاثين.

خصائص مرحلة النشأة

١ـ تطور الأعضاء والأجهزة:

تتميز مرحلة «الحميل» ببداية تكوين الأعضاء وظهورها فى حين تتسم مرحلة «الجنين» اللاحقة لها بتهيئة الأعضاء والأجهزة المختلفة للقيام بوظائفها.

وهذا هو المعنى الذى أشار إليه المفسرون (ويصبح الإنسان ناطقا سميعا بصيرا) والحد الفاصل بين مرحلتى «الحمل والجنن» هو نهاية مرحلة كساء العظام باللحم.

٢ـ نفـــخ الـروح:

لدينا فى هذه النقطة نصوص قرآنية وأحاديث نبوية تشير إلى أن الروح قد تنفخ فى مرحلة الجنين (١). ومعنى ذلك أن للحياة التى تكون قبل ذلك حياة من نوع آخر أطلق عليها علماء المسلمين «الحياة النباتية». ففى سورة «المؤمنون» يقول الحق تعالى فى قرآنه الكريم ﴿فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر﴾ المؤمنون ١٤

وفى صحيح مسلم يروى الإمام مسلم عن عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق الصدوق، قال (إن أحدكم يُجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات رزقه وأجله وعمله وشقى أوسعيد).

ويكاد جمهور العلماء والفقهاء يجمعون أن نفخ الروح يتم فى نهاية الأربعين الثالثة (حديث أبن مسعود، وحديث حذيفة) أى ١٢٠ يوما. ويذهب البعض إلى أن هذه الفترات بالذات، أوما يقرب منها (أربعة أشهر وعشرا) هى فترة العدة التى لابد أن تنقضى قبل أن تتزوج المرأة المطلقة أوالأرملة،حيث يعنى مرور هذه الفترة أنه ليس فى بطنها جنين قد دخلت فيه الروح.

وبعد ذلك لابد لنا من وقفة عند الروح وهى فى البدن، لنجد أن النصوص الشرعية تدل على أن الروح تغادر البدن وقت النوم وتعود اليه باليقظة.

ففى سورة الزمر يقول الحق تعالى فى قرآنه الكرم

﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخر إلى أجل مسمى إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ الزمر ٤٢

ملحوظـــة: لاحظ أن النص القرآنى يتكلم عن النفس والأستاذ يخلط النفس بالروح. وهذا خلط خطير يترتب عليه تفاسير تناقض الوحى والعقل والعلم.

أقل مدة للحمل

مدة الحمل العادية هى تسعة أشهر لكن الجنين بعد مرحلة النشأة يُصبح خلقاً آخر قادرا على الحياة أوالبقاء خارج الرحم عند تمام الشهر السادس من تخلقه.ويتفق مع معانى عدة آيات من القرآن الكريم هى: ﴿وحمله وفصاله ثلاثين شهرا﴾ الأحقاف ١٥، ﴿وفصاله فى عامين﴾ لقمان١٤، ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ البقرة ٢٣٣. وبالحساب الدقيق وفقا لهذه الآيات، وبما توصل إليه العلم نجد أن أدنى مدة للحمل هى ستة أشهر. وهذاهو ما أفتى به أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه. وأقره عليه الصحابة. رضوان الله عليهم أجمَعين. وبه قال المفسرون. وقد أثبت العلم ما قرره المفسرون من حيث استحالة قدرة الجنين على التنفس قبل نهاية الأسبوع الرابع والعشرين نظرا لعدم إكتمال قدرته على ذلك.

ملحوظة: للخروج من هذا المأزق ابتكر فكرة جديدة.

الحضانة الرحمية

عرفنا من الآيات السابقة أن أدنى مدة للحمل هى ستة أشهر، وأن هذه الأشهر كافية لبقاء الإنسان على قيد الحياة بعد خروجه من الرحم. حث إن الولادة تتم عادة بعد تسعة أشهر ، فيمكن اعتبار الأشهر الثلاثة بعد نهاية الشهر السادس وبين الولادة بمثابة فترة حضانة رحمية. ولابد لنا هنا من وقفة نتذوق فيها عظمة الخالق عز وجل، وهو يحدد لنا فى آياته المحكمات بكل دقة، أقل مدة للحمل.

ملحوظة: أستاذ النساء والولادة يعلم جيداً أن الطفل الذى يمكن أن يعيش بعد الولادة بدون أجهزة هو ابن سبعة وليس ابن ستة. وغاب عنه أن مدة الحمل الحقيقى (الجنين) تبدأ بعد حلول النفس فى الحميل وهو معنى النفخ من الروح وليس الروح.

المخاض والولادة

تنتهى الحضانة الرحمية بولادة الجنين. وهنا تبرز أمامنا آية رائعة يقول فيها الحق تعالى ﴿ثم السبيل يسره﴾ عبس ٢٠ ما الذى نلحظه فى هذه الآيات؟

نلحظ أن هذه الآيات تتحدث عن مراحل التخلق البشرى، فتجعله فى أقسام واضحة متمايزة هى

١. مرحلة البداية: وهى تتاول المنبع الأساسى للعملية من جذورها، وهو مكان خروج الحيوانات المنوية والبويضات.

٢و٣. مرحلة التخلق الأولى (الحميل): وتشمل النطفة والعلقة والمضغة، وتخلق العظام ثم كسوة العظام باللحم (العضلات).

٤. مرحلة النشأة: وهى مرحلة تالية، فيها تنشط عمليات النمو والتشكيل، ثم يحدث التطور فى المظهر الخارجى، فيتخذ الجنين شكلا بشريا مميزا ومعتدلا.

كذلك نلاحظ أن هذه الآيات تتحدث عن مراحل التخلق البشرى فى صورة مصطلحات وصفية لبعض أهم مراحل الخلق وأطواره.

ملحوظة: فى الكتاب جدول توضيحى يبين العلاقة المتقابلة بين نصوص الآيات التى ذكرناها، ثم جدول يبين المعنى اللغوى لكل تعبير قرآنى وكذلك معناه الإصطلاحى:

الأربعون يوما الأولى

وصف رسول الله ﷺ حالة الحميل فى الأربعين يوما الأولى، فيما رواه مسلم عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنهما، قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق الصدوق، قال: (إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون فى ذلك علقة ذلك ثم كضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات رزقه وأجله وعمله وشقى أوسعيد).

نخرج من هذا الحديث بحقيقتين أساسيتين:

الأولى: أن جمع خلق الإنسان يتم فى الأربعين يوما الأولى.

الثانية: أن مراحل الخلق الأولى وهى: النطفة والعلقة والمضغة إنما تتكون وتكتمل خلال هذه الفترة، وهى الأربعون يوما الأولى.

ملحوظة: هذا الرأى للحكيم العالم يختلف تماماً عن كل التفاسير السابقة، التراثية والحديثة. وقد زكاه أستاذ الفقه مع أنه يتعارض تماماً مع كل التفاسير والفتاوى.

جمع الخلق (مراحل الجنين الأولى)

«هذا الوصف المحكم لحالة الجنين خلال الأربعين يوما الأولى، جاء علم الأجنة الحديث ليقرر كل ما جاء فيه. ففى الأسبوع الخامس يكون جسم الحميل مقوسا شبه دائرى، ولا يزيد طوله عن سنتيمتر واحد تقريبا، ويكون نصفه العلوى ثلثى طول الجسم الكلى، ويكتسب فى هذا الوقت براعم أطرافه، ويكون له ما يشبه الذيل، وقلبه فى مرحلة بدائية جدا ويخفق بصورة منتظمة. وتظهر الأطراف العلوية فى الأسبوع الخامس متميزة كشكل المجداف. ولكن هذه الأطراف العلوية تتطور فى نهاية الأسبوع الخامس، وتشاهد عليها صفائح مبتورة لليد، وإشعاعات إصبعية. وعند نهاية الأسبوع السادس، وقبل اليوم الثانى والأربعين، لا تكون صورة الوجه واضحة أوشبيهه بصورة الإنسان وتكون العين والأذن والأعضاء التناسلية الخارجية فى صورة أولية من مراحل تطورها قبل الأربعين، وهى لا تعمل ولا تشبه أعضاء الإنسان، ومع ذلك فإن العين تبدأ تطورها خلال الأسبوع الرابع مع تولد الحويصلة العينية التى تتغلف لتولد الكأس البصرى، ويحفز هذا تكون العدسة قبل نهاية الأسبوع الخامس. ويتم بعد ذلك تمايز الشبكية، وظهور الألياف البصرية التى تصل الدماغ لتكون التقاطع البصرى. وتبدأ الأذن الداخلية تطورها، فى بداية الأسبوع الخامس، كصفيحة ثخاينة من الأديم الظاهر، مكونة الصفيحة الأذنية التى سرعان ما تغطس تحت الصماغ السمعى الظاهر لتكون الحويصلة الأذنية التى تفقد اتصالها مع السطح لتوليد الأذن الداخلية، ولا يكون للأذن فى هذه المراحل الأولية شكل أذن الإنسان.

يتفق هذا الوصف لتطور الحميل مع تعبير (يجمع خلقه) الواردة فى الحديث النبوى الشريف ليصف المظهر الخارجى المتقوس المجتمع، وكذلك الناحية التشريحية الداخلية، حيث تكون الأجهزة والأعضاء مجتمعة فى حالتها الإبتدائية وهى فى كتلة صغيرة، فيكون الوصف (يجمع خلقه) معبرا عن الناحية التشريحة بدقة».

اختلاف فى فهم الحديث النبوى

فى محاولة فهم الحديث النبوى الشريف السالف ذكره، وقع خلاف بين العلماء المسلمين القدامى فى تحديد مدة النطفة والعلقة والمضغة، هل هى أربعون يوما لكل

منها، أم أربعون يوما لها جميعا؟

فسر بعض هؤلاء العلماء هذا الحديث على أنه يعنى أن النطفة والعلقة والمضغة تتم على التوالى فى فترات طول كل منها اربعون يوما . وفهموا أن عبارة (مثل ذلك) تشير إلى الفترة الزمنية (أربعون يوما) واستنتجوا من ذلك أن المضغة لا تتم إلا بعد (١٢٠) يوما .

وهذا القول غير صحيح، لما يأتى:

زيادة لفظ، افسدت المعنى، أم أتت بمعان غير مقصودة، أم كشفت عن الخلاف بين الصحيحين مسلم والبخارى؟

١ ـ يختلف نص الحديث فى رواية مسلم عن البخارى، من حيث أن رواية مسلم تزيد لفظ (فى ذلك) فى موضعين قبل لفظ (علقة) ولفظ (مضغة). وهى زيادة صحيحة تعد من أصل المتن جمعا بين الروايات. ملحوظة: اثبت العلم الحديث غياب هذا اللفظ عند البخارى.

٢ ـ إذا كان القرآن الكريم قد ذكر أن العظام تتكون بعد مرحلة المضغة، ﴿فخلقنا المضغة عظاما﴾ فان النبى ﷺ قد حدد فى حديث حذيفة أن بدء تخلق العظام يكون بعد الليلة الثالثة والأربعين من بدء تكون النطفة (إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث إليها ملكاً ...).

وإذن فالقول بأن العظام يبدأ تخليقها بعد مائة وعشرون يوما يتعارض تعارضا بينا مع ظاهر الحديث الذى رواه حذيفه.

٣ ـ أثبتت الدراسات الحديثة فى علم الأجنة أن تكون العظام يبدأ بعد الأسبوع السادس مباشرة، ولس بعد الأسبوع السابع عشر.

وعلى هذا يتضح ان معنى تعبير (مثل ذلك) . فى حديث ابن مسعود . لا يمكن أن يكون مثله فى الأربعينات من الأيام. وإنما يكون معنى الحديث (إن احدكم يجمع فى بطن امه اربعين يوما ثم يكون فى ذلك . اى فى ذلك العدد من الأيام علقة (مجتمعة فى خلقها) مثل ذلك (اى مثلما اجتمع خلقكم فى الأربعين يوما) وقوله (ثم يكون علقة مثل ذلك) معناه انه يكون فى الأربعين المذكورة علقة تامة الخلق، متقنة محكمة، الإحكام

الممكن لها، واللائق بنعمة الله سبحانه وتعالى

ملحـــوظـــة: إذن كل ما إنتهى إليه فقهاء السلف وفقهاء هذا الزمان تفسيرا لهذا الحديث الشريف ثبت خطأه فلا خلق النطفة والعلقة والمضغة يستغرق ١٢٠ يوما، ولا الملك يأتى بعد هذه الفترة التى حددها الحديث الشريف لنفخ الروح أو شيئا من الروح. الخطأ فى لفظ أضيف أولفظ سقط، أما الحديث فلابد أن يكون صحيا لأنه وحى يوحى.

بيان الإعجاز فى الأربعين يوما الأولى

١ـ جمع خلق الإنسان:

ظاهر من الحديث الشريف أن خلق الإنسان (يجمع) فى أربعون يوما.

ويقرر الأطباء بعد رحلة طويلة من الدراسات والتشريح الدقيق لجسم الجنين فى الأيام الأربعين الألى، أن جميع الأعضاء الرئيسية للإنسان، تتخلق واحدا بعد الآخرفلا تمر الأربعون يوما الأولى إلا وقد اجتمعت جميع الأجهزة، ولكن فى صورة براعم. وتكون مجموعة فى حيز لا يزيد عن سنتيمتر. كما يكون الجنين مجموعا حول نفسه بالتفاف فى شكل قوس، أوما يشبه (C) بالإنجليزى

٢ـ ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك

ويقرر العلم الحديث أن الجنين - فيما بين اليوم الخامس عشر إلى اليوم الرابع والعشرين يأخذ صورة العلقة التى تسبح فى البرك، وتتعلق بالمشيمة.

٣ـ ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك

وهذا إعجاز آخر فى دقة الاسم الذى أطلقه القرآن الكريم والأحاديث النبوية على المرحلة التالية لمرحلة العلقة وهو مضغة، حيث تتطور المضغة تدريجيا فتأخذ شكل المضغة المستديرة المُمَيّزة بعلامات تشبه الأسنان عليها، وبسطح غير منتظم. وكما علمنا فأن الأعضاء الأساسية فى الداخل تبدأ فى التمايز وتنتج الفراغات بين الكتل شكلا أشبه بالمادة المضغوطة، وبالتدريج يأخذ شكل المضغة.

٤ـ يدل الحديث على أن مراحل النطفة والعلقة والمضغة تتم خلال الأربعين يوما

الأولى، بالرغم من أن حجم الجنين فى هذه الفترة يكون صغيرا جدا، وأن الفترة الزمنية بين هذه المراحل قصيرة.

وقد يكون تقدير عمر الجنين أمر بالغ الصعوبة قبل إكتشاف البيضة وارتباط دورة الحيض بها كما أن التحديد حينئذ كان عرضة للخطأ بزيادة أونقص فى تقدير عمر الجنين يصل إلى واحد وعشرين يوما، لأن الذى يُقدر العمر لا يعلم متى بدأ الحمل من أول الشهر أم من آخره. ثم إن كل هذه الأطوار للنطفة والعلقة والمضغة، التى ذكرها القرآن الكريم لم تكن معروفة أصلا فى تلك الأيام. ولا مجال للعجب، فهذا ـ كما قلنا ـ حديث رسول كريم، لا ينطق عن الهوى، إنما هو وحى يوحى إليه من رب السماء والأرض.

النتيجة: شرح العالم القدير روعة النص واثبت صدق الحديث وخطأ التفسير.

أصدرت الروافد الثقافية للدكتور عبدالصبور شاهين كتابه «أبى آدم» انتهى فيه إلى حقيقة علمية راسخة وهى أن آدم ليس أبوالبشر بل أبو الإنسان. وأيد رأيه بفهم مستنير واع للآيات القرآنية. ولكنه نفى تماماً نظرية داروين وأن البشر لهم أسلاف. واعتبر أن خلق البشر كان خلقاً مستقلاً، ولكنه لم يجسر على أن يفسر لنا كيف؟ وأحيل القارىء إلى كتابه الممتع المفيد وأنتقل إلى كتاب آخر أصدرته نفس الدار لشيخ آخر يهاجمه بعصبية لا موضوعية. فسأكتفى فى هذه المقدمة بالتعليق على الرد الذى أصدرته نفس الدار «آدم أبو البشرية» للشيخ الفقيه الأستاذ الموجان، من مكة المكرمة. الرد كان فقهيا وليس علميا على الإطلاق. الدكتور شاهين ينكر صدور أحاديث الخلق المنسوبة لنبينا الكريم لتعارضها مع بعضها البعض ومع ما أثبته العلم الحديث، والشيخ الموجان يؤكد أن هذه الأحاديث ليست إسرائيلية بل نبوية، وبالتالى لا بد أن تكون صحيحة.

ذكرت قصة الخلق فى مواضع متفرقة من القرآن وبأسلوب معجز يتطور فهمه كلما تقدمت المعارف البشرية وكشف الله لبعض خلقه عن بعض سره.

المماثلة بين البشر والدواب والطيور

١ـ ﴿وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا﴾ الفرقان ٥٤

٢ـ ﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى بطنه ومنهم من يمشى على رجلين

ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شئ قدير﴾ النور ٤٥

٣. ﴿وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شئ ثم إلى ربهم يحشرون﴾. الأنعام ٣٨

السنة عند أهل السنة أهم من القرآن: عجبى!!

اتفق العلماء على أن الأخذ بالسنة واجب، والعمل بها حتم، وتحكيمها فرض، بل جاء عن مكحول التابعى أنه قال: (القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن).

وجاء عن يحى بن كثير أن: (السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب بقاض على السنة). رغم أن الإمام أحمد قال: (ما أجسر على هذا أن أقوله، ولكن أقول: إن السنة تفسر الكتاب وتبينه).

النسخ فى القرآن جائز، لكنه ممتنع فى السنة: عجبى!!

الأحاديث تروى كما جاءت:

١ ـ فإن كانت مرفوعة فهى ليست إسرائيلية بل نبوية محمدية.

٢ ـ وإن كانت موقوفة فإنها لا تكذب كما إنها لا تصدق وهى جائزة شرعا ويمتنع أن يكون فيها ما يخالف شرعنا.

٣ ـ ولوتعارضت الأحاديث: هذا يبيح وهذا يمنع، فلا حرج، فكل الأحادث معمول بها لا نسخ فيها فتحمل رواية المنع على من لا علم له أوعلى شخص مازال دينه رقيقا.

فكيف يحكم على أحاديث رواها صحابة مقربين وأخرجها أئمة الإسلام الذين لا يتواردون على باطل وكيف يحكم على روايات مرفوعة أنها إسرائيلية، هذا شئ مبتدع. إنما الدكتور شاهين قد جمع (هو أومن نقل عنه) النص من مجموع نصوص عن عدد من الصحابة مرفوعة، بل وموقوفة، ولو فصل الأمر فأفرد المرفوع عن الموقوف، وقال ما قاله عن الموقوف فربما كان له شئ من العذر، أما أن يحكم على رواية مرفوعة بأنها إسرائيلية فهذا شئ مبتدع لم يسبق إليه، وسيأتى الكلام على هذا الحديث بعينه إن شاء الله.

«لا شك أن الدكتور شاهين متخصص فى اللغة، وهو بذلك مشهور، وكتابه ينطق عن هذا، فالعبارات والأساليب رائعة رائقة، واللغة سلمة، وليس يالكتاب لحن أوغريب، إلا أنه كما تقدم فى التمهيد لا يصح الاعتماد على مجرد اللغة فى بيان التفسير، وأن هذا من القول فى القرآن، بالرأى، وهو حرام، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك».

ولا يشك مسلم درس التفسير وعلومه أن اللغة من مصادر التفسير الصحيح، لكن لا يشك أيضا فى أن السنة النبوية وأقوال الصحابة مقدمة على اللغة فى معرفة التفسيرات، فإن أردنا أن نرتب مصادر التفسير بدأنا بالقرآن الكريم، فما أجمله فى مكان بينه فى آخر، وما كان مطلقا فى آية يجئ مقيدا فى أخرى، وهكذا ثم يأتى بعد ذلك التفسير بالسنة الصحيحة، فقول النبى ﷺ أوثق من آراء الناس، كيف هو الذى يقول عنه ربه: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو وحى يوحى﴾ النجم:٣،٤ ثم يأت بعد ذلك تفسير الصحابة، فهم الذين عاصروا الوحى وأتقنو اللغة، وهم حماة الشريعة، ونقلة الدين، وأعرف بمراد الله ومراد رسوله ممن جاء بعدهم، وهم أبعد الناس عن التكلف والتنطع رضى الله عنهم ورضوا عنه. ولهذا قال رسول الله ﷺ: «إلا أنى أوتيت القرآن ومثله معه». وهى السنة والسنة أيضا تنزل عليه بالوحى كما ينزل القرآن إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن.

وقال عن الحبر البحر، عبدالله بن عباس ابن عم الرسول ﷺ وترجمان القرآن ببركة دعاء رسول الله له حيث قال: (اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل). ونفى أن تكون هذه الأحاديث الغريبة إسرائيلية وأكد أنها نبوية، واستدرك فقال: ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للإستشهاد لا للإعتقاد. أما عن التأويل فإن قيل: **ما دل القاطع العقلى على استحالة ظاهره، فإنه يجب تاويله.** فنقول: هل قتل عثمان رضى الله عنه إلا بالتأويل الفاسد؟ وكذا ما جرى يوم الجمل وصفين، ومقتل الحسين والحرة، وهل خرجت الخوارج واعتزلت المعتزلةورفضت الروافض وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة إلا بالتأويل الفاسد؟

لقد ثبت أن خلق الإنسان هو خلق آدم، وأنه بدأ من طين لا من سلالة بشرية من قبله،

ويدل على ذلك أيضا أن آدم عليه السلام مخلوق بيد الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿لما خلقت بيدى...﴾، فهو شرف بخلقه بيد الله تعالى لا بالقدرة فحسب، ووجود أبوين له ينافى ذلك.

ملحوظة: أنظر كيف أخلَّ التقيد باللفظ والحرف بالمعنى العميق الباطن؟

فأنت ترى أن المفسرين لما أخرجوا الأثر أو أوردوه فى تفسير لهم، لم يسلموا له مطلقا وإن كان إسناده صحيحا، إلا إنهم قالوا باحتمال وجود شئ من الإسرائيليات فيه، لأن إسناده مركب من عدة رويات، ومع ذلك كانت مناقشتهم عملية، ولم يصفوا القصة بالسذاجة والبساطة وغير ذلك من عبارات الدكتور شاهين. فخلق آدم من تراب ليس فى حاجة إلى التأويل، فهذا مثل آية «سورة الأعلى» كلاهما دل على معنى واحد، وما بعد ذلك وهم، قال تعالى: ﴿ومن ءاياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ الروم٢٠، فالخلق من تراب كان لآدم والبشرية لأبنائه فهم البشر المنتشرون.

لا شك أن الله سبحانه وتعالى طرد أبليس حين أمتنع عن السجود عند الحضرة الإلهية، فأمره بالخروج عنها والهبوط منها، وهذا الأمر ليس من الأوامر الشرعية، بحيث يمكن مخالفته، وإنما هو أمر قدرى لا يخالف ولا يمانع ولهذا قال: ﴿اخرج منها مذءوما مدحورا﴾ وقد دل القرآن العظيم على أنه كان عليهما لباس فى قوله تعالى ﴿.. ينزع عنهما لباسهما ليريهم سؤتهما.﴾ الأعراف ٢٧. أما ما نقل عن التوراة تعريبا فهو غلط منهم وتخريف وخطأ فى التعريب، فإن نقل الكلام من لغة إلى لغة لا يكاد يتيسر لكل أحد ولا سيما ممن يعرف كلام العرب جيدا، ولا يحيط علما بفهم كتابه أيضا، فلهذا وقع فى تعريبهم لها خطأ كثير لفظا ومعنى، وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عثمان بن أبى شيبة، حدثنا جرير عن سعيد عن ابن عباس قال: أهبط آدم عليه السلام إلى أرض يُقال لها: دحنا، بين مكة والطائف، وعن الحسن قال: أهبط آدم بالهند، وحواء بجدة، وإبليس بدستميسان من البصرة عل أميال وأهبطت الحية بأصبهان، رواه ابن أبى حاتم أيضا، وقال السدى: ونزل معه بالحجر الأسود وبقبضته من ورق الجنة فبثه فى الهند فنبت شجرة الطيب هناك.

ملحوظة: لازال الشيخ غير مقتنعاً بأن آدم خُلق على الأرض ومن الأرض ولازال يعنعن.

فأما الحديث الذى رواه ابن عساكر عن طريق أبى القاسم البغوى، حدثنا محمد بن جعفر الوركانى، حدثنا سعيد بن ميسرة عن أنس قال: رسول الله ﷺ (هبط آدم وحواء عريانن جميعا عليهما ورق الجنة فأصابه الحر حتى قعد يبكى ويقول لها: يا حواء قد آذانى الحر. قال فجاء جبريل بقطن وامرها ان تغزل وعلمها وأمر آدم بالحباكة وعلمه أن ينسج، وقال: وكان آدم لم يجامع امرأته فى الجنة حتى هبط منها للخطيئة التى أصابتهما بأكلهما من الشجرة. قال: وكان كل واحد منهما ينام على حدة، ينام أحدهما فى البطحاء والآخر من ناحية آخرى حتى آتاه جبريل فقال: كيف وجدت امرأتك؟ قال: صالحة) فإنه حديث غريب ورفعه منكر جدا.

ملحوظــــة: تمالك أعصابك إيها القارىء الكريم عندما تقرأ ما انتهى إليه الشيخ الفقيه.

ومع ذلك فإن من كذب هذا الحديث فمعاند، لأنه متواتر عن أبى هريرة رضى الله عنه، وناهيك به عدالة وحفظا وإتقانا، ثم هو مروى عن غيره من الصحابة.

وقد ذكر السدى عن أبى مالك صالح عن أبى عباس، وعن مرة عن ابن مسعودوعن ناس من أصحاب رسول اللهﷺ قالوا: (فبعث الله عز وجل جبريل فى الأرض ليأتيه بطين منها، فقالت الأرض: أعوذ بالله منك أن تنقص منى أوتشيننى، فرجع ولم يأخذ. وقال رب إنها عاذت بك فأعذتها، فبعث ميكائيل، فعاذت منه، فأعاذها، فرجع فقال كما قال جبريل، فبعث ملك الموت فعاذت منه فقال وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم انفذ أمره، فأخذ من وجه الأرض وخلطه ولم يأخذ من مكان واحد، أخذ من تربة بيضاء وحمراء وسوداء، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به فبل التراب حتى عاد طينا لازب، واللازب هو ما يلزق بعضه ببعض ثم قال للملائكة: (..إنى خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) ص ٧٢،٧١ فخلقه الله بيده لئلا يتكبر إبليس عنه، فخلقه بشرا فكان جسده من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة، فمرت به الملائكة ففزعوا منه، وكان أشدهم منه فزعا إبليس فكان يمر به، فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار ويحدث صلصلة، فذلك حين يقول: ﴿... من صلصال

كالفخار﴾ ويقول: لأمر ما خُلقت ودخل «فيه» وخرج من «دبره»، وقال للملائكة: لا ترهبوا من هذا فإن ربكم صمد وهذا أجوف، لئن سُلطت عليه لأهلكه، فلما بلغ الحين الذى يريده الله عز وجل أن ينفخ فيه من روحه، وقال للملائكة: إذا نفخت فيه من روحى فاسجدوا له، فلما نفخ فيه الروح فى رأسه عطس، فقالت الملائكة قل الحمد لله، فقال الحمد لله، فقال له الله: رحمك ربك، فلما دخلت الروح فى عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخلت الروح فى جوفه إشتهى الطعام، فوثب قبل أن تدخل الروح إلى رجليه عجلان إلى ثمار الجنة وذلك حين يقول الله تعالى: ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون. إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين﴾ الحجر: ٣١،٣٠. وذكر تمام القصة ولبعض هذا السياق شاهد من الأحاديث، وإن كان كثير من منها متلقى الإسرائيليات، فقال الإمام أحمد حدثنا عبدالصمد، حدثنا حماد عن ثابت عن انس أن النبى ﷺ قال: «لما خلق الله آدم تركه ما شاء أن يدعه، فجلس إبليس يطيف به. فلما رآه أجوف عرف انه خلق لا يتمالك».

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا عقبة بن مكرم، حدثنا عمرو، حدثنا عمر بن محمد عن إسماعيل بن رافع عن المقبرى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله خلق آدم من تراب، ثم جعله طينا، ثم تركه حتى إذا كان حمأ مسنونا خلقه وصوره، ثم تركه حتى إذا كان صلصالاً كالفخار، قال: فكان إبليس يمر به فيقول له: لقد خُلقت لأمر عظيم، ثم نفخ الله فيه من روحه، فكان أول ما جرى فيه الروح بصره وخياشيمه، فعطس فلقاه الله رحمة به، فقال يرحمك ربك ثم قال الله: يا آدم إذهب إلى هؤلاء النفر، فانظر ماذا يقولون: فجاء فسلم عليهم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، فقال ياآدم: هذا تحيتك وتحية ذريتك. قال يارب وما ذريتى قال: قال: إختر يدى يا آدم، قال: أختار يمين ربى وكلتا يدى ربى يمين، وبسط كفه، فإذا من هو كائن من ذريته فى كف الرحمن، فإذا رجال منهم أفواههم النور، فإذا رجل يعجب آدم نوره قال يا رب من هذا. قال: ابنك داود. قال يارب فكم جعلت له من العمر؟ قال جعلت له ستين. قال يا رب فأتم له من عمرى حتى يكون له من العمر مائة سنة، ففعل الله ذلك وأشهد على ذلك، فلما نفذ عمر آدم بعث الله ملك الموت فقال آدم: أولم يبق من عمرى أربعون سنة قال له الملك: أولم تعطها ابنك داود، فجحد ذلك فجحدت ذريته ونسى فنسيت ذريته).

ملحوظـــة: سَمّ ذلك ما شئت. إسرائيليات مسمومة، روايات مضروبه. من يرددها فقد إمتهن عقله وما قدر الله حق قدره وانتهك حرمه دينه وأساء إلى الصادق الأمين محمد ﷺ.

لا سمع عمرو ولا قال: ايفترى على الله. الله أخذ من بنى آدم وليس من آدم. راجع الآية والظهور فى «من ظهورهم» زمان وليس مكان. appearace not backs

لمــاذا نعمل إذن؟

قال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها، فقال: إن الله خلق آدم عليه السلام، ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذريته. قال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته، قال: خلق هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون، فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل؟ قال رسول الله ﷺ: إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة، فيدخل به الجنة، وإذا خلق الله العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار.

فى ١٩٩٤/٨/٢٤ شهد مجلس الصحافة ان مجلة «عقيدتى هى الأكثر إلتزاما»، وفى ذات العدد اوضح الشيخ عطية صقر رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف معنى هذا الإلتزام:

«يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب الأسود» عجبى!!

قال عبدالله بن الصامت: يا أبا ذر ما بال الكلب الأسود عن الكلب الأحمر عن الكلب الأصفر؟ فقال يا ابن أخى سألت رسول الله كما سألتنى فقال الكلب الأسود شيطان! تمسك الحنابلة بهذا الحديث، وزادوا عليه« الخنزير والمجوسى واليهودى» «لقد أكد شياخته صدور هذا الحديث عن رسول الله» وقال أن هذا ليس مساواة فى التحقير أبدا، رغم أن بن قدامه رفض هذا الحديث لعدم الجزم برفعه ورغم أن السيدة عائشة اعترضت هذا الحكم وقالت «عدلتمونا بالكلاب والحمير».

الدم يغلى فى العروق ونحن نقرأ مثل هذا العبث ونسكت عنه. ولازالت هذه الصحافة الصفراء البالية الضالة المضلة تتحكم فى مقادير الأمة الإسلامية وبذلك مهد فقهاء المسلمين الطريق لأعداء الله. منعوا الاجتهاد. احتكروا الدعوة. احتقروا العقل. رفعوا

الراية البيضاء. استسلموا، مراياهم المعتمة موجهة إلى الخلف لا ترى إلا الماضى. بل وفقدت القدرة على الاستفادة منه والاعتبار بدروسه. حتى نعيش عصرنا ونحترم ديننا لابد من معرفة رأى الدين فى قضايا الساعة.

أولاً: الإستنساخ وعلاقته بقضية النفس والروح

تساءلت الـ News Week والـ Times. من خلق دوللى؟

Who creatd thee. وهل يمكن استنساخ الأرواح؟ Could Souls Xeroxed

اليوم دوللى وغدا الراعى!. هل سنتحول آلهة ونخلق البشر؟ Can we play GOD.

لا يمكن لمن لا يعرف الفرق بين النفس والروح أن يرد على هذه الأسئلة، ولا يمكن لمن يعرف أن يكتب لمجتمع، يؤمن بيقين بعالم غير منظور الله وملائكته والشاطين، ويقدم أدلة غير محسوسة ولا ملموسة! وإذا كتب لمجتمع لا يؤمن إلا بما يراه بعينه أو بما ورثه عن سلفه. فرد الفعل المتوقع هو: السخرية فى العالم المتحضر، وعدم التصديق فى العالم النامى والتكفير فى العالم الإسلامى، فما الحل.

الموقف السلبى

«من الخطر أن نعرف ما كان يجب الا نعرف! هذه الحقيقة واضحة وإن كان العلماء لا يسلمون بها بسهولة» البيولوجى الأسترالى السير ما كفرين بورنية

الموقف الإيجابى

«أن العلم إذا منع عن العامة قل نفعه وضاق أثره» الأمام أحمد ابن حنبل.

فأى الطريقين نختار؟

أن ما أثبته العلم اليوم وما سيروعنا به فى الغد القريب يتعارض تماما مع التفسيرات الفقهية واللاهوتية للنصوص الدينية! ويقترب كثيرا من التأويلات الفلسفية والعلمية ومن الغريب العجيب أنه يتطابق تماما مع متشابه الكتب السماوية المقدسة وصحيح الأحاديث النبوية الشريفة وأقوال روح الله وكلمته المسيح عيسى بن مريم!

إذا الدين يؤيد ويؤكد ما جاء به العلم لكن رجال الدين لهم موقف آخر.

أولا:

أعلن وزير الأوقاف وهو شاب متحضر جدا: أن مجمع البحوث الإسلامية هو الجهة الدينية المختصة بدراسة موضوع الإستنساخ وهو بهذا الموقف يفرق بين العلم والدين لأن أعضاء الجمع لا يفرقون بين البشر والإنسان ويتجاهلون العلاقة بين النفس والجسم وعلاقة العقل بالنفس وعندى الدليل! لذلك أتحفظ على مقولته، لأن أستنساخ الإنسان مستحيل! واستنساخ البشر جائز ومتوقع. هذا هو الجديد الذى أقدمه، فأنت يا صديقى بالنفس لا بالروح إنسان!

ثانيــا:

حين أدعى الفقهاء أن كلام الله ناسخ ومنسوخ أثبت العلماء أن خلق الله أصلى وخلق طبق الأصل «ومستنسخ»! ولم يدرك كلاهما أن القلب ينضج قبل العقل والأسطورة تسبق الدين والفن يسبق العلم وأنه إذا أحتكر الفقهاء الدين وأحتكر العلماء العلم: أنكسر جناحا الإيمان وهوى المؤمنون فى بَحْرىْ الظلمات: الجهل والغرور.

فمــا الحــل؟

الحل هو فقه جديد، تفسير جديد للنصوص الدينية على ضوء ما إستجد من معرفة وتراكم من خبـرة إنسـانيـة الحل هو تكثيف العقل لا تكتيفه Brain intensive لأن المؤسسات الدينية حصرت تفكيرها فى إتجاه وحيد «إلى الخلف در» وجمدت رؤاها وفرضت علينا مذاهب سلفية متحجرة. فكان لابد من التمرد على التفسيرات القديمة التى تُكبل العقل بالقيود، تُخرسه ولا تحرسه، ستحمره ولا تستثمره أعتقل المتزمتون عقل الأمة وربطوه أوصلبوه فتصلب، خوفا منه لا خوفا عليه! ثم أودعوه فى قفص حديدى من الرموز، ثم أغلقو عليه الباب بإحكام وضيعوا المفتاح فوجد المفكر الحر نفسه أسيراً للخوف وتحكم الرعب فى شكل ومضمون آرائه إن كان له رأى معلن فقد فرضوا حظر التجول على أفكاره ووأدوا كل فكرة وليدة! أما المفكر الحر فقد حطم القيود وعبر الحدود هاربا من سجن تصورات السلف وأنطلق يبحث عن الحقيقة مستجوبا الواقع مستنطقنا الطبيعية: الأرض والسماء وما بينهما وكانت ثمرة الحرية: أنه تأكد بنفسه: أنه لا مهرب من الله الا اليه. فقد عثر على جواهر الحق المكنونة مطموسة فى باطل

التفاسير المتناقضة المتضاربة وموضوع الأحاديث! متى تمكن من ذلك؟ حين تعلم كيف ينظر للشئ بطرق مختلفة ومن زوايا متعددة متنوعة فقد ساعدته المعارف الطبية والفيزيائية والفلسفية والدينية والرياضية على رؤية ما خفى على غيره وحين أكتشف الخطايا العشر سجل فكره فى كتاب «الإعتقاد قضية علمية والعلم تجربة روحية» فأطلق عليه مجمع البحوث الإسلامية المبيدات الفكرية وقذائف الباطل وصادر الكتاب.

أتفاق الفقهاء فى الأصول حكمة! واختلافهم فى الفروع رحمة. لكن القرآن الكريم محكم ومتشابه، رساله ونبوة، الرسالة فرقت بين الحلال والحرام والنبوة فصلت بين الحق والباطل. الرسالة إفعل ولا تفعل: هنا تشتد حاجتنا لروائع الأمام الشعراى لكن النبوة هى قوانين الكون يختص بتأويلها أولى العلم كل فى مجال تخصصه!

هل هناك علاقة بين الإستنساخ، والاغتصاب والإجهاض والزواج العرفى؟ نعم هناك علاقة وعلاقة وثيقة. وأيضاً بين كل هذا وبين مواضيع فكرية بالغة الأهمية: مثل الخلق والبعث، والموت والحياة، والإسراء والمعراج وعذاب القبر، والثعبان الأقرع، بتر يد السارق ورجم الزانى وقتل المرتد، الخلق من عدم وخلق آدم من تراب وحواء من ضلعه الأعوج وهبوطهما معا من الجنة وصعود عيسى حيا إلى السماء!! ثم من الذى يهاجم الفقهاء المسئولين عن هذا الضياع؟ أين الحلول؟ ماذا لو عرضنا الفكر الجديد على منبر الجدل الحر بين فرسانه وعلى أحياء اليوم واحتكمنا إليهم؟ قد يَنْقَضْ البعض بأفكار مضادة. لكن معظم الحاضرين سيقبلون الحوار الفكرى وسأتعلم كثيرا من المناقشة. قد أكون سعيدا لو تأيد رأى لكننى سأكون أسعد إذا كشف أحدهم عن خطأى فالخطأ ليس خطيئة والفشل هو الطريق الى النجاح كما الشك هو الطريق الى اليقين. ولن أغضب إذا تبنى أحدهم الفكرة الجوهرية ونسبها الى نفسه كما فعل أستاذنا الدكتور مصطفى محمود ! وهذه قضية فرعية و لكنها هامة.

من الخيال العلمى. رأى نشر ه بريد الأهرام

«المستنسخون» العرب!

«قام علماء الهندسة الوراثية بإحدى الجامعات الإقليمية بتسجيل براءة اختراع «فارطة»! الأب فار والأم قطة وقيدوا اسمها فى سجل الحيوانات المصنعة! مثل: «النعجة

دوللى والبقرة روزى والخنزيرة جينى».

فتسبب احتكار الزراعيين والبيطريين للشهرة الإعلامية واقتصار أبحاث الاستنساخ على الحقل والحظيرة فى إثارة غيرة البشريين، فعقدت أعرق كليات الطب اجتماعا عاصفاً بعد السحور فى إحدى ليالى رمضان، واقترح أحدهم «تتسيل» طفلة!. فسأل سائل: هل هناك ما يمنع من مساهمة العقل ـ وهو معجزة الهية ـ فى توظيف المعجزة الإلهية الموجودة فى نواة كل خلية حية؟ خاصة بعد أن تمكن العلماء من تصفح وفك أسرار بعض صفحات الكتاب المكنون، الحلقة المفقودة بين الجماد والكائنات وهو الحاكم بأمر الله الذى تكمن ـ سر قوته وقدرته وسيطرته وسطوته وأبديته ـ فى تركيبتهى الحلزونية وهو أيضاً السر الإلهى المكتوب بمداد نووى والمخطوط بأربعة أحرف؟ أليس هذا الجزىء الحى هو الروح؟ نعم وهو «من أمر ربى» إنه الأمر المكتوب الذى إذا تم تنفيذه صارت الخلية الواحدة مليار خلية مختلفة متعاونة متفاهمة تسمى كائناً حياً!

واوضح الذى عنده علم الكتاب أن التناسل بالنسبة لبنى آدم، ينشىء خلقاً آخر فرد «فريد» ليس كمثله أحد. أما التنسيل فينتج نسخة مسخة! لماذا لأنك بالنفس لا بالروح إنسان فعلى من لم يدرك هذه الحقيقة أن يسأل ربه أن يزيده علماً وعليه أن يعيد ويستعيد قراءة وتفسير ٩ آيات بينات فيهن السر. آيات النفخ والخلق والنفس: الأعراف ١١ ـ ١٧٢ ـ ١٨٩ ـ الزمر ٤٢، الأحقاف ١٥، لقمان ١٤، الحجرات ٢٩، ص٧٢، الإسراء ٨٥. لأن الاعتقاد قضية علمية والعلم تجربة روحية، ولأن أحداً من المملكة الحيوانية لا يمكن أن يعترض خاصة وأن ملكهم أسير فى قفص بحديقة الحيوان، فلابد من توخى الحذر فى عالم صحافته حرة، فيلزم الامتناع عن استخدام أى خلية مسماة لاستنساخ فاطمة أو ماريكا أو راشيل أو حسن أو مرقص أو كوهين، حتى لا تحدث فتنة».

ما هو الاستنساخ؟ سيشرح لكم هذا الموضوع من هم أفضل منى واقدر لكننى ساقتصر فقط عل الجديد: وهو كيف ساهم العقل البشرى. وهو معجزة آلهية. فى توظيف معجزة آلهية أخرى وهى الجزئ الحى (الحاكم بأمر الله) الموجود فى كل خلية وكما أوضح أ.د. يحيى عبد الحميد اليوم فى ملحق الاهرام أن كل خلية فى جسم الانسان تستطيع القيام بما يناهز ستة ترليون عملية فى الثانية ولها مقدرة على ما تفعله باقى خلايا الجسم فى الوقت نفسه. هذه السيمفونية الالهية تعزف داخل كل خلية حية ففى كل خلية كتاب مكنون

Genome ! نفس النظام فى كل ما هو حى بكتريا، فطر ، خميرة، عشب، نخلة، حيوان، إنسان . عدد صفحات هذا الكتاب فى الانسان: مليون صفحة كلها مكتوبة بأربعة أحرف فقط لغة نووية وحدة الكتابة هى الجزئ الحى DNA هذا الجزئ الحى هو الحلقة المفقودة بين الجماد وكل الكائنات الحية فى تركيبته العجيبة يكمن سر أبديته وقوته وقدرته وسيطرته وسطوته فهو قادر على إنتاج نفسه من الجزئيات العضوية المكونة له وهو الذى يملك آليات التحكم وانتقال المعلومات الديناميكيةCyprentics فهو النموذج المثالى لعلم إدارة الكيانات المعقدة والسيطرة على سلوكها. يتمتع بقدرة ذاتية على التخليق الانتظام من الفوضى والترتيب من العشوائية Chaos Dynamic وبناء تراكيب معقدة متطورة وذلك يتطلب حيازة بدائل واختيارات وانتاج أفكار وابتداع أوضاع تفوق فى تعددها وتنوعها أى كيان أنتجه وابداعه ، ليس ذلك فقط، بل لا يغفل لحظة عن متابعة أعماله و تسجيلها لحظة بلحظة ويشمل الكل برعايته وعنايته ، هذا هو السر الالهى الذى يبقك حيا و يحفظك بقدرته عل التكيف مع متغيرات الواقع والاهم بالنسبة للعقول المتطورة هو أن هذا الجزئى الذى كون مخك ! مؤسسة عقلية فكرية ومنظومة ديناميكية نتيح للكائن المتميز الفرص تذوق متعة الخلق والابداع. فكما أن القرآن الكريم محكم ومتشابه فهذا الكتاب المكنون فى كل خلية حية محكم أيضا ومتشابه القرآن (روح من أمرنا) وهذا الكتاب هو الروح. القرآن روح، وهذا روح. وكلمة روح تعنى أمر من الله والأمر من حرفين مثل «كن» B= Beginning E=end BE كل ما قيل له كن: له بداية ونهاية أى أنه فان. وكذلك الروح الراء = رسالة والحاء= حكم. الرسالة للتفاعل والتغير حسب البيئة والزمان والمكان، أما الحكم فلا معقب لحكمة. النواة فيها روح، فيها أمر الله،محكم: كونى نخلة الحكم يجب أن يطاع ولا يمكن إلا أن يطاع، أما الرسالة فهى المتشابه كل ما فى النخلة محكوم ببيئتنا وظروفها.

الروح مسئول عن تكون الشكل
Morphology Structure& Function
Energy before Function

وذلك بفضل وجود الطاقة المحركة المنظمة الحافظة الراعية الواعية، أى القوى التى تخضع لها كل هذه العمليات هذه القوة إسمها النفس النباتية و«النفس الحيوانية» وهى قوة مشتركة بين الكائنات الحية، وهى جزء لا يتجزأ من كيان الكائن يموت ولا بقاء له

بدون نفس ذائقة الموت. إلا أن الإنسان يتميز بوجود نفس أرفع وخالدة أسمها الفؤاد (العقل والقلب) أوالنفس الناطقة. هذه النفس الشريفة هى التى يحملها الملك ولا تحل فى الجسد إلا بعد ١٢٠ يوما كما جاء فى الحديث الشريف بعد أن يكون قد أكتمل. نحو مخه وتميز. وكما قال ابن عربى: هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تدلل وتمنع.

(ما كذب الفؤاد ما رأى) هذه هى النفس التى تشرفت بحضرة المولى فى سدره المنتهى فالسؤال هل كان الإسراء بالروح أم بالجسد أم بكليهما، سؤال باطل فالإسراء لم يكن بالجسد ولا بالروح بل كان بالفؤاد أى بالنفس الإنسانية الناطقة. والذى أسرى به هو نفس محمد لا محمد نفسه. نعود إلى موضوعنا.

المخ هو الآلة والعقل أى «النفس الناطقة» هى العازفة، هو المركب وهى الملاح، هو السفينة وهى الربان،القلب هو الآلة ولكن بعد إشراق الرحم بقبس من نور الله أى بعد الظلمات الثلاث ـ يكون قد إستعد لوظيفة أخرى لا يعلمها أطباء القلب وهى الفقه فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب (التى فى الصدور). يكتمل تطور قشرة المخ البشرى إذن النفس النباتية والحيوانية مُبرمجة فى الكتاب المكنون لذلك أمكن إنتاج دوللى فى معهد روزالين أما النفس الإنسانية فهى تهبط من عند الله بعد أن تكون قشرة المخ البشرى فلا مبرر لوجود بيتهوفن قبل إستكمال صنع البيانو الذى سيعزف عليه. وبحلول النفس يصبح الجنين البشر إنسانا. هذا هو معنى النفخ. النفخ ليس نفخ الروح بل هو نفخ من الروح، أى نفخ شئ من روح الله أى من أمره ولله الأمر كل العوالم المنظورة ليست إلا طاقة والوجه الآخر لها هو المادة. أى أن كل ما فى الكون نور «موجات كرمغناطيسية» والله نور السموات والأرض لهذا كان الله أحسن الخالقين.

الفرق بين التناسل والتنسيل هو أن الخلق دائما متجدد! دائما A La Mode الله أرادنا مختلفين المخلوق دائما فرد فريد أبتكار جديد أما التخليق فهو ليس ألا نسخة مكررة طبق الأصل من مخلوق سبق خلقه وأصبح موديل قديم مستهلك وهالك. الفرق بين الإنسان وكل الكائنات الحية الأخرى هو النفس الناطقة. الفؤاد. هذه النفس التى تغادر الجسم عند النوم وتعود إليه عند اليقظة (الزمر ٤٢) تريحه وتستريح منه. هذه هى النفس التى تبقى بعد الموت (الفجر ٢٨. ٢٧) ﴿يا أيتها النفس المطمئنة أرجعى إلى ربك راضية مرضية﴾ وكما الجسم أجزاء فالنفس أعضاء فى وحدة واحدة الدوافع

الغريزية هى النفس الأمارة بالسوء والوعى والإدراك، الإبصار بموقع الأعذار فهى وظيفة النفس الملهمة، هى النفس اللوامة. والمؤمنة بالغيب الواثقة بالله هى المطمئنة.

ما الذى فعله ويلموت؟ فتح الكتاب المكنون وقرأه وفهمه ثم أغلقه وأودعه فى بويضة وجوَّعها حين أدرك حكمة الصيام (وأن تصوموا خير لكم) فانفتحت الزجاجة وخرج المارد وانطلقت معه كل القوى التى كانت كامنة وكنت تحسبها خامدة أو هامدة، وشرعت فورا فى بناء الكائن الحى بجسده ونفسه النباتية والحيوانية وبذلك أمكن من إنتاج النعجة دوللى والخنزير جينى والعجلة روزى فهل يمكن مستقبلا إنتاج فاطمة وماريكا وراشيل؟ أوهتلر ومارلين وراسبوتين؟ كان الكفار ينكرون الخلق ويسخرون من البعث وقبل حلول القرن ٢١ أصبح الخلق ممكنا والبعث معقولا ثم يدعى الفقهاء أن الإستنساخ حرام من خلية واحدة من دمعة فى منديلك، يمكن تخليق مثلك بلحمك وشحمك، بدمك وعظامك، وأنت حاضر أوغائب أوميت كل شىء فيك يمكن صنعه الا المنحة الإلهية الا الفؤاد الا النفس الناطقة لا قدرة لمخلوق عليها. كل ما سيمكن إنتاجه هو فرانكشتين! نسخة مسخة! هذا فعلا هو الطاغية فلان! الله يرحمه! لكن الذى نراه الآن أهبل غير عاقل لا يمكن أن يكون نبيا ولا عبقريا ولا طاغية.

الخطأ الفقهى وما ترتب عليه

أولا : آيـات النفـخ

١٧ الإسراء ٨٥ ﴿ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى..﴾ إعتبر المفسرون أن هذه الآية نهىٌ عن البحث وقيدٌ على الفكر وهذا موقف يأباه الله ويرفضه العقل لأن السؤال فى الآية صريح والإجابة أصرح لأن الله هو المجيب: الروح أمر مكتوب. الروح لفظ مذكر فلا يجوز أن تقول فلان مات وطلعت روحه إن كنت لازلت مصرا أن الموت طلوع أوقبض روح قل فلان طلع روحه. والصحيح أن الروح لا بيطلع ولا بينزل لأن الموت هو إمساك للنفس (الزمر ٤٢).

الحجرات ٢٩.٣٨ ص ٧٢: ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾ له هنا ليست عائد على آدم فلا سجود لغير الله إنما هى عائدة على الروح (العقل الذى تميز به آدم عن كل المخلوقات). الملائكة سجدت لأنها عرفت ذلك وإبليس رفض لأنه

تصور كما تصور المفسرون أن السجود لآدم.

ثانيا: آيات الحمل

متى يبدأ الحمل؟ بالتلقيح أم محلول النفس؟ متى تحل النفس؟ وما معنى كنتم أمواتا فأحياكم؟

الأحقاف ١٥: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها﴾. ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين﴾. وحمله وفصاله ٣٠ شهرا

كل ما فعله الفقهاء أن طرحوا ٣٠- ٢٤ = ٦ فأفتوا أن أقل الحمل ٦ أشهر وقد أدى إتخاذ المحاكم بهذا الرأى إلى إقرار الخطيئة وإكراه الوالد الذى لم يلد على تبنى ابن ليس من صلبه.الصحيح أن المقصود هو ال ٦ أشهر الأخيرة بعد حلول النفس أى بعد أن أشرق الرحم بقبس من نور الله. كائن غير منظور زفته الملائكة. خلق قبل الجسد الذى يحل فيه تنفصل عنه يحل فيه وتخرج منه. وتبقى بعده.

ثالثا: آيات النفس

الأعراف ١١: ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة أسجدوا لآدم﴾ متى سجدت الملائكة؟ بعد أن كان قد تم خلقنا جميعاً وتصويرنا.

الأعراف ١٧٢: ﴿وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بالى شهدنا﴾.. من الذى شهد؟ كلنا من ماتوا والأحياء ومن لم يولدوا معه.

الأعراف: هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها (ليسكن) إليها فلما تغاشاها حملت (حملا خفيفا) (فلما أثقلت) بعد حلول النفس

الزمر ٤٢: الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إذن الموت إمساك نفس وليس قبض روح

رابعا: الأحاديث

«أن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه ٤٠ يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون

مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه ملك فينفخ فيه من الروح» قال أخرجه الشيخان عن بن مسعود رضي الله عنه

ملحوظـــة: «من» حُذفت أى سقطت، فأخلت بالمعنى.

وجاء فى صحيح البخارى: «وإذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة يبعث الله ملكا فصورها فخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ثم يقول: أى ربى أذكر أم أنثى؟» رواه مسلم عن حذيفة بن أسد الغفارى رضى الله عنهما.

لرفع التناقض، أى الحديثين أصح؟ أستبعد الحديث الثانى لأنه مخالف للترتيب الذى ذكره القرآن ﴿وكسونا العظام لحما﴾. ثم كيف يسأل الملك عن جنس الجنين وقد تحدد من لحظة التخصيب؟ يتضح من الحديث الأول أنه لم يكن هناك روح قبل الـ ١٢٠ يوما الأولى، فلم تحريم الإجهاض؟ ولم يدّعون أنه قتل الروح؟ لا يعقل أن يقول النبى (الروح) والقرآن (من الروح) فالفرق جسيم. التفسير الفقهى خطأ لأن الروح موجود قبل تكوين الخلية الأولى. الحيوان المنوى به روح والبويضة بها روح، تماما كما يقول البابا شنودة وبابا روما.

كل ما قلته ما هو إلا مجرد إجتهاد فإذا تم إستنساخ إنسان؟ فهذا يعنى أننى أسأت تقدير الأمور وبالتالى على الفقهاء إعادة النظر فى الأحاديث النبوية ورفع - ما ثبت بالأدلة القاطعة - أنه غير صحيح، لأن النبى لا يقول بشئ من عنده إن هو إلا وحى يوحى وعلى المفسرين إعادة النظر فى الآيات الكريمة ومراجعة التفاسير القديمة وتحديثها فإعجاز القرآن يتلخص فى أن النص ثابت والمعنى متغير.

الروح هو الحاكم بأمر الله الذى يجلس على العرش فى كل خلية حية. فما هى النفس؟ النفس هى كائن غير منظور، عضو فى عالم الغيب لا نراها كما لا نرى الله ولا ملائكته. نحن نبصر بالنور، ونرى الضوء. اللغة العربية تنفرد بلفظى النور والضوء. ويسعدنى ألا اتاوز قدرى لأنى فى سن حرج، وربما على وشك الرحيل فإنى أخشى أن ألقى ربى وقد أسأت تفسير أوتاويل كلماته لذلك فأنا فى حاجة إلى التوجيه والإرشاد فمن يتطوع؟ يناقشنى، يراسلنى، يتصل بى، أويطلب الكتاب المصادر. التمسك بالتفاسير الباليه التى لا تُفرق بين النفس والروح والبشر والإنسان.. والاكتفاء برأى السلف فى قصة الخلق أدى إلى تحجر فكرهم على ما قيل منذ ألف ومئات السنين.

الخلع وعلاقته بالنفس والروح

ما هو سر الصحوة؟

قال مسئول كبير: (نحن دولة مؤسسات، لانقيم وزنا لرأى فرد أوجماعة). ونقول له: (نحن مواطنون لا رعايا لنا رأى ورأينا له وزن).

الكاتب الكبير محفوظ أبدع الشخصية المستبدة «سى السيد» والسينارست الكبير محفوظ كشف النقاب عن الوجه المشرق «للست»

١- الناس سواسية لكن ليس كِلهم «سى السيد» ولا كلهن «الست»

٢- كان الناس أمة واحدة حتى فرق بينهم الفقه والقانون ولأن المسافة بين الشريعة والفقه هى ذات المسافة بين العدل والقانون فإن التفاسير العتيقة غير السوية لنصوص القرآن المجيد والأحاديث الشريفة شوهت صورة المجتمع الإسلامى: -

فأولا = بالنسبة للأحوال الشخصية، تصور من لم يبصر حكمة الله وعظمة رسوله أن الرجولة جبروت والزوجية إستعباد وبيت الطاعة سجن للنساء وملجأ للأطفال وأن القوامة تَحَكُّمٌ والطلاق مستحيل إلا لضرر يمكن إثباته، فلا تحكم به المحكمة حتى لو كان الزواج عنينا.. وفجأة ينقلب الأسد فأرا حين يصبح أبا، ويخشى أن يستأسد زوج ابنته عليها وعليه فيذيقها الهوان الذى أذاقه هو لأمها. الآن فقط أدرك الأباء وليس الأزواج أن الخلع نعمة لأنه لم يحرر المرأة فقط بل رد للأبوة كرامتها.

محاكم الأحوال الشخصية، ساحة الهوان ووعاء الألم، تشوى فيه النساء على نار هادئة... ويغلى فيه الدم ويفور. المحكمة قاعة للأرامل والمطلقات واليتامى ومنصة للقضاه وحجرة للمحامين لكن ينقصها أهم العناصر: المحلفون.. وهم حكم من أهله وحكم من أهلها وفقيه متحضر مستنير. لكن المحلفون نظام غير معترف فيه فى قضائنا. غياب هذا العنصر الهام أسدل الستار على حقيقة فلم يعد أحد يرى أويسمع أنين النساء وصراخ الأطفال الأبرياء.

المنظمات غير الحكومية N.G.O، تجمع نسائى ينخر كالسوس فى كيان المجتمع والغائبون عن الوعى لا يقيمون لها وزنا لأنهم لا يدركون أن وراءهن تنظيم دولى يسيطر

على الحكومات الغربية وهذه بدورها تتحكم فى أقدارنا. وحين يستيقظ الأزهر فجأة ليساهم فى إصدار قانون جدا وفى غاية السرعة لابد أن نتساءل لماذا الآن؟ ولماذا بهذه السرعة؟ ولماذا لم ينتبه الأزهر منذ مئات السنين إلى أن الخلع حق للمرأة أهدره الفقهاء كما أهدروا مفاهيم دينية جليلة أدت إلى خلل بالمجتمع وأضرار جسيمة بالأم والأخت والأبنة هذا القانون ليس إنتصار للـ «N.G.O» على الرجال. بل إنتصار للإسلام على فقهاء المسلمين.

فجأة حدثت الصحوة فقد قرأ مجمع البحوث الإسلامية قصة «قيس» وزوجتيه جميلة وحبيبة». وعرف بعد سبات عميق أنهما (خلعتاه) من ألف ومئات السنين. لماذا الآن والآن فقط إنجلت الأذهان فرأى الأعيان أن المساواة ممكنة؟ سؤال صعب أجاب عليه المستشار مجدى صيام بمحكمة إستئناف القاهرة «**إن مصر قد وقعت قبل سنة 81 على القرار 34/180 الذى يقضى بإلغاء جميع التشريعات المدنية والجنائية والسياسية وقوانين العمل وقوانين الأحوال الشخصية التى تميز الرجل والتى لا تحقق التساوى فى القوامة والولاية**». لم يعد الرجال قوامون على النساء لان المجتمع الدولى المنحل قرر حق المرأة زوجة أم غير زوجة فى الإنتقال والسفر وأختيار مح الإقامة. تم تثليث العلاقة الزوجية: أمرأة ورجلان. القاضى «المفروض»، حكمه نافذ ولايملك الزوج «المرفوض» إستئناف هذا الحكم أونقضه. لم يدرك المسئولون مع الأسف أن عولمة الأسرة ستهدم بنيان المجتمع. فبعد أن أصبحت المرأة حرة جدا فإن الذكور سيطالبون بالمساواة. إذا قررت الدولة تجريم ختان الإناث فسينادى الذكور أنقذوا أعضاءنا من هذه الوحشية. وإذا مات الرجل تهب زوابع الخماسين بعد الأربعين مباشرة، تصرخ النساء لا عليه بل على التركة، لماذا للذكر مثل حظ الأنثيين؟ ادركت الحكومة فداحة القرار الذى التزمت به ووافق عليه مجلس الشورى فأضطرها مجلس الشعب لسحب مبدأ حرية السفر لاستضامه مع القرآن والسنة والعقل والمنطق. الخلع المصرى لم يحقق المساواة المفروضة دوليا. لأن **الخُلع معناه تنازل المرأة عن حقوقها من أجل الطلاق كما أن زواج ملك اليمين معناه تنازل المرأة عن حقوقها من أجل الزوج**. والمجتمع الدولى يرفض التنازل أصلا ولا يقدس العلاقة الزوجية فعلا. فالخلع زلزال له توابعه، وحتى لا تنهار الأسرة لابد من فقه جديد. فلس أحكم من الله ولا أعدل من شريعته ولا أحن من رسوله.

إنهيـار الفقـه:

١ ـ التفسير الخاطئ الآيتين: ﴿الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾البقرة ٢٣٣. ﴿حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثين شهرا﴾ الأحقاف ١٥. فهم منه المفسرون أن أقل مدة للحمل هى ستة أشهر. ترتب على هذا الحساب الخاطئ مشاكل إجتماعية بالغة الخطورة أهمها: إكراه الزوج على تبنى طفل ليس من صلبه لأن «الولد للفراش» حسب القاعدة الفقهية، فأحلوا بذلك ما حرمه الله.

٢ ـ التفسير الخاطئ للحديث الشريف «إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون مثل ذلك علقة ثم يكون مثل ذلك مضغة، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح». هذا الحديث للصادق الأمين صحيح تماماً لكنه نقل محرفا مليئا بالأخطاء النحوية فترتب على تفسيره مخالفة صريحة لعلم الأجنة.

٣ ـ وتفسير آية التعدد التى قصرته على الأرامل مراعاة لليتامى أباحة المفسرون لأى رجل يجهل أصول دينه وحكمة ربه فأضروا بالمجتمع الإسلامى.

٤ ـ وترتب على إعترافهم بعلاقة عرفية وتسميتها بالزواج العرفى تمسك المراهقين بما إباحة الفقه وحرمه القانون. لابد من فقه جديد يقر حدود لله الذى أمر بقطع يد السارق لا بترها، وبجلد الزانى لا برجمه وبأنه لا إكراه فى الدن فلا قتل للمرتد فلا دموية فى الإسلام. هذه التفسيرات الباطلة تجافى روح النص وحكمة الخالق.

وفى القريب العاجل عندما يتم أستنساخ البشر سيتحتم على الفقهاء إعادة النظر فى تفسيراتهم العتيقة فالنص الجليل ثابت قوى متين من اله قوى مكين لا يبقى الاستنساخ وكل ما أستجد على ساحة العلم وما سوف يستجدسيظل أبدا غير مناقضا للقرآن شاجبا تماما تفسيرات السلف الصالح الذين كانوا نجوم زمانهم. ولم يضىء بعدهم نجم واحد من فقهاء هذا الزمان.

رؤية سعودية لحقوق الإنسان

الحروب الأهلية الدائرة فى السودان بين شماله وجنوبه وفى نيجيريا وفى بلاد أخرى كثيرة سببها تطبيق الشريعة، والواقع إن ما شرعه الله برىء تماما فى الفهم المتخلف الذى يفرضه على الشعوب حكامها أو جلاديها، وهذا مقال فى الأهرام ٢٠٠٠/٥/٢٥م

بقلم الدكتور عثمان عبدالعزيز المنيع:

- المتابع للإعلام العربى فى الفترة الماضية سيكتشف ارتفاع درجة حرارة الكثير من الإعلاميين وهم يناقشون قضية حقوق الإنسان فى عالمنا العربى عموما وحقوق الإنسان فى السعودية على وجه الخصوص. الإشكال الذى وقع فيه البعض أنه تضامن مع الحملة الأجنبية دون أن يدرك أنها موجهة للإسلام وليس للسعودية. نحن فى السعودية لن ندعى المثالية. ولنا أخطاؤنا، ولكن هذه الأخطاء طبيعية، ولكن لنا الحق فى أن يحترم الآخر تطبيقنا للشريعة الإسلام فى إطار الحدود لتطبيق العقاب، فحين يقتل المفسد فى الأرض وتقطع يد السارق، تطبق الحدود التى سنتها الشريعة الإسلامية فيما لا يتعارض مع حقوق الإنسان لأنها أولاً نصوص شرعية غير قابلة للنقاش أو الاجتهاد. غير ذلك إن فيها حماية للإنسان والمجتمع، حماية للصالح من الفاسد، ضحايا المجرم - القاتل - فى أوروبا وأمريكا يكونون بالعشرات أحيانا، فهل فى عدم إقامة الحد عليه حماية لحقوق الإنسان أم أن فى ذلك إهداراً لأرواح بريئة لا ذنب لها إلا أنها تعيش فى مجتمع يحمى القوى فقط فهل فى هذا حماية لحقوق الإنسان؟ الإسلام كرم الإنسان ووازن بين احتياجاته وواجباته، هذه حقيقة يدركها من يعى الإسلام كدين وتشريع. والمؤكد أن الإسلام كدين ومنهج حياة ليس فى حاجة لدفاع أى إنسان بقدر ما هو محتاج للإدراك الواعى.

بروز قضية حقوق الإنسان فى هذه الفترة - بشكل حاد - لا يعنى أن منظمة العفو الدولية تتبنى موقفاً - صالحاً - هدفه الإنسان. بل هو شكل من أشكال الضغوط السياسية والاقتصادية التى وقفت المملكة لها بكل ثقة ولكن للأسف بعض إعلامنا العربى دخل اللعبة من بوابة - المشاركة غير الواعية - فى إثارة الجدل حوق حقوق الإنسان فى عالمنا العربى عموما والسعودية ومصر خصوصاً دون أن يدركوا أن الاعتراض لم يكن على حقوق الإنسان بمفهومها الغربى، ولكن على تطبيق حدود الله.

والدليل أن المملكة استطاعت وفى نفس الفترة الحصول على عضوية لجنة حقوق الإنسان وهذا للأسف عكس سطحية التفكير لدى الكثير ممن شاركوا فى حملة الهجوم الإعلامى على المملكة. الإنسان فى المملكة يحظى بالكثير من حقوقه. بل إن من المآخذ على الدولة السعودية أنها تمثل ما يعرف بالنظام - الأبوى - خصوصاً فى المرحلة السابقة، حيث إن المواطن اعتاد على أن تأتيه حقوقه وأكثر وهو فى منزله أو عمله، لن

نقول دون أن يطالب بها، بل أحياناً دون أن يعلم بها. ومما يؤكد أن النيات الإعلامية عند البعض ليست نظيفة للأسف، إلا أن إعلامنا العربى للأسف مر مرور الكرام على انضمام المملكة لعضوية المنظمة وكأن الموضوع لا يعنيهم بشىء بينما كان الهجوم على المملكة يشبع الكثير من مشاعر الحسد لدى البعض.

حين يعتقد البعض أن المملكة ستوافق على عدم تطبيق حدود الله فى إطار أحكام قضائية مستقلة، فإن هذا الإنسان لا يميز بين الثوابت والمتغيرات، فهناك أحكام تتم وفق نصوص قرانية ثابتة لا مجال فيها للاجتهاد، خاصة وأنها تحقق الاستقرار فى المجتمع وتزيد من نسبة انخفاض الجريمة فى المجتمع، ولعل ما يحمد للمملكة أنها تطبق الشرع على المواطن وغيره دون تفرقة، بل وعلى المسلم وغير المسلم مما يعنى أن الحدود فى الإسلام تتعامل مع الإنسان من منطلق مسئوليته عن مواقفه، ولعل فى تجربة دول العالم فى قانون الإعدام خير دليل حيث إنها تمنعه فى فترات ثم تعاود استئنافه فى فترات اخرى مما يؤكد حاجة المجتمعات لأساليب ضبط تحد من اتساع الجريمة.

حقوق الإنسان حاول البعض أن يجعل منها المقصلة التى تعدم عليها منهجية إقامة حدود الله - ففشلوا - لأن حقوق الإنسان لم تكن يوماً من الأيام فى حماته المجرمين بل فى بناء الصالحين فضيلة الشيخ محمد الغزالى «رحمه الله» حينما كنت برفقته بالسيارة من بيته لمطار القاهرة حيث لبى دعوة لزيارة المملكة العربية السعودية، كان يتحدث معى عن أشياء كثيرة ولكن ما شدتنى كثيراً وتذكرت حديثه عن الملك عبدالعزيز «رحمه الله» مؤسس المملكة العربية السعودية حيث يقول شيخنا الغزالى كمحب ومعجب بالملك عبدالعزيز إنكم أيها السعوديون لا تعون وتدركون تماماً الجهد الذى بذله فى جعل راية لا إله إلا الله محمد رسول الله علما للسعودية، فالغرب وأعداء الإسلام لولا المكانة التى كان يحتلها الملك عبدالعزيز لما تمكن من تحقيق ذلك الإنجاز العظيم، داعيا لنا شيخنا الغزالى «رحمه الله» أن نوفق فى حماية راية التوحيد من أعداءالله.

لذلك أقول لكل الإخوة المخصلين من العرب والمسلمين والأصدقاء المحبين والأعداء المحترمين فى العالم أجمع أن المملكة من أكثر دول العالم حماية لحقوق الإنسان والمؤشرات كثيرة سواء فى داخل المملكة أو خارجها. والجميع يتذكر حينما زار الأمير عبدالله بن عبدالعزيز «حفظه الله» الصين أخيراً حينما خاطبه الرئيس الصينى قائلاً

أنتم السعوديون محظوظون بالبترول، فابتسم الأمير عبدالله قائلاً له إننا محظوظون بوجود الحرمين الشريفين وليس بالبترول».

ملحوظـــــة: الدكتور يرتدى درع السعودية ليدافع عن الإسلام. الإسلام له رب يحفظه ويحميه. وكل ما نتمناه أن تعيد السعودية فهم حدود الله لأننا أيضاً محظوظون بوجود الحرمين الشريفين فى هذا البلد الأمين الذى حمل الأمانة من محمد بن عبدالله ﷺ إلى محمد بن عبدالوهاب الذى نحترمه وإن كنا نختلف معه.

ما موقف فقهاء هذا الزمان من قانون سنة ٢٠٠٠

○ **العدالـــة الأمريكيـة:**

السماح لوفد دعم العدالة وتليفزيون أمريكا بتصوير قضايا الخُلع بعد منع مصورى الصحف المصرية من الحضور

منع مسئولوا محكمة شمال القاهرة مصورى الصحف المصرية من دخول محكمة القاهرة للأحوال الشخصية والتقاط إية صور داخل المحكمة.. كما تعدى المسئول الإدارى على المصورين خارج المحكمة، وفى نفس الوقت وتحت حماية المسئولين قام وفد أمريكى تابع لمشروع «**دعم العدالة بين مصر وأمريكا**» ومعه العاملون بقناة "E.B.C" الأمريكية بدخول المحكمة.. وتصوير القضايا أثناء نظرها أمام المحكمة بحرية كاملة.

الوفد الأمريكى قام بزيارة المحكمة وتصوير ٧٣ قضية بينها ١٣ دعوى خُلع نظرتها محكمة شمال القاهرة برئاسة المستشار جمال رجب بعضوية القضاة أيمن حسين ومجدى سلامة وأحمد المنشاوى وأمانة سر على عزت.. كما أجروا حوارات سجلت بالفيديو مع أطراف قضايا الخُلع.. وتأتى الزيارة لمتابعة التطور التشريعى فى مصر بعد صدور القانون رقم ١ لسنة ٢٠٠٠ الذى يعطى المرأة المزيد من الحقوق ومن بينها حق الخُلع.

(الأخبار ٥/٦/٢٠٠٠م)

○ **العدالـــة الإسلاميـــة:**

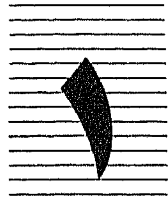
فى محكمة الأحوال الشخصية

حالة غضب من الازواج الذين رفضوا تسلم مقدم الصداق

شهدت محكمة القاهرة الكلية للأحوال الشخصية أمس جلسة مثيرة حيث رفض أكثر

من مائة زوج ـ وهم فى حالة غضب شديد ـ قضايا الخُلع التى رفعتها ضدهم زوجاتهم وأعلنوا تمسكهم بزوجاتهم ورفضوا تسلم مقدم الصداق فيما عدا زوج واحد تسلم من زوجته جنيهاً واحداً ثم انحرط فى حالة بكاء شديد بنيما أصر زوج آخر على أن يكون فضيلة المفتى هو الحكم الوحيد بينه وبين زوجته عقدت المحكمة جلستها أمس برئاسة محمود خليل رئيس المحكمة وعضوية القاضيين رضا الحسينى وأيمن عبدالحميد وأمانة سر صلاح رضوان وكانت المحكمة خصصت جلسة أمس على الأزواج والزوجات أو الموكلين عنهم، وفشلت المحكمة بعد محاولات كثيرة فى الصلح بين ١٠٠ زوج وزوجة، وقررت المحكمة تأجيل جميع الدعاوى لعرض الصلح مرة أخرى على الأزواج. وداخل المحكمة حدثت بعض المواقف المثيرة من بينها إصرار مهندس على التمسك بزوجته التى تعمل سفيرة فى الأمم المتحدة، وطالب أن تحضر زوجته بنفسها من أمركا وتقف أمامه داخل المحكمة كما رفض استلام مقدم الصداق من قبل محامى زوجته وهو جنيه واحد وطلب الزوج أن يكون الحكم بينه وبين زوجته هو مفتى الجمهورية، فقررت المحكمة تأجيل الدعوى لعرض مقدم الصداق مرة ثانية على الزوج وقرر زوج آخر أمام المحكمة أنه تزوج من زوجته التى طالبت بخُلعه منذ ستة أشهر على زوجته الأولى وأنه اشترى لها سيارة فارهة وشقة بمليون جنيه وكتب لها جزءاً كبيراً من ثروته وعندما أيقنت أنه أشهر إفلاسه أسرعت إلى المحكمة لتخلعه ورفض الزوج استلام مقدم الصداق وأبدى رغبته فى تطليق زوجته مقابل تنازلها عما أعطاه لها. وزوج آخر يعمل مهندساً لم يجد مفراً من استلام مقدم صداقه من زوجته المدرسة وهو عبارة عن ربع جنيه ثم انخرط فى بكاء مرير أمام المحكمة، فقررت المحكمة تأجيل نظر كل الدعاوى لعرض الصلح مرة ثانية على الأزواج والزوجات.

(الأهرام ١٢/٦/٢٠٠٠م)



مولد آدم

قصة الخلق

﴿هل آتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا﴾ الإنسان ١

﴿الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ السجدة٧

﴿قل سيروا فى الأرض وانظروا كيف بدأ الخلق﴾ العنكبوت ٢٠

التفسير العلمى لهذه الآيات أشعل حربا بين المسلمين. تمسُّكُ فقهاء هذا الزمان بالتفسيرات السلفية أوقعهم فى مأزق عديدة.

المـآزق الفقهيـة

المأزق الأول: الناسخ والمنسوخ.

المأزق الثانى: أسباب الترول.

المأزق الثالث: غموض النص. بدء الخلق. النور. الماء.

المأزق الرابع : الكائنات الحية. بدء الحياة. الروح أمر.

المأزق الخامس: التطور.

المأزق السادس: قفل باب الإجتهاد.

قدر العلماء عمر الأرض بملايين الملايين من السنين. وقسموا فترات تطورها إلى حقب، كل حقبة بمئات الملايين:

١ ـ حقبة الحياة العتيقة.

٢ ـ حقبة الحياة المتوسطة.

٣ ـ حقبة الحياة الحديثة، وأخيرا جدا.

٤ ـ حقبة الحياة الأخيرة التى بدأ فيها ظهور البشر ثم ظهور الإنسان. هنا لحظة العبور من البشرية إل الإنسانية. يوم العيد الأكبر! «يوم السبت»، يوم أخذ ربك العهد على كل إنسان، كل بنى آدم من بدء «ظهورهم» Appearance على مسرح الحياة، وليس من أصلابهم ولا من ظهورهم Back,s فلم تكن أصلاب وظهور الخلق قد خلقت بعد. نحن لن نحتفل بعيد ميلاد الأرض ولا بظهور البشر نحن «الأناسى» يمكن أن نحتفل بعيد الإنسانية «يوم ميلاد آدم». يوم يحتفل به كل إنسان. كل عقيدة لها عيدها الخاص بها، لكن عيد ميلاد آدم هو عيدنا كلنا، لماذا أخذ العهد فى هذه اللحظة؟ أجاب الله فى ذات الآية ﴿أن تقولوا يوم القيامة أننا كنا غافلين﴾. فهل يعقل أن يخلق الكون من ملايين السنين من أجل خليقة أوخليفة عمره آلاف السنين؟. الواقع أن خلق الإنسان استغرق كل هذا الزمن نشوءا وإرتقاء. كل ما خلق قبله كان لإعداد المسرح لظهوره.

نحن الآن فى سنة ،١٤٢١ هجرية، ١٧١٧قبطية، ٢٠٠٠ ميلادية، ٥٧٤٢ عبرية فالتاريخ العبرى يبدأ من «خلق العالم» ربما يَثْبُتُ أن التاريخ العبرى يبدأ بخلق آدم لا يخلق العالم فما هى قصة الخلق؟ هل يمكن الإعتماد على الكتب المقدسة التى ذكرت تاريخ الخلق بالتحديد؟ هذا مستحيل فقد قررت عقيدة أول الموحدين «شعب بنى إسرائيل» أن الكون كله بدأ فى الساعة التاسعة صباحا يوم ٦ أكتوبر سنة ٤٠٠٤ قبل ميلاد المسيح. العالم الآن يضحك على هذه الفكاهة. فما هى الحقيقة؟ الغريب أنه يمكننا الكشف عن هذا التاريخ بفضل العلم الحديث وبفضل الفهم العميق للقرآن الكريم. وبما أنه قد مضى على الحضارات القديمة: الصينية والمصرية القديمة أكثر من ضعف التاريخ الذى حددته التوراه لخلق الكون، فلابد أن ظهور آدم أول العاقلين كان أبعد من التواريخ الهجرية والميلادية. وسأثبت لك أن كلام الله صيغ بطريقة مذهلة بحيث لا يتعارض أبدا مع مكتشفات العلم الحديث وعلوم الأزمنة القادمة.

إصطلح المسيحيون على تسمية الكتابات اليهودية المقدسة قبل ظهور السيد المسيح بالعهد القديم. وبما أن اليهود لا يعترفون بالمسيح ولا بالعهد الجديد، فهم لا يقرون تسمية كتابهم المقدس بالعهد القديم. كتابهم المقدس يشمل الكتب التالية:

أسفار موسى الخمسة: (التكوين - الخروج - اللاويين - العدد - التثنية) وسفر الأنبياء والكتب: (كتوبيم: أسفار متنوعة - المزامير - أيوب - نشيد الأنشاد - مراثى أرمياء - الجامعة - أستير) فضلا عن التوراه غير المكتوبة المتداولة شفوياً. لقد تعدلت نصوص وأضيفت نصوص. زيدت تفسيرات وتحولت تعابير قديمة إلى تعبير مستحدثة. حدث هذا بسبب أخطاء اقترفها الناسخون. المجمع الدينى لم يقر هذه الكتب كلها وإعتبر بعضها لا يمت بصلة للتوراه وبعضها الآخر فائضا لا فائدة منه لأنه تكرار، كما أن مضمون بعضها لا يتفق مع الأهداف التربوية للتوراه وترجم بعضها الآخر إلى اليونانية وأطلق على كل الكتابات البعيدة عن متناول يد القارئ العادى: الأسفار المستورة أوالمخفية «قراءات فى التوراه، محمد وحيد خياطة».

القول بأن آدم ليس أبو البشر، يصطدم بآيات التماب المقدس عند اليهود والمسيحين ويتنافى تماما مع ما ذكر فى سفر التكوين. لكن المدهش والعجيب أنه لا يتعارض مطلقا مع القرآن الكريم هذا ما يقوله موريس بوكاى، الذى ظل سنوات طويلة يبحث عن خطأ مماثل لينكر جميع الكتب السماوية ففشل. وخرجنا من المأزق بفضل جهوده، فقد ذكر فى القرآن الكريم مرارا أن أدم خلق من تراب وأننا كلنا نسل رجل واحد ﴿ذرية بعضها من بعض﴾ آل عمران ٣٤. لكن الله لم يحدد أبدا أويذكر بوضوح كيف حدث هذا ولاكيف تحول التراب إلى لحم حى، والجماد إلى كائن حى فريد، بل إلى سيد الكائنات. خلق الله من كل شئ زوجين اثنين والإنسان سيد الأشياء. ولكى يتكاثر ويتناسل لابد من أنثى. فهل خلقت حواء خلقا مستقلا من تراب الأرض أيضا أم من ضلعه الأعوج كما جاء فى الكتب الأخرى المقدسة. لم يذكر القرآن هذا أبدا.

﴿وخلقناكم أزواجا﴾ النبأ ٨، ﴿ومن كل شئ خلقنا زوجين﴾ الذريات ٤٩

كان على العلماء الدين الذين يحترمون أنفسهم أن يعترفوا بخطأ ما جاء فى العهدين القديم والجديد وقد فعلوا وبرروا ذلك بأن كتّاب الكتب المقدسة «بطرس» و«متى» و«حنا» و«بولس »و«غسرهم،» من البشر، والبشر قد يخطئون. لم يدعوا أبدا أن هذه الكتب نزلت من السماء، ولا أنها وحى إلهى لموسى وعيسى، ولا أنه لا يأتيها الباطل من بين يديها أومن خلفها. ومع ذلك تمسك الأتباع بكل ما كتبه بشر مثلهم وظلوا مؤمنين بحرفية النص وظاهرية المعنى فبقى إيمانهم أعمى. فأضطر المقهورن بجبروت الكهنوت إلى

إعلان الإنفصال عنها. فإنشق مارتن لوثر عن الكاثوليكية وأعلن مذهبه الجديد البروتستانتية، وبدأ عصر التنوير. ظل الأرثوذوكس أرثوذوكس، ينعمون بعلوم الدنيا ويحاصرون النص لحمايته، فإنحسر الدين عن العقل وقبع فى القلب، فى القفص الصدرى تحت حراسة مشددة من الكهنة. أساطير الكتاب المقدس القديم تستبد بالأتباع وتحجب عن عقولهم نور قلوبهم ونور العلم وسيطرت الكنيسة بأسرارها السبعة على مصير الإنسان منذ ولادته وتعميده إلى التناول والمورمون ثم دخوله سجن الزوجية والإعتراف، حتى إنتقاله من الكهنوت إلى الملكوت. هذا بالضبط ما كان يتمناه الفقهاء المسلمون، أئمة الفقه العقابى، لكن رحمة ربنا بنا قضت بأنه لا رهبانية فى الإسلام.

المدهش أن القرآن لم يذكر أبدا تاريخا محدد لبدء الخلق ولا كيفيته، كلف المخلوقات بهذه المهمة. وترك المؤمنين به أحرارا بلا أى سلطة دينية، ودنيوية. المسالمون منهم هم الذين ابتدعوا الفقه فوقعوا فى أسره. خرج الإسلام وحده من هذا المأزق لأنه لا يوجد نص واحد فى القرآن يتعارض أبدا مع علم ثبت صحته. ذكر ربنا أنه أنبتنا من الأرض نباتا. نصح الراعى رعيته يالتدبر والتعقل والتفكر وأصدر أمراً واجب النفاذ. ﴿قل سيروا فى الأرض وانظروا كيف بدء الخلق﴾ العنكبوت ٢٠. فرق جسيم بين تفسير الآية لعامة المسلمين وتنفيذ هذا الأمر بواسطة خاصة الخلق. الصحابة والتابعين والخلفاء الراشدين وغير الراشدين، والأئمة التسعة: سنة وشيعة، الإمام الأكبر والإمام الغائب وفقهاء المفسرون على إختلاف قومياتهم ومذاهبهم وأزمنتهم من سلف وخلف، الغائبون والمتربعون الآن على عرش الفقه والقادمون، كل هؤلاء مجتمعين أومنفردين ربما يكونوا قادرين على تفسير هذه الآية لكنهم عاجزون تماما عن تنفيذ الأمر. التفسير ممكن، الإعراب جائز، لكن التنفيذ مستحيل. لابد أن يلجأ هؤلاء جميعا إلى أهل الذكر من العلماء: علماء الدنيا وليس علماء الدين. بعد دراسات عميقة وأبحاث مضنية حول الأرض وفيها، وفوقها وتحتها، أعلن علماء البيولوجيا مبدأين:

١ ـ المبدأ الأول: أصل كل الكائنات واحد. لكن رغم أن هذا قد يوحى بأن الإنسان تطور من سلالة أخرى فإنه لا يتعارض أبدا مع ما جاء فى القرآن الكريم. فتحتم علينا أن نبحث فى القرآن عن إجابة حاسمة تفض الإشتباك بين النظريات المشتجرة المتعارضة. هل خلقت الكائنات الحية مستقلة الأنواع؟ هل هى وجوه مختلفة لمخلوق

واحد: وحدة الأصل واختلاف الشكل؟. نظرة فاحصة فى عالم النبات والحيوان تنفى الخلق المستقل لكل نوع وجنس وشكل على حدة وتستبعد الصدفة تماما.

تؤكد نظرية «التطور الخلاق Creative Evolution» أنه لا خلق بلا تطور، ولا تطور بالصدفة. لكن هل يعقل أن يبدأ الكون من ملايين السنين من أجل إنسان عمره آلاف السنين؟ القرآن الكريم يؤكد غير ذلك. ولنثبت هذا للمؤمنين كان علينا أن نجتاز عدة مآزق لنفهم قصة الخلق. ورغم معقولية المبدأ الأول إلا أن علماء البيولوجيا أفترضوا المستحيل فقد أعلن دارون:

٢ - المبدأ الثانى: الخلق تم بالصدفة

المأزق هذه المرة وقع فيه كل المؤمنين «بالقدرة الكنيَّة» فأجمع الموحدون بالله من كل العقائد، يهود ومسيحين ومسلمين، على تسفيه رأيه ومنع نشر نظريته أوتدريسها. المبدأ الثانى أضاع المبدأ الأول. أقحم المسلمون أنفسهم فى هذا المأزق بلا داع فأنكروا المبدأ الأول واستنكروا المبدأ الثانى رغم أنه لا يوجد نص قرآنى واحد ينفى فكرة التطور والنشوء والإرتقاء.

أوضح لهم العارفون أن الصياغة القرآنة بالغة الدقة وتتوافق تماما فى كل مكان وفى كل زمان مع عقول العلماء والبسطاء منذ «ليلة» الإنزال التنزيل عبر كل العصور، إلى البعث والنشور «يوم» ينفخ فى الصور. إتضحت الحقيقة الآن فقد أصبح عامة الناس يدركون كيف أن حيوانا منويا واحدا لا تراه العين، بقدرة الله وبفضل الحاكم بأمره، المتربع على عرش الخلية، القابع فى نواتها، أن يتحول، بعد إخصاب الخلية الأنثى، إلى إنسان كامل من شحم ودم وعظم وأجهزة بالغة الروعة والتعقيد. ليس هذا فقط بل إلى كائن قادر أيضا على التناسل والتزاوج وإنتاج مثله. كل الناس يؤمنون أن أباهم واحد. وأن آدم هو والد كل الملايين التى ماتت والتى تعيش الآن والتى سوف تولد، بإختلاف ألوانهم والسنتهم وأشكالهم. استقر فى ضمير المؤمنين أن لهذا الكون الرائع خالقاً، وأن القول بالصدفة، ليس إلا إنكاراً للعقل وكفراً بولى النعم. لكن هل يكفى الإيمان وحده لإنكار الصدفة ومحاجاة المتشككين والملحدين، وهم مع الأسف الشديد إخوان لنا من ذات الأبوين. فتحتم علينا لكى نخرج من هذا المأزق إعادة قراءة آيات الخلق من جديد.

وكان لابد للخالق، رحمة بمن ينكر، وبمن يؤمنْ بغير علم، أن يُسَخِّرَ بعض خلقه لإثبات أن الصدفة مستحيلة. وقد كان. ليطمئن المسلمون كما إطمئن أول المسلمين أباهم إبراهيم.

كان على الزمان أن ينتظر بزوغ علوم جديدة تنفى الصدفة أوتفسرها. نور العلم يؤدى إلى إنحسار ظلام الجهل. هل يستوى الذين يعلمون ويعلمون والذين لا يعلمون ولا يعملون؟. هلّت المعرفة وانترت السماء بالكواكب العالمه وأشرقت الأرض بعلم ربها. وانبثق فكر علماء الدنيا، ليهدى علماء الدين إلى تفسير ما خفى عنهم واستحال عليهم.

١ ـ ظهر علم الهندسة الوراثية Genetic Engineering والبيولوجيا الجزئية Molecu-lar Biology فأثمرت جهودهم خلقا جديدا وفريدا ومختلفا «النعجة دوللى». وحتى لا يصيبهم الغرور ولا يهتز الإيمان اليقينى فقد كانت هذه الآية الكريمة: ﴿أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين﴾ الصفات ١٢٥

٢ ـ ثم ظهر علم الهندسة الجزيئية Fractal Geometry. إنطلقت هذه العلوم الجديدة لتحدث ثورة فى أواخر القرن العشرين وفى العلوم الطبيعية «الفيزياء» والفلسفية والدينية الإيمانية، مثل الثورة التى حدثت أوائله، والتى كشفت أسرار المادة: نظريتى النسبة العامة والخاصة وميكانيكا الكم Relativity& Quantum Mechanics

إكتشف النظرة الأولى قوانين العلاقات الخارجية للمادة وكشف الثانية عن قوانينها الداخلية. فانهمرت الأسرار من المجرة وإنفجرت الأسرار الكامنة فى الذرة. وأثبت التطبيقات العلمية صدق النظريات. دقة التطبيق أثبتت سلامة التنظير. فمشينا على القمر وصورنا وجهه الاخر واقتربنا من المريخ بل وتم تصوير بدايات خلق الكون، لتأكيد نظرية الإنفجار العظيم Big Bang. المهم أن كل ما إكتشف حتى الآن لا يتعارض أبدا مع نص واحد من القرآن. بل كان له فضل تفسير ما عجز عنه أئمة السلف وسيظل فقهاء المفسرين المعاصرين عاجزين.

٣ ـ لكن بقيت مسألة الصدفة، نقطة صعبة، محيرة ومحرجة. نقطة ضعف عند المؤمنين بالعقل والنقل، ومركز قوة الهجوم على من إيمانهم أعمى. وظلت كثير من الظواهر العشوائية أوالتى تبدو كذلك، غير خاضعة لقانون، كالتكوينات غير المنتظمة لشواطئ البحار وسلاسل الجبال والتلال الصخرية وتشكيلات السحب. وثار السؤال هل

لهذه التكوينات منطقا وقاعدة؟ هل تخضع لقانون؟ أم تتشكل بالصدفة؟. هذه التكوينات تتحدى الهندسة الإقليدية والفراغية ولم تهتم بها نظريتا النسبية والكم. أنبثق علم جديد بفضل التقدم الهائل فى الرياضيات. وأتضح أن الصدفة ضرورة وما يبدوا لنا فوضى ليس أبدا عشوائيا. فقد تم عمل نموذج رياضى للتكوينات المعقدة عشوائية المظهر، نمطية التكرار. وتبين أن لها «ذات». تم تكبيرها ودراسة تحولاتها عبر أزمنة وفى ظروف مختلفة يمكن إحصاءوها وإستخلاص قواعد تكرارها. فبزغ القانون، الذى يحكم مملكة الفوضى. ما عز على «دارون» أثبته «بنوا» البولندى و«فينوم» الألمانى. فقد تضافرت العلوم الجغرافية والحسابية والبرمجة الحاسوبية لإثبات أن: الصدفة ضرورة والضرورة قانون وللقانون واضع معز رافع. نظرية الفوضى Chaos تصور وتصف كونا خاضعا لإرادة حكيمة حاكمة، ومطيعا لقوانين فيزيائية أساسية لكن خير الماكرين صاغ القوانين الخفية وأوجد تكوينات تميل إلى عدم الإنتظام والتعقيد وعدم القابلية للتنبؤ، والإنسان اعقد واعقل هذه الكائنات. وبدلا من أن يستيقظ علماء الدين من ثباتهم العميق وتكاسلهم البليد وتمسكهم وإعتمادهم المطلق على العنعنة والجعجعة وإرتدائهم لعباءة السلف اتقاء لشر الإجتهاد وخشية الحركة تحجروا عند سلف فاضل كريم، بذل كل ما استطاعه فى ظروف غير مواتية، لو عاشوا زماننا رغم اختلاف مذاهبهم لجمعوا فقهاء هذا الزمان فوق أعلى قمة لإلقائهم جميعا دفعة واحدة فى وقت واحد فى بحر النسيان والهوان لأنهم لم يفطنوا إلى أنهم برفضهم الحوار مع كل العلوم الحديثة، وإصرارهم على تجاهل الواقع وإنكار فقه الحياة يحاربون الله ورسوله. انتقلت النظرية الجديدة بسرعة البرق وأضاءت جوانب المعرفة، من فلسفة إلى موسيقى ونقد وأدب فصدر وجلجل كتاب «الكلاسيكية والقمامة. التراث والمحرمات، فى الأدب الرفيع والأدب الشعبى الحديث» لمؤلفته هو بكيتر وناشرته هارفستر ينذر المتخلفين ويوقظ المترددين.

فقد سقطت حجة الفقهاء فى محاربة نظرية النشوء والإرتقاء والسخرية من مبدعها دارون. انهيار مبدأه الثانى زاد مبدأه الأول قوة، فتأكدت قصة الخلق وحينئذ اتضح كيف تطور كل شئ من شئ واحد، وليس من عدم كما يقول الفقهاء وليس من لا شئ كما يتصور الملحدون، لأن هذا ينكره الحس السليم Nothing Come From Nothing

وأصبح حقا علينا أن نبدأ من جديد ونبحث وننفذ أمر ربنا: كيف بدأ الخلق، الكون والكائنات؟ للإجابة عن هذا السؤال كان لابد لنا من الخروج من المآزق واجتياز عقبات من صنع فقهائنا:

المأزق الأول: الناسخ والمنسوخ

نبدأ بسورة النور

القرآن «قيما من قيوم». وسورة النور لها سر خاص وإلا لما ابتدأها بقوله ﴿سورة أنزلناها وفرضناها﴾ فكيف يتم نسخ الآية الثانية من هذه السورة؟ وهل يجوز لنا أن نتمسك بالحكم المنسوخ ونتجاوز ونتجاهل الحكم المعدل. وهلى يمكن للحديث الشريف أو ما حدث فى عهد الرسول أوبعده أن ينسخ آية فى القرآن.

١ ـ فرقت «السنة المرويه» بين زنى المحصن وغير المحصن فجعلت عقوبة الزانى المحصن رجلا أوامرأة الرجم حتى الموت وأختلف الفقهاء فى إثبات الزنى بالقرينة وهى حمل المرأة التى لا زوج لها أوالمطلقة أوالأرملة أوالعازية، تُحّد أولا تُحد؟ روى النسائى عن ابن كعب قال: كم تعدون سورة الأحزاب؟ قال ٧٢أو٧٣ آية. قلنا كنا نقرأ فيها والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله. فأين هذه الآية؟. تصور إلى هذا الحد يفترون على الله كذبا. يقصدون أن آية الرجم كانت من سورة الأحزاب ثم نسخت بالآية الثانية من سورة النور. وحذفت من القرآن ولم تدون عند جمعه. إلا يعنى هذا حتى لو كان قد حدث، أن حكمها قد زال وأن الآية الناسخة أفضل من الآية المنسوخة؟ وحتى لو كان الرجم قد حدث أثناء حياة الرسول، فهل نفذ رسول الله الرجم قبل سورة النور أم بعدها؟ وهذا يعنى أن عقوبة الرجم التى وردت فى السنة نسخت بالقرآن، أليس هذا أكرم وأقرب إلى العقل؟.

٢ ـ وهذا دليل آخر عقوبة الأمة إذا زنت نصف عقوبة المرأة الحرة. ﴿.. فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب﴾ النور ٢٥. فإذا كانت عقوبة المرأة المحصنة هى الرجم فكيف يمكن تجزئة العقوبة إلى النصف للأمة والعقوبة غير قابلة للتجزئة.

٣ ـ وهذا دليل ثالثها: لآل البيت فقه خاص. ضعف العقوبة. ﴿يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا﴾ الأحزاب

٤ ـ وهذا دليل رابع: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ النور ٣٣ أليست المكرهة كمغتصبة تماما؟ أين الرجم هنا؟ وأين النسخ؟ غفر الله لها وذبحها شيخ الأزهر السابق حين حرم إجهاضها قبل دب الروح (حلول النفس) وصمم على أن تلد لنا ابن حرام حتى لو كان الذى اغتصبها هو أخوها أوأبوها أوأحد المحارم. ياله من قرار باطل ورأى فاسد!

٥ ـ وهذا دليل خامس: ﴿يا أيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخروجهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا﴾ الطلاق «١» أى أن المطلقة التى أخرجت من بيتها لأنها ارتكبت فاحشة مبينة لم ترجم ولم ينص على رجمها.

٦ ـ وهذا دليل سادس: ﴿واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أويجعل الله لهن سبيلا﴾ النساء١٥ أين الرجم هنا. كل ما نبهت إليه فى كتابى الأول «الإجهاض ضرورة قومية» والذى صادره شيخ الأزهر السابق أفتى بصحته المفتى السابق شيخ الأزهر الحالى والمفتى الجديد.

بعض خلق الله اسمهم الفقهاء أدخلوا الإسلام فى مأزق. يقولون علنا وبلا أى حرج أن القرآن نسخ نفسه. شئ مؤسف!. يقول الشيخ الإمام المحقق هبة الله أبى القاسم بن سلامة فى كتاب حققه الشيخ الإمام أبى الحسن بن أحمد النيسابورى، أن العلم بالنسخ والمنسوخ لا يقل أهمية عن العلم بالحلال والحرام، والحدود والأحكام، والمقدم والمؤخر، والطلق والمقيد والأقسام والأمثال، والمجمل والمفصل، والخاص والعام. وأن كل من تكلم عن القرآن وهو لايعلم الناسخ والمنسوخ فهو ناقص وقال:

المنسوخ على ثلاث أحزاب:

١ ـ ما نسخ خطه وحكمه.

٢ ـ ما نسخ خطه وبقى حكمه.

٣ ـ ما نسخ حكمه وبقى خطه.

أما عن الأولى فقد رُوى عن أنس بن مالك وابن مسعود أن سُورة بأكملها قد مُحيت! ابضت صفحاتها بعد أن كتبت! فهل محيت أيضا من اللوح المحفوظ. والثانية آية الرجم!

فى نهاية بعض المصاحف نجد جدولا بأسباب نزول بعض الآيات فى ١٠٢ سورة، هل نضيف صفحة جديدة لنحذر من لايعلمون بالناسخ والمنسوخ؟ أى نضيف فى نهاية المصحف جدولا بالسور التى دخلها المنسوخ ولم يدخلها ناسخ «٤٠سورة» وما نسخ حكمة وبقى خطة «٦٣ سورة» وتحذيرا القارئ يخطره بأن السور التى دخلها الناسخ والمنسوخ «٢٥سورة» والقرآن كله ١١٤ سورة!. الكتاب الذى نزل به الروح القدس على قلب محمد حفظه الله. **ما نزل شئ ونسخ وما نزل شئ وضاع**. هذا أمر مخجل وسخيف وغير لائق، ومن يقول به متكبر جاهل أومغرور معتوه، بلا أدنى شك. وحتى لا أزيد من عذاب النفس وتعذيب القارئ الرشيد. فإننا نعرض السبب والنتيجة. السبب هو: غياب منظومة عقلية دينية راشدة.

والنتيجة هى أن رواية حديث واحد: «حديث الغرانيق» وعجز المفسرين وقصور فهمهم هو الذى صور لهم وجود الناسخ والمنسوخ. الآيات الخمس التالية أضلت العمائم صقور وحمائم.

١ - ﴿ما ننسخ من آية أونفسها فآت منها أومثلها﴾ البقرة ١٠٦. نجد أن هذا التصور الفاسد أدى إلى القول بأنه قد تغيرت آيات وتبدلت أخرى، ومحيت آيات ونسخت أخرى، ورفعت آيات وأنسيت أخرى. كنتيجة حتمية لتفسيراتهم المضللة للآيات الكريمة التالية:

٢ - ﴿وأن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا﴾ الإسراء ٧٤/٧٣ النبى نفسه لم يفتر على الله بأخفاء ما قد يسىء إليه أو يشكك فيه.

٣ - ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى القى الشيطان فى أمنية فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم آياته﴾ الحج ٥٢

٤ - ﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت﴾ الرعد٣٩

٥ - ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون﴾ النحل ١٠١

المعنى الغائب عن السادة الأفاضل أن الله ينسخ حكما أوآية فى شريعة أخرى أما القرآن فقد حفظه الله وضيعه الفقهاء. شارحى التفسيرات العتيقة كان صدرهم أوسع وعلمهم أقل فوضعوا لكل آية عشر مسائل، أقل أوأكثر، فإتسعت الإحتمالات. لكن فقهاء عصر السرعة والبترول والانترنت سهلوا التفسير على راغبى المعرفة السطحية فأقتصر كل واحد منهم على ما يراه وحده،فضاق الفهم على الناطقين بالعربية واستعصى على غيرهم، لأن الترجمة المتاحة لغير الناطقين بلغة الضاد التزمت بالمعنى الذى حدده المفسر بعد أن جرد اللفظ من المعانى الكامنة العديدة والمحتملة، والتى أخفاها الله عنه حتى يأذن بها لمن هو خير منه. فإذا اصطدم مثل هذا الفقيه بمعان متضاربة، وإذا فشل فى حل التناقض الظاهر تحجر فكره على ظاهر اللفظ وقيده منطق الأولين فمنعه من الانطلاق إلى أعماق المدارات المحيطة به وبذلك يكون قد حرم نفسه من لذة العبور من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، استكبر وتجرأ على الله وقال بجهل فاضح أن جزءاً من أية أوآية قد نسخت آية أخرى، أو أن سوره بأكملها قد محيت إستغفالا منه للعابدين وظلما للمعبود واستغاث بالمرويات الإسرائيلية، دافع عنها وتمسك بها وحفظها وحرم علينا تطهير التراث منها جامعات إسلامية وكليات وأقسام وأساتذة متفرغون لفبركة معنى «النسيان والنسخ» فأوحوا لنا بخبث أوبجهل أن الله استدرج العرب بآيات الرحمة حتى يؤمنوا به فلما تم المراد، نسخ بآية السيف كل ما كان قد وعد به من حرية وغفران. أعلن الحرب على المؤمنين به. فآية السيف فى نظرهم قد نسخت كل آيات حرية العقيدة ونفت «لا» إكراه فى الدين، ونفى النفى إثبات. فثبت عند الممسوخين الناسخين، أن الإكراه ضرورة، والتبشير حرب، والفتوحات غزوات السيف هو الحق والحل هو الحرب وللحرب سبايا، وهذا هو المهم. هذا هو الجهاد المفضل لأن النتيجة فورية وحلوة. والأسيرات سواء من أعداء الله أو من المؤمنين به «ملك يمين»للغزاة.

أشاوس العراق اغتصبوا الكويتيات، ومسلمات بنجلادش اغتصبهن مسلموا باكستان. ولهم فى رسول الله أسوة حسنة. فقد وزع سبايا سراياه على نفسه وعلى الصحابة. أى ظلم هذا للرب العظيم وللرسول الكريم؟ لقد أعلن الرسول الحب لا الحرب على من أعلن الحرب عليه من الكفار والمشركين، وأعلنت زوجته عائشة الحرب على المسلمين فقتل وأسر المئات منهم فى الفتنة الكبرى: موقعة الجمل وأيام البلاء فى كربلاء. ووقعت

زوجة النبى نفسها أسيرة لعلى كرم الله وجهه واستعطفته «إذا ملكت فإسجح». والآن نحن نتمذهب بالسنة ونتشيع لعلى، ونعلن الحرب بالجهل على بعضنا وبالظلم على رسولنا وبالإفتراء على ربنا.

هذا هو فهم الفقهاء حتى اليوم لمعنى «ملك اليمين: فهن الجوارى، العبيد، سبايا الجهاد، أسرى الحرب.

Prisoners of War Captives of Gehad

١ - عن «ملك اليمين» يقول القرطبى (١) ص ٩٠٩. الإيمان جمع يمين، واليمين الحلف، وأصله أن العرب كانت إذا تخالفت أوتعاقدت أخذ الرجل يمين صاحبه بيمينه، ثم كثر ذلك حتى سمى الحلف والعهد نفسه «يمينا». وقيل «يمين» فعل من اليمن وهو البركة، سماها الله بذلك لأنها تحفظ الحقوق، ومين تذكر وتؤنث وتجمع، إيمان «يمين القسم» وأيمن يمين الاتجاه العرب تمدح، بكثرة الإيمان وقلة الإيمان.

قليل الألايا حافظ ليمينه وإذا صدرت منه الألية برت

وقد صدر كتابى «ملك اليمين» لينفى هذا الفهم الخاطئ والظلم البين.

٢ - وعن الرجم: رجم الرسول ماعزًا والغامدية. إجتهد الرسول قبل نزول آية ٢ من سورة النور. كما حدث منه اجتهاد فى شأن أسارى بدر. فنزل القرآن بحكم ينقص اجتهاد الرسول، هكذا يقول العلماء. الراوى لم يذكر زمن الرجم وما إذا كان قد تم قبل نزول آية الجلد. فالجلد قد نسخ الآية التى ادعوا أن الفاروق عمر قد رواها «والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة» هل الزنى قاصر على الشيوخ؟ أنظر سذاجة اللفظ ورداءة المعنى! تعالى الله عما يدعون. أما إذا كان الرجم قد تم بعد الآية فليست الأحاديث النبوية ناسخة للقرآن أبدا ولا يمكن أن يعقل وذلك. القرآن ينسخ ما جاء بالتوراه لكنه لا ينسخ نفسه والنبى لا ينسخ بفعله أوبقوله حكم ربه.

الإنجيل ليس ناسخا للتوراه، وليس القرآن ناسخا للإنجيل. القرآن ناسخ للتوراه فقط فالإنجيل ليس إلا أدعية وتسابيح، مواعظ وزواجر. عن كتاب «لا نسخ فى القرآن» للدكتور السقا.

حكم الزانية والزانى فى التوراة

١ ـ إذا دخل رجل على امرأة لم يجد لها عذرة ترجم هذه المرأة.

٢ ـ إذا زنى رجل بالمرأة المتزوجة يقتل الرجل والمرأة.

٣ ـ إذا زنى رجل بفتاه عذراء مخطوبة، فى المدينة برضاها يرجمان معا.

٤ ـ إذا زنى رجل بفتاه عذراء مخطوبة، فى الحقل بغير رضاها يقتل الزانى وحده ولا تقتل المرأة.

٥ ـ إذا زنى رجل بفتاه عذراء غير مخطوبة تعطى له زوجة ولا يطلقها كل أيامه. والقانون الأسود ٢٩١ فى التشريع المصرى

٦ ـ إذا تدنست ربنة كاهن بالزنى فقد دنست أباها وبالنار تحرق سفر اللاويين ٢١:٩ الإصحاح الثانى والعشرين سفر التثنية.

أما فى القرآن

﴿فالزانى لا ينكح إلا زانية أومشركة والزانية لا ينكحها إلا زانى أومشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾ النور٣. نسخ الآية ردة إلى شريعة سابقة يقول القرطبى أن هذه الآية من أعاجيب القرآن لأن لفظها الخبر ومعناها النهى، وتقديره: لا تنكحوا زانية أومشركة إنما يرغب فى ذلك من هو على شكلها من الفسقه والمشركين وحرم ذلك على المؤمنين. والآية السابقة من سورة النور نسخت شريعة اليهود التى كان قد أنكرها المسيح أيضا على أتباعه حين قال: «من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها بحجر» فلم يرجمها أحد فكلنا خطاءون. أعوذ بالله الرحيم من الشيطان الرجيم.

وعن العدة: فى مناظرة تلفزيونية على القناة الفضائية أوربت ORBIT بينى وبين الأستاذة الدكتورة سعاد صالح أستاذة الفقه المقارن أحتجت بأن آيتين نسخت إحدهما الأخرى فى ذات السورة. البقرة ٢٣٤ / البقرة ٢٤٠ أنظر خطورة تجرأ أستاذة الفقه على الله.

﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا﴾.

١ ـ ﴿يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا﴾.

٢ ـ ﴿وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج﴾.

العدة كانت أربعة أشهر وعشرة أيام حسب الآية الأولى فأصبحت، سنة حسب الآية الثانية. وأصبحت وصية إذا شاءت الزوجة سكنت فى وصيتها وإذا شاءت خرجت، أى كانت الزاماً أربعة أشهر وعشرة أيام. لم يدرك الفقهاء فأصبحت لا الزام. ولم يعلم الفقهاء أن المتوفى عنها زوجها قد تكون: صغيرة، تبيض وتحيض أو مسنة آيسة. إنقطاع الطمث. وامتناع الحمل الذى كان مستحيلا أمس أصبح اليوم ممكنا بعد تقدم علوم الإخصاب والتكاثر، لذلك لا يجب نسخ الآية ولا أى آية. والوصية تقرأ بالضم «وصية» مبتدأ مرفوع وخبره أزواجهم. وتقرأ بالنصب «وصية» حمل على الفعل. بمعنى فليوصوا وصية كيف والميت لا يوصى؟ . وصية زوج أم وصية من اللهِ؟ هناك إحتمال آخر، ورد فى المنجد وصى، يصى وصيا بمعنى: خس بعد رفعه. فهل «الحول» قاصر على بعض الأرامل؟

عجيب المنسوخ:

١ - قول ابن حزم عن آية ﴿خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين﴾ الأعراف ٢٤٠ هذه الآية من عجيب المنسوخ لأن أولها منسوخ وأخرها منسوخ! نسختها آية السيف. ويعلق الدكتور أحمد السقا دكتوراه أصول الدين: هذا غباء وجهل وسوء فطنة وفهم، لأن الآية فيها جمل ثلاثة معطوفات بصيغة الأمر! فكيف يبرر لنفسه إحكام جملتين ونسخ الثالثة وسياق الثلاثة واحد.

٢ - يقول عن آية ﴿الزانى لا ينكح إلا زانية أومشركة﴾ أن هذه الآية من أعاجيب القرآن. لأن لفظها لفظ الخبر ومعناها معنى النهى، وتقديره، لا تنكحوا زانية ولا مشركة إنما يرغب فى ذلك من هو على شكلها من الفسقة والمشركين وحرم ذلك على المؤمنين. وعقاب الزانى هو الجلد فرضه الله فى الآية السابقة النور ٢.

٣ - ويقول القرطبى ليس فى كتاب الله آية تقدم ناسخها على منسوخها إلا هذه الآية ﴿ياأيها النبى أنا أحللنا لك أزواجك...﴾ الأحزاب ٥٠ ﴿لا يحل لك النساء من بعد...﴾ الأحزاب ٥٢. من هذا يتضح أن القول بالنسخ ليس إلا إعترافا بالجهل.

٤- وعن الخمر، كان ترتيب نزول الآيات هو:

(أ) ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا أن فى ذلك لآية لقوم يعقلون﴾ النحل ٦٧

(ب) ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما أثم كبير ومنافع للناس وأثمها أكبر من نفعها﴾ البقرة ٢١٩

(ج) ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلمون ما تقولون ولا جنبا إلا عابرى سبيل حتى تغتسلوا...﴾ النساء ٤٣

(د) ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فإجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ المائدة ٩٠. كل آية من هذه الآيات مُحكمة لا نسخ فيها، وتؤدى المعنى كاملا ومفهوما.

ملحوظة: هل هذا تدرج فى التشريع؟ هل التدرج فى التشريع يأذن بالتدرج فى التوبة؟ ويُسهل على التائب ترويض جوارحه؟ فبعضها سهل الإنقياد وبعضها ممتنع متمرد. الآيات موجهة لقوم يعقلون، وللمؤمنين، ليس فقط للمسلمين. هل هذا التدريج يعالج إدمان المعصية؟ هل نقتل المدمن؟ أم نساعده ليتوب ليقترب من النفع ويبتعد عن الضرر. بعض العصاة يعقد النية على التوبة لكنه يمر بمرحلة «بين بين» مرحلة انفصال الرغبة عن القدرة، النية عن الإرادة «لا عاوز يعصيه ولا قادر يطيعه» النهى عن الأقتراب من الصلاة أثناء السكر يُنظم الحركة من الإعتياد إلى الإعتقاد. لذلك لا يمكن ولا يجوز نسخ هذه الآية ولا أى آية.

المأزق الثانى: أسباب النزول

أدخل الفقهاء المسلمين أنفسهم فى مأزق جديد، قالوا أن القرآن أسباب نزول. فرد عليهم العاقلون والمتشككون، إذا اشتكت له زوجة نزلت آية لتهدئتها، وإذا رمته أخرى بحجر نزلت آية تلعنها، وإذا عدد زوجاته نزلت آية تصرح بذلك له وحده، وإذا غضبت إحدهن نزلت آية لردعها وتحذير الأخريات وإذا أنهمت زوجته وحبيبته عائشة فى شرفها نزلت آية لتبرئتها. كيف يكون هذا الكتاب مقدسا وآياته تترتل حسب ظروفه وعلى هواه؟ هذا السبيب ينفى قول الله أن الكتاب أزلى مسجل فى اللوح المحفوظ. كيف يكون قرآنا لجميع الناس فى كل العصور؟ ما شأن المسلمين غدا بما حدث فى الأمس البعيد؟ لم يحسن الفقهاء تفسير الآيات حين خفى عليهم تماما معنى كلمات بسيطة هامة «النفس، الروح، نسائهن، نفخ فيها، وفيه،.. وضربت على ذلك أمثلة كثيرة فى كتابى

سور القرآن حسب الترتيب الأبجدى

السورة	ترتيب النزول	ترتيب المصحف	السورة	ترتيب النزول	ترتيب المصحف	السورة	ترتيب النزول	ترتيب النزول
إبراهيم	٧٢	١٤	الزخرف	٦٣	٤٣	المجادلة	١٠٥	٥٨
آل عمران	٨٩	٣	الزلزلة	٩٣	٩٩	المدثر	٤	٧٤
الأحزاب	٩٠	٣٣	الزمر	٥٩	٣٩	المرسلات	٣٣	٧٧
الأحقاف	٦٦	٤٦	السجدة	٧٥	٣٢	المزمل	٣	٧٣
الإخلاص	٢٢	١١٢	الشرح	١٢	٩٤	المد	٦	١١١
الإسراء	٥٠	١٧	الشعراء	٤٧	٢٦	المطففين	٨٦	٨٣
الأعراف	٣٩	٧	الشمس	٢٦	٩١	المعارج	٧٩	٧٠
الأعلى	٨	٨٧	الشورى	٦٢	٤٢	الملك	٧٧	٦٧
الأنبياء	٧٣	٢١	الصافات	٥٦	٣٧	الممتحنة	٩١	٦٠
الإنسان	٩٨	٧٦	الصف	١٠٩	٦١	المنافقون	١٠٤	٦٣
الإنشقاق	٨٣	٨٤	الضحى	١١	٩٢	النازعات	٨١	٧٩
الأنعام	٥٥	٦	الطارق	٣٦	٨٦	الناس	٣١	١١٤
الأنفال	٨٨	٨	الطلاق	٩٩	٦٥	النبأ	٨٠	٧٨
الإنفطار	٨٢	٨٢	الطور	٧٦	٥٢	النجم	٢٣	٥٣
البروج	٢٧	٨٥	العاديات	١٤	١٠٠	النحل	٧٠	١٦
البقرة	٨٧	٢	العصر	١٣	١٠٣	النساء	٩٢	٤
البلد	٣٥	٩٠	العلق	١	٩٦	النصر	١١٤	١١٠
البينة	١٠٠	٩٨	العنكبوت	٨٥	٢٩	النمل	٤٨	٢٧
التحريم	١٠٧	٦٦	الغاشية	٦٨	٨٨	النور	١٠٢	٢٤
التغابن	١٠٨	٦٤	الفاتحة	٥	١	الهمزة	٣٢	١٠٤
التكاثر	١٦	١٠٢	الفتح	١١١	٤٨	الواقعة	٤٦	٥٦
التكوير	٧	٨١	الفجر	١٠	٨٩	سبأ	٥٨	٣٤
التوبة	١١٣	٩	الفرقان	٤٢	٢٥	ص	٣٨	٣٨
التين	٢٨	٩٥	الفلق	٢٠	١١٣	طه	٤٥	٢٠
الجاثية	٦٥	٤٥	الفيل	١٩	١٠٥	عبس	٢٤	٨٠
الجمعة	١١٠	٦٢	القارعة	٣٠	١٠١	غافر	٦٠	٤٠
الجن	٤٠	٧٢	القدر	٢٥	٩٧	فاطر	٤٣	٣٥
الحاقة	٧٨	٦٩	القصص	٤٩	٢٨	فصلت	٦١	٤١
الحج	١٠٣	٢٢	القلم	٢	٦٨	ق	٣٤	٥٠
الحجر	٥٤	١٥	القمر	٣٧	٥٤	قريش	٢٩	١٠٦
الحجرات	١٠٦	٤٩	القيامة	٢١	٧٥	لقمان	٥٧	٣١
الحديد	٩٤	٥٧	الكافرون	١٨	١٠٩	محمد	٩٥	٤٧
الحشر	١٠١	٥٩	الكهف	٦٩	١٨	مريم	٤٤	١٩
الدخان	٦٤	٤٤	الكوثر	١٥	١٠٨	نوح	٧١	٧١
الذاريات	٦٧	٥١	الليل	٩	٩٢	هود	٥٢	١١
الرحمن	٩٧	٥٥	المائدة	١١٢	٥	يس	٤١	٣٦
الرعد	٩٦	١٣	الماعون	١٧	١٠٧	يوسف	٥٣	١٢
الروم	٨٤	٣٠	المؤمنون	٧٤	٢٣	يونس	٥١	١٠

هذا الجدول من كتاب «التاريخ الكمى» للأستاذ الدكتور مصطفى زايد مع تطبيقات فى التاريخ الإسلامى. يقول سيادته من المفيد معرفة تاريخ نزول الآيات ويمكن معرفة ذلك من كتب التراث، ومن أسباب نزول الآيات. غير أن هناك العديد من الآيات لا نستطيع استخلاص تاريخ نزولها. ويمكن استخدام الأساليب الإحصائية فى تقديرها.

«زواج الملك اليمين». لم ينتبه الفقهاء لتعليل الحوادث، ولا للترابط المحكم الدقيق بين الآية والحدث، لم يفهموا وأصروا على إلا يفهموا، أن الأحداث ما هى إلا تنفيذ دقيق لوقائع مطابقة تماما للسيناريو الذى وضعه رب الكون، وسجله فى اللوح المحفوظ. وأن للقرآن توقيت نزول وليس أسباب نزول. لو لم يتزوج الرسول ﷺ من الطفلة عائشة، ولو لم تركب الجمل، ولو لم يتأخر ركبها، لما همهم المنافقون المضللون بحدث الإفك.وجود آية تبرئة عائشة فى القرآن معناه أن كل ما حدث كان يجب أن يحدث، لأنه قدر. أمر قدرة الله لحكمة يعلمها هو وحده أوقد نعلمها نحن حين يأذن لنا فى الوقت المناسب.

ربط الحكم بأسباب النزول يلغى عموم الرسالة وعالميتها وتجددها

١ ـ لابد لرب الكون، خالق العقل ومنزل الآيات أن يهيئ الواقع الأرضى ويضبط حركات هذا الواقع وسكناته كى تلتقى الآية بالحدث «توقيت نزول لا أسباب نزول» لنفهم الآية ونتفاعل معها.

٢ ـ يجب أن يمتد الحكم فلا يقتصر على حادثة بذاتها، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.ذكريات الماضى هى أحداث المستقبل، بصورة أخرى، فنتدبر ونعتبر

أهمية تاريخ النزول:

١ ـ تحديد الترتيب الحقيقى لنزول المصحف مع تاريخ نزول كل آية وبذلك نحصل على تسجيل تاريخى كامل للقرآن الكريم ويمكن أيضاً وصف كيفية النزول من حيث كم القرآن فى الفترات المختلفة. ٢ ـ معرفة الناسخ والمنسوخ فى القرآن حيث يفترض أن الناسخ يلى المنسوخ طبقاً لقواعد أصول الفقه. ٣ ـ النسخ بين القرآن والسنة: يختلف موقف الحديث من القرآن الكريم ويمكن تقسيم ذلك إلى أحاديث مؤكده، مبينة، ومستحدثه ومعارضة وتثار المشاكل فى الموقف الأخير وهو موقف التعارض وهنا توجد حالتين: ١ ـ نزول فالآية بعد الحديث وهنا لا توجد مشكلة والآية تنسخ الحديث. (ب) نزول الآية قبل الحديث وهنا حالتين:

(أ) الحديث غير صحيح. خفيف أو موضوع، وذلك فى أغلب الحالات وهنا لا توجد مشكلة. (ب) الحديث صحيح. وخاصة إذا كان من أعلى الصحيح، أو متواتر والوضع هنا

يعنى نسخ الحديث للآية، وذلك لمن يرون ذلك جائزاً. وهم قلة. مشكلة فى حاجة لبحث مع الرأى الغالب وهو عدم جواز نسخ السنة للقرآن. إذ أن ذلك يعنى رفض الحديث مما يتطلب مراجعة أسس وقواعد تقييم الحديث.

٤ ـ تحديد تاريخ الوقائع والمناسبة المصاحبة للآيات «أى التى نزلت الآيات بشأنها».

٥ ـ تحديد تاريخ نزول أحاديث القرآن والأحاديث المفسرة للقرآن وهذا موضوع حساس ذلك أن أحيلك إلى الكتاب المذكور.

لو كان فى القرآن آية واحدة صريحة تعلن أن الأرض تدور بمن عليها وأن الضوء سرعته ١٨١ألف ميل فى الثانية الواحدة، لما آمن أحد بمحمد. الأرض تدور قبل نزول القرآن لكن العقل لم يكن مؤهل لتقبل وتصديق هذه الحقائق الكونية. لم يتمكن المفسرون منذ مئات السنين من حساب سرعة البرق وسرعة أمر الله ﴿كلمح البصر﴾ حسبها بدقة فائقة المرحوم الدكتور المهندس منصور حسب النبى. سرعة الضوء هذه أستخرجها من آيتين ﴿أن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ الحج ٤٧، ﴿يدبر الأمر فى السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره آلف سنة مما تعدون﴾ السجدة ٥ وهذه هى سرعة الضوء. بعض الكائنات النوانية أسرع من الضوء بخمسين مرة. كالبراق الذى حمل نفسه الشريفة إلى بيت المقدس إلى سيرة المنتهى ﴿تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين آلف سنة﴾ المعراج ٤ الله وحده أعلم بحقيقة نوره. سدرة لم يعرف الفقهاء الفرق بين النفس والروح ولا بين البشر والإنسان ولا أمكنهم التفرقة بين الضوء والنور. أنت تقرأ الآن بعيون النهار فإذا غابت الشمس لابد من ضوء صناعى، إذا انطفأ المصباح لا ترى بينما الخفاش يرى، لأن عيونه مصممة على الرؤية فى الظلام، نهاره هو ليلك. تعاقب الليل والنهار هو حركة الضوء حول الأرض. الضوء Light. Lit. Licht بالإنجليزية والفرنسية والألمانية أما النور فهو لا يغيب أبدا لا ليلا ولا نهارا. إذا حرمت من نور عينيك فستبصر لكنك لن ترى. فى كل لغات العالم الضوء هو النور إلا فى لغة القرآن. فهو شئ من شئ. الضوء من النور وليس العكس. بعد أن ثبت علميا أن الأرض تدور، بحث المتشككون عى نص يفيد أن الأرض ثابتة. لأن ثبوت خطأ نص واحد معناه إنهيار البناء كله ونفى الوحى وإنكار الرسالة والنبوة. فبحث المؤمنون المحبون عن نص

يفيد أنها تدور فوجدوه. فشل الأولون وفرح المؤمنون. غموض آية أوالعجز عن تفسيرها شئ وخطأ المفسرين شئ آخر. ثبوت خطأ آية يؤدى بمصير الآيات الأخرى. لو قال إنها لا تدور، سيكفر من آمن، ولو قال أنها تدور لكان من المستحيل أن يؤمن من كفر بدعوته. الله يعلم ذلك. فكان لابد من صياغة الحقيقة بطريقة تجعل الفهم ممكنا وإكتماله مستحيلا. النص لا يتغير والآيات ثابتة راسخة ﴿إن كل شئ خلقناه بقدر﴾ القمر ٤٩. على قدر تطور الفهم وتغير البيئة ينبثق المعنى الكامن داخل ذات الكلمات، وأحيانا يلقى الله بنور علمه على قلب من يشاء من عباده. فتتدفق الحقيقة ينبوعا صافيا من قلب رجل من أحباب الله كالشعراوى مثلا. هذا هو العلم اللدنى. وسيظل فى القرآن أسراراً وما خفى كان أعظم وأطعم. الكلمة ثابتة والمعانى متحركة، تدور حول ألفاظها. الكلمة بسبع قراءات والمعانى فى سبع مدارات، ولكل مدار أهله وزمانه. كنز لا يفنى وعلم لا يبلى، لله أمور يبديها ولا يبتديها. آيات خلق الكون ودوران كل شئ فيه، قرأها ابن كثير والقرطبى وأئمة المفسرين ومع ذلك لم ينتبه الكبار إليها فأدركنا الآن قصور تفسير السلف الصالح وفرح المؤمنون. لكن ليس معنى هذا أنهم هم الذين إكتشفوا وأثبتوا وإستفادوا من دوران الأرض والنجوم. والرأى السليم هو:

١ ـ لا تجوز السخرية بعقل أى إنسان، الجاهل أوالحاقد أوالرافض، ولا الإستهانة به.

٢ ـ لا يمكن الإستغناء عن العلم والإكتفاء بالقرآن.

٣ ـ لا يجوز إثبات صدق الله بمعارف الإنسان.

سيظل الحال على ما هو عليه. سنظل فى حاجة إلى أن نعلم وسنبقى أبدا، اليوم وغدا وبعد آلاف السنين ما أوتينا من العلم إلا قليلا، فنتعلم الجديد ونعلم الفريد، **نحن نعلم والله أعلم. وفوق كل ذى علم عليم** وقد وعدنا ربنا أنه سيرينا آياته فى الآفاق. وعده ينفذ وعلمه لا ينفذ.

المأزق الثالث: غموض النص. بدأ الخلق. النور. الماء

كيف بدأ خلق الكون؟ ومتى بدأت الحياة؟

اثبت العلم الحديث أن ما توصل إليه دارون فى كتابه «أصل الأنواع» جائز ومحتمل ومعقول. ثار علماء الدين ولا زالوا ثائرين، هذا الجرئ الملحد يدعى ما يتعارض تماما مع

ظاهر ما جاء فى كل الكتب المقدسة بما فيها القرآن. هذا مأزق آخر لكن الرسول ورسالته نجيا أيضا منه، خرج الرسول ورسالته والمؤمنون العالمين من هذا المأزق الجديد، فليس هناك أى نص ينفى النشوء والارتقاء والتطور أو ينكر أويستنكر إحتماله. إذا عرض كتابى هذا على مجمع البحوث الإسلامية فسيتم مصادرته فورا ومنعه من النشر والتداول، كما حدث مع كتابى السابق لماذا؟ لأن مثل هذا الفكر سيزلزل بناء الفقه العتيق الهش، فتتساقط مفاهيم وأنظمة تستثمر وجودها من التراث وليس عندها ما تورثه للأجيال القادمة هذه الأجيال المظلومة سترث علوم الدنيا وتبتعد عن علوم الدين الغامضة الرجعية المتخلّفة بفضل القائمين عليها المنعمن برعاية الدولة المشمولين بعطف الرئيس. الفرحين بحياده لكنهم لم يلاحظوا أن حياده إيجابى. فقد استدرجهم إلى قانون الخلع ضربة معلم مؤيده بنص القرآن كاشفة عن ثُباتٌ الفقهاء العميق الذى استمر ألف ومئات السنين.

علينا أن نفر من إرهاب فقهاء هذا الزمان ونبدأ بداية صعبة لنقتحم مجال التفسير المسئول الواعى لابد من «هز الهلال» لماذا؟ لأن السلف الصالح أقرب زمانه إلى أيام الرسول ﷺ لكننا اليوم أقرب منهم له فهما وعلما نحن الأقرب والأقدر وغدا سيأتى من يزداد علما وقربا منا إليه ﷺ.

بداية خلق الكون والكائنات.. النور والماء

1 ـ النـــور:

فى الأول كان الله ولا شئ معه، نقف قبيل نقطة البداية، ننطلق من ثلاث آيات.

الأمر كن: ك= كل شئ ن= نورى. كل شىء من نورى.

١ ـ ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ يس ٨٢ لمن الأمر«كن»، للشئ؟ كيف وهو لم يكنْ بعد السر فى إعراب «له» له ضمير عائد على أمره. فما أمره؟ أمره هو نوره. كان الله ونوره معه

٢ ـ ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح البصر﴾ القمر ٥٠

هل تم خلق كل شئ من لا شئ أم من نوره؟. كل شىء من نوره.

٣ ـ ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ البقرة ١٥٦ الإعراب: «الواو» معطوفة على «اللام» فى «لله». لو حرف إبداع ليس فقط حرف إمتناع. نتوقف قليلا هنا فالأمر فى حاجة إلى شرح مفاهيم فزيائية نووية توضح الفرق بين الضوء والنور. ويكفى أن نشير إلى معادلة اليهودى اينشتين الذى هز بها الكون كله. المادة طاقة والطاقة مادة. كل جسم حى كان طاقة وسعود طاقة. الطاقة = الكتلة× مربع سرعة الضوء. هذه القدر المخيف من الطاقة موجود داخل كل ذرة. ﴿..من الشجر الأخضر نارا..﴾ يس ٨٠ هذا الشجر الأخضر اصبح فحما باردا أسود رغم أنه يحوى نارا مستعرة. حفظها الله فيه بردا وسلاما. كل من وكل ما قيل له كن، له بداية ونهاية

Me= Mass & energy   Be =Beginning & End

Me=Malhematical ent:ties.

﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ العلق ٨ أول آية أنزلت.

2 ـ المـــــاء:

كان عرشه على الماء. ومن الماء خلق السماوات والأرض وما بينهما أن تفعل القطرة من بحرها ففى مداره منتهى أمرها.

ننطلق من ثلاثة آيات:

١ ـ ﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنه من يمشى على أربع ويخلق الله ما يشاء أن الله على كل شئ﴾ النور ٤٥

٢ ـ ﴿وجعلنا من الماء كل شئ حى﴾ الأنبياء ٣٠ ﴿وكان عرشه على الماء﴾هود ٧

٣ ـ ﴿والسماء خلقناها بأييدوانا لموسعون﴾ الذريات ٤٧

الأييــــد هو الماء!. الإسم العلمى الكيميائى للماء هو «أييد» أ = أكسجين يد = هيدروجين فلماذا قال ييد لأن ذرتى هيدروجين يتحدا بذرة أكسجين$H2O$. أنظر الروعة؟ كيف لمحمد أن يعلم هذا، هو وكل معاصريه؟ الماء بداية الخلق، فكيف خلق الماء؟

أول العناصر هو الهيدروجين. ومن الجدول الدورى للعناصر تلاحظ أن كل العناصر غازية وسائلة وجامدة أصلها الهيدروجين.

المـأزق الرابع: الكائنات الحية بدء الحياة الروح من أمره

الفقهاء لا يفرقون بين النفس والروح: -

كيف بدأت الحياة؟ لن تدرك السر إلا إذا فهمت الفرق بين النفس والروح.

نحن أشباح في أرواح. انت بالنفس لا بالروح إنسان.

نقطة البداية الجديدة: سننطلق أيضا من ثلاث آيات: - آية عالم الذر سبق ذكرها فى يوم ألست. يوم خلق الله كل الأنفس.

٢ - ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ الأعراف ١١.

الملائكة أمرت بالسجود لآدم بعد أن تم خلقناجميعا وتصويرنا، كل الأنفس شهدت سجود الملائكة التى أمرت بالسجود لآدم ولا يجوز أن يكون السجود له لأنه عصى ربه ولا لبنيه فقد قتل أبنه أخاه. والنفس الإ نسانية هى العقل. كل ما فى الكون يسجد لربه كرهاً إلا الإنسان فهو يسجد طوعاً. العقل هو الذى مكنه من الطاعة يسجد باختياره

٣ - ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾ ص٧٢، الحجر ٢٩.

له= ل هو= الله.

له عائد على النور الإلهى والعقل قبس من نور الله وليس على الجسد الأرضى. السجود بعد التسوية والنفخ وننطلق من ثلاث آيات آخر لندرك تكاثر النفس.

١ - ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها﴾الزمر ٦ لو كان المقصود «آدم» «لقال جعل» منه زوجه «بدلا من منها زوجها». إذن الخلق الذى يحدثنا ربنا عنه هو خلق الأنفس والنفس لفظ مؤنث وخلقها سبق خلق لأجساد لابد أن الأنفس كائنات عاقلة وإلا لما أشهدها وشهدت ولما ألهمها الفجور والتقوى ولما كلفها وحاسبها ونعمها وأشقاها.

٢ - ﴿ياأيها الناس أتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء..﴾ النساء.

٣ - ﴿هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها..﴾الأعراف ١٨٩ آيتان فى غاية الوضوح بقدر ما هما فى منتهى الغموض أنظر المنمة فى خلق

النفس! ﴿من نفس واحدة﴾ ﴿من انفسكم﴾ ﴿منها﴾ لابد أن فى الإنسان قبس من نور الله. من روح الله من أمر الله ينفرد به وحده، جائز لغيره مع الفارق الجسيم. الذى أثبت هذا بوضوح وفسره وأكده هو: الإستنساخ أو هى: دوللى!. كنت أود أن أشير إلى أن الإستنساخ ليس إلا إذنا إلهيا لعلما الدنيا أن يكشفوا لعلماء الدين بعض سر إبداع الخالق العظيم. أثناء كتابة هذه السطور سيكون قد تم أوسيتم استنساخ البشر، لكنهم لا يدركون أنه لن يحدث أبدا استنساخ إنسان. لماذا؟ لأنه لابد من اتصال الأرض بالسماء لابد من صدور أمر من أحسن الخالقين. أمر ينفرد به وحده. أمر من روحه يهبط من الرحمن إلى الرحم، ليؤنسن البشر فيصير إنسانا. أما الحديث الصحيح الشريف «٤٠ يوم نطفة، ٤٠ يوم علقة، ٤٠ يوم مضغة ثم يأتى الملك وينفخ فيه الروح» فقد أسقط الراوى «من»! فهم الفقهاء أن الروح، المؤنثة جنسا لا تحل فى الجنين قبل ١٢٠ يوما بينما فى الحقيقة الجنين كان حيا لأن به الروح، نسى الفقهاء تماما كلمة من فى «من روحنا» «من الروح». كان العامة يتصورون أيضا أن آدم طرد من الجنة وهبط هو وزوجه والشيطان من السماء إلى الأرض! حتى أنار الله بصيرة الشعراوى رحمه الله فنطق بالحق: آدم خلق من الأرض وعاش عليها ودفن فيها هو وزوجه، كانا على الأرض ونبتا من الأرض ولم يهبطا من السماء ﴿ أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها..﴾ هود ٦١ ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتا﴾ نوح ١٧ بعد أن سوى الله البشر، أصطفى آدم فنفخ فيه، أى فيه يعنى فى فمه «من» روحه، أى حلت فيه النفس الإنسانية، فأضاء فيه قبس من نور الله «العقل» فكان آدم أول من عقل من نسل البشر وهذا لا يمكن أن يحدث إلا إذا كان له «والدين» من البشر!. وقد تم تأنسن آدم فى بطن أمه، فولد أول العاقلين وتزوج من عقيلته أولى العلاقات. رفض الدكتور عبد الصبور شاهين النظرية الدراوينية رفضا قاطعا، فقد أسقطها العلماء فى الغرب والشرق على السواء. لكنه لم يذكر لنا كيف تناسل آدم من البشر، وهل تم النفخ فيه بعد أن كان قد خلق، أم قبل أن يتزوج، ولا كيف عقلت زوجته أمنا حواء. حين بدأ خلق الإنسان إنتهى الجنس البشرى وزال تماما فورا بل بالتدريج. لأن وجودهم بلا عقل يضر بهم وبالإنسان العاقل Homo Sapiens إنقرضت السلالة البشرية بالفعل وبقيت القوة كل إنسان بشر لكن ليس كل بشر إنسان والبشر، اسم معنوى يطلق على كل جنين قبل ١٢٠يوما وكل من ولد بلا عقل وكل من قرر عدم إستخدام عقله

أومن فسد مخه ولم يعد قادراً على إستخدام عقله، كالمجنون! هل المجنون عنده عقل؟ طبعا المشكلة فى مخه المريض. البيانو فسد فأصبح العازف غير قادر على أداء اللحن. هذه هى مشكلة المجنون الطفل عنده عقل كامل لكنه لا يستطيع استخدامه إلا بعد أن يتطور المخ وتتم كل التوصيلات البين خلوية. عدد الخلايا العصبية ثابت لايتغير، لا يزيد، لافرق بين مخ الأغبياء والعقلاء، لكن يمكن أن يضمر المخ ويتقلص. تطور المخ هو تطور شبكة الاتصالات الهائلة الكامنة يقول الدكتور شاهين فى ص ٩٠ تعليقا على الآية ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلسلة من طين﴾ المؤمنين ١٢. الإنسان خلق من طين أى إنه لم يخلق مباشرة من الطين أما ابن الطين مباشرة فهو أول البشر وكان ذلك من ملايين السنين. كل ما فعله هو إنه أسقط قصة خلق الإنسان على خلق البشر وبقيت المشكلة كيف خلق البشر من طين؟ يقول سيادته تعليقا على الآية الكريمة ﴿هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطقة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا﴾ غافر ,٦٧ الخلق مرحلتان منفصلتان وفى غاية الدقة ربط القرآن بينهما بحرف التراخى «ثم» التعبير على المسافة الزمنية بينهما لم يفطن سيادته إلى أن حرف التراخى الذى يعبر عن مدة زمنية قدرها بملايين السنين يفصل أيضا بين النطفة والعلقة وخروج الطفل إلى الحياة وهى مدة زمنية أقل من سنة عبر الله عنها بنفس الحرف. زمن «ثم» يعتمد على سياق الكلام. ولدت ثم مت: الزمن هو عمرى. أكلت ثم شربت: الزمن يحدده فترة شعورى بالعطش. الإنسان خلق من تراب ثم من نطفة: يختلف الزمن ملايين السنين بين التراب والإنسان وعشرات الأسابيع بين النطفة والإنسان. لابد من احترام شعاع الزمن الذى يشير إليه الحرف «ثم».

لايوجد على ظهر الأرض حيوان أو إنسان أو بشر «لم يولد».الله وحده هو الذى لم يولد. آدم وولد لأبوين من البشر وعاش طفولته بين أهله ثم بقى هو وزوجه وحدهما، اصطفاء من الله. أبونا آدم وكل سلفه من بشر ومن أجناس أخرى. حين عصى بعض اليهود ربهم سخطهم قردة وخنازير، أى إلى سلالة تطوروا منها، فضلا منه، وعادوا إليها غضبا منه ولا زال المسخوطون موجودين، يستحيل أن تميزهم من حيوانات كانت فى الأصل خنازير وقردة لذلك حرم الله علينا أكلهم.

اعترف الدكتور شاهين بأن آدم لم يخلق خلقا مستقلا (ص٩٨، ٩٩ أبى آدم» وأنه لا علاقة بين آدم والبشر الذين بادوا قبله تمهيدا لظهور النسل الآدمى الجديد اللهم إلا

تلك العلاقة العامة أو التذكارية باعتباره من نسلهم. فقد قدر سبحانه فناء كل البشر من غير ولد آدم. وذلك بعد عزل السلالة الجديدة المنتقاة فى الجنة حتى تتم إبادة جماعات الهمج البشرية لتبدأ بعد ذلك الملحمة الإنسانية بطبيعتها المصطفاة «آدم وحواء».

ملحوظة: أما لماذا هم همج فالدكتور يرى أن البشر كانوا فى المراحل الأولى بلا سمع ولا بصر تماما كما هو حال المولود حين يخرج من بطن أمه لا يسمع ولا يبصر لإنعدام حاجته إلى هذه الآلات فى المرحلة الأولى من الوجود. هذا افتراء واضح لأن البشر اعقد تكوينا من الحيوانات الدنيا والسمع والبصر من أساسيات الوجود أما الفارق الذى ميز الإنسان عن البشر وهو العقل أعلى مراتب النفس وقشرة المخ فى قمة الجسد، فقد خصه بهما، العقل والقشرة. منذ ولادته بل وهو فى بطن أمه. الطفل يسمع ويبصر بالقوة وليس بالفعل. «بدأ التكليف داخل الجنة وبدأ الصراع بعد أن أخليت الساحة من العناصر الطفيلية التى لم يعد لها دور». يقصد إبادة الهمج، والدى آدم وأهله وعشيرته. هذا فى رأيه هو قمة الإنسانية. فبدلا من الإحسان إلى الوالدين فقد استملح سبهما وإبادتهما. كان عليه أن يشيد بدورهما ويحسن اختيار الفاظ الوداع المهذب. ويعبر بامتنان عن دورهما الخالد المجيد فى العبور من البشرية إلى الإنسانية، من الغريزة إلى العقل، من البشر إلى الإنسان خليفة الله اعترف الدكتور شاهين أن آدم من نسل بشر. أى أن له والدين من البشر. وأنكر أى صلة بين البشر وكائنات أخرى سواء قردة أو أشباه البشر. لكنه لم يوضح لنا، هل خلق البشر خلقا مستقلا؟ تجاهل تماما هذا المطب ومع ذلك فقد كان له فضل الإشارة إلى علاقة ترتيب النزول بقصة خلق البشر والإنسان.

فما هو الفرق بين الإنزال والتنزيل؟ يردد الفقهاء كلاما لانفهم معناه ولاهم بالطبع يفهمونه. أنزل القرآن فى ليلة واحدة وتنزل مُنجما فى ٢٣ سنة. أنزل فى ليلة القدر دفعة واحدة. أين أنزل؟ وكيف تنزل. لم يكن كتابا مكتوبا ولا ألواحا محمولة. كان وحيا. فهل ظل الوحى مع جبريل ينزل ببعضه على الرسول حسب الظروف؟ أى أنه ظل فى حوزته ٢٣ سنة. الأقرب إلى المعقول فى زماننا المعاصر، أنه أنزل وتنزل فى ليلة القدر. كيف؟

التفسير المعقول للآية الكريمة ﴿الله نور السموات والأرض﴾ أن السموات والأرض وما بينهما من نوره. كلام الله نور، والنور له خواص فريدة «أشعة كُنِّية» فتصل الآيات المنيرة فى أوقات مختلفة إلى أماكن مختلفة رغم أنها انطلقت فى ذات اللحظة. فيوم ربك ألف سنة أو ٥٠ ألف سنة وما بينهما. يصل نوره بقدر فى الوقت الذى حُدِّدَ له

مسبقا. وإلا فأين أودع القرآن، ومع من، ٢٣ سنة؟

النفس الإنسانيـة

العبادة الحرة: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾ الإسراء ٢٣ كثير من الناس كفور بربه عاق لوالديه. إذن قضاء الله ليس قدره. إذا قدَّر فلا معقب لحكمه ولايُسأل عما يفعل. أما إذا قضى فلابد أن يوجد الكائن الذى يستطيع أن يطيع أو أن يعصى. عبادة حرة. لا إكراه فى الدين ولا إكراه فى الحب. لتنفيذ هذه الإرادة كان لابد من وجود العقل والفؤاد «النفس الإنسانية» لابد من كرم الله فتم خلق الأنفس بأمر الله. تم خلقها دفعة واحدة وأشهدها على نفسها وشهدت له. ثم توالى نزولها من المحل الأرفع تباعاً كلما استقر فى الرحم جنين جديد، هدية الرحمن للرحم. وكان هبوط أول الأنفس إلى الجنين، نفس آدم. أول من اصطفاه الله من البشر. اصطفاه الله بعد أن سواه. أو سواه ليصطفيه ليكون أبو الإنسان وليس أبو البشر. أول من لفت نظرى إلى هذه الحقيقة هو الدكتور المهندس السورى محمد شحرور، ثم أصدر الدكتور عبد الصبور شاهين كتابه «أبى آدم» لم يذكر فيه أبدا اسم شحرور. وادعى إنه توصل إلى هذه الفكرة بنفسه. الكتاب ممتع جدا وأفادنا كثيرا بما خفى علينا لعدم تخصصنا فى علوم أصول الدين وعلوم اللغة وعلوم القرآن قرأ الآيات حسب ترتيب النزول، وربط ذلك بقصة الخلق كان الدكتور شاهين هو المعول الذى هجم على وهدم ونفى أ د. نصر أبو زيد. ويجتمع الآن مجمع البحوث الإسلامية لتكفيره واستتابته أو تقديمه للمحاكمة للحكم على زوجته بالتفريق بينهما، ليذوق من نفس الكأس التى شرب منها نصر أبو زيد. لو استدعيت للشهادة لشهدت معه وله. أما الدكتور شحرور فهو لم يتبين أبدا علاقة الروح بالخلق ولاعلاقة الروح بالنفس ولا علاقة النفس بالجسد، واختلف معه فى بعض ما وصل إليه لكننى اعترف بفضله. ملايين السنين مرت لخلق السماوات والأرض ولتطور الكائنات بعضها من بعض وأخيرا جاءت لحظة تحقيق الهدف من خلق الكون عبادة الله أى شكره على بديع صنعه.

ترتيب السور حسب النزول مقارنة

برقم السورة فى المصحف الشريف د. عبدالصبور شاهين

ترتيب النزول	اسم الآية	رقم الآية	رقم السورة فى المصحف
١	العلق	١ ـ ٢	٩٦
٧	الأعلي	١ ـ ٢	٨٧
٢٧	التين	٤ ـ ٥	٩٥
٣٠	القيامة	٣٥ ـ ٣٨	٧٥
٣٢	المرسلات	٢٠ ـ ٣٠	٧٧
٣٣	قٓ	١٦	٥٠
٣٥	الطارق	٥ ـ ٧	٨٦
٣٨	الأعراف	١١	٧
٤٠	يس	٧٧ ـ ٨٧	٣٦
٤٢	فاطر	١١	٣٥
٤٣	مريم	٦٧	١٩
٤٤	طه	٥٥ ـ ١١٥	٢٠
٤٥	الواقعة	٥٨ ـ ٥٩	٥٦
٤٩	الإسراء	٦١	١٧
٥٣	الحجر	٢٦	١٥
٥٤	الأنعام	٢	٦

ترتيب النزول	اسم الآية	رقم الآية	رقم السورة فى المصحف
٥٥	الطافات	١١	٣٧
٥٩	غافر	٦٧	٤٠
٦٨	الكهف	٣٧	١٨
٦٩	النحخل	٤	١٦
٧٠	نوح	١٣ ـ ١٤	٧١
—	—	١٧ ـ ١٨	—
٧٣	المؤمنون	١٢ ـ ١٤	٢
٧٤	السجدة	٧ ـ ٩	٣٢
٨١	الأنفطار	٦ ـ ٨	٨٢
٨٣	الروم	٤٠ ـ ٤٥	٣٠
٨٧	البقرة	٣٠ ـ ٣٨	٢
٩٣	النساء	١	٣
٩٨	الرحمن	٣ ـ ٤ ـ ١٤	٥٥
٩٩	الإنسان	١ ـ ٢	٧٦
١٠٥	الحج	٥	٢٢
١٠٨	الحجرات	١٣	٤٩

٣٥ آية فى ٣١ سورة أوضحت تسلسل خلق الإنسان. أما خلق البشر فقد ذكر فى أربع آيات: وهى حسب ترتيب نزولها ص٧١ الفرقان ٥٤، الحجر ٣٨، الروم ٢٠. فكل إنسان بشر والعكس غير صحيح. بقراءة الآيات حسب ترتيب النزول يتمكن الدارس الواعى من إدراك تدافع معانى الوحى القرآنى ومنهجه فى سوق الأحداث والحقائق.

كان قرار خلق آدم قرارا أزليا وتنفيذه استغرق زمنا يقدر بملايين السنين. بدأ الله بخلق السماوات والأرض ثم دحى الأرض وعمرها ليستعمرها الإنسان حين يبدأ ظهوره. وبالتالى فإن الخلق هنا «جعل» أى تحويل كائن موجود إلى كائن أعلى فى سلم التطور.

لهذا سألته الملائكة ﴿..أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء..﴾ البقرة ٣٠. ولهذا كانت تسمية هذا الكتاب Adam's Birthday ميلاد آدم. لايوجد نص واحد فى كتاب الله يؤكد أن آدم لم يولد. الله وحده لم يلد ولم يولد. أما آدم فقد ولد وولد ولأن العلم قد اثبت بقطعية أن عمر البشر ملايين السنين فلن يحدث أبدا أن يضطرب مسلم واحد أو يختل إيمانه أو يتشكك فى قصة الخلق التى انفرد بها القرآن.فقد ثبت أن للإنسان علاقة قرابة وعلاقة وثيقة جدا بكل الكائنات وأنه جزء من الكون، يؤثر ويتأثر بكل من وما فيه من جماد ونبات وحيوان. وهذا أيضا يؤكد أنه خليفة الله فى أرضه وإنه يرتبط عضويا بكل شىء فيه مسيطر على كل جزء منه من المجرات البعيدة إلى أعماق الذرة. يستخدم علمه وعقله لتفسير الكون الذى أستخلف عليه أو لتخريبه إذا انفصل دينه عن دنياه وإنفك الارتباط الوثيق بين حياته وآخرته.

كيف بدأت الحياة على الأرض؟ الأرض تؤمر فتطيع. خيرها ربها هى والسماء أن تأتياه طوعا أو كرها فأتيتاه، هى والسماء طائعين.

الصيغة الرياضية Me.Malhemal:cal entitics

الوجود الرياضى

صمم الله المعادلة الكيميائية لخلق كل شئ، كل خلق ينفرد بتكوين خاص فريد تحدده المعادلة التى صممها له ربه وكتبها بمداد نووى، بلغة من ٤ حروف، بذات الأمر تم خلق كل الكائنات الحية. مثلما تجسد كلامه فأصبح قرآنا يقرأ ويطبع، فنوره هو أمره والروح من أمره والأمر يتجسد ويتشكل أمره أو نوره على أى هيئة يريدها. المسيح تجسد فهو روح منه وجبريل نور تجسد على هيئة البشر. البراق نور تجسد فحمل نفس النبى إلى سدرة المنتهى. لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون. وروح الله هو أمر الله.

نفذّت الأرض أمر ربها فتجسد «الروح» أى الأمر: دنا DNA أو أن شئت الدقة فهو الـ جينوم Genome الأمر فى نواة البلحة وفى حبة القمح أمر مطاع لابد من سباطة بلح وسنابل قمح. نفس الأمر يتحكم فى ويسيطر على كل المخلوقات الحية من أبسط الخلايا النباتية إلى أعقد التكوينات: الإنسان. آلاف الأنواع والأشكال والأجناس نشأت كلها بفضل أمر واحد! الـ DNA الحاكم بأمر الله المتربع على عرش الخلية. تجاهل

الملحدون والكافرون هذه الحقيقة وظنوا أن الإنسان قد خلقته الطبيعة وما الطبيعة إلا أمر الله. عند هذا الحد توقفت الأرض. الأمرالصادر نفذ فتم خلق النبات والحيوان والبشر وكلهم مفطورون على عبادة خالقهم يسبحون بحمده تسيرهم الفطرة أو الغريزة، جبر لا اختيار لإن الحساب يقتضى المسئولية وهذه تعنى الحرية. الإنْعام بالعقل فرق الأَنعام عن الإنسان. والحرية هى النعمة الكبرى التى وهبها الله للإنسان وحرمته منها حكوماته المستبدة القبلية العسكرية المتخلفة.

قرر الله فى الوقت المناسب أن يجعل فى الأرض خليفة، كان قد خلقه وحان وقت جعله خليفة والفرق واضح بين الخلق والجعل. انزعجت الملائكة فقد ظنت أنه سيختار خليفته من البشر المفسدون فى الأرض سفاكى دماء الحيوان والبشر أمثالهم، كيف هذا والخلافة مسئولية وتكليف؟ لم تدرك الملائكة دقة التعبير. لم تدرك لحظة العبور من البشر إلى الإنسانية. كيف ومتى؟

بعد أن اكتمل تطور المخ واكتسى بالقشرة التى تميزه عن مخ البشر. اصبح حلول العقل ممكنا. القشرة والعقل لا فائدة لأحدهما دون الآخر. كل ماتحت القشرة غريزة مفطور فيها ما يبقى حياة ويشبع غريزة كل الكائنات دون الإنسان. والإنسان أيضا بشر لكن العكس غير صحيح.الإنسان بالغريزة يعيش، لكن لكى يحيا لابد من العقل. أنت تعيش بالغريزة وتحيا بالعقل.أنت تعيش باللاشعور وتحيا بالشعور.

الحياة = ع + غ

النقطة غطاء على العين، لابد من كشف الغطاء، لابد من العقل لتحمل مسئولية التكاليف ولابد من الحرية. أنت حر تفعل أو لاتفعل.

. العقل كامل منذ خلق العقل عَقْدٌ بين كامل الأهلية وخالقه. بين العادل والمعبود. والعقل هو أعدل الأشياء قسمة بين الناس وكذلك المخ لايزداد خلية واحدة ومُسجل فيه الأسماء ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ البقرة ٣١ المقصود بالأسماء هى حقائق كل العلوم الدنيوية والدينية، كل شىء عن أى شىء مُسجل فى كل الأمخاخ وانتقل بالوراثة من آدم إلى كل بنيه. لكن لكى لايحترق المخ لابد من إضاءته تدريجيا. تماما مثل التنفس الخلوى. لو دخل الأوكسجين، غاز الحياة، فورا على الخلية لاحترقت. ولو هبط عقل كامل علَى

مخ غيـر مـؤهل لجن. العلم ليس إلا الكشف عن مـاهو كـامن فى المخ. إذا بذلت جـهـدا عـرفت أنك تعلم وإذا تكاسلت جهلت أن فى رأسك كنزا لاتريد أن تستثمـره أو لاتعـرف كيف تستفيد منه. ولكل زمان ظروفه وناسه. الإنسان منذ أبيه آدم لازال طفلا يحبو فى دار الحكمة. العقل يحيك وبدونه أنت ميت معنويا رغم أنك عـايش بالغريزة. أى طفل فى عصرنا الحاضر وبعد مئات السنين يملك المخ نفسه Hard Disc مُسجل عليه وفيه البرنامج كله. العلم كله. كل شىء عن كل شىء. في العالمين. عـالم الغيب عـالم الشهادة والعوالم الأخرى ومع ذلك فقد خرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئاً. فالعلم هو مطابقة الواقع على مـا هو مسجل فى المخ. إذا طابقت علمت. أمـا إذا لم تطابق فـأنت مـثل حمـار يحمل أسفاراً. الأسفار موجودة داخل المخ ولابد أن تبذل جهداً لتثبت أنك لست حمـاراً.. لكنك مضطر إلى الاستعانة بال ـ Software لتستفيد من حياتك ولتفيد غيرك. بالنسبة للإنسان الأول كان من الضرورى كسر القوانين الكونية لردع الكافر العاصى ولتثبيت إيمان المتشككين وليطمئن قلب المؤمنين. كـان لابد من فلق البحر. وإبراء الأبرص والأكمه، وإحياء الميت، وتحريك العصا فتلتهم عصى السحرة. هل سحر موسى العصى أم سحر الله أعين الناس؟. أما المؤمنون سلفاً وخلفاً فقلوبهم عـامرة بنور الله وإيمـانهم لايحتاج لدليل ولامعجزة ولا لإعجاز لتنوير عقولهم. الحب يكفيهم. لكنهم سيدفعون ثمن الحب الأعمى إذا لم يبذلوا جهدا لتبرير إيمانهم وتأكيده. ﴿هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمـون﴾ الزمـر ٩، ﴿هل يسـتـوى الأعـمى والبـصـيـر﴾ الانعـام ٥٠. لم ينتبـه أحـد من المفسرين الأقدمين.

العلاقات الرياضية فى القرآن

أمثلة بسيطة: تساوى عدد الألفاظ المترابطة: الحياة والموت ١٤٥ مـرة، الدنيا والآخـر ١١٥مرة، الإيمان والعمل الصالح ١١٥ مرة.

تساوى الألفاظ المتناقضة: الملائكة والشياطين ٨٨ مرة، الليل والنهار ٨٨ مـرة. لفظ شهـر تكرر ١٢ مـرة بعـدد شهـور السنة ولفظ يوم تكرر ٣٦٥ مـرة بعـدد أيام السنة. أى إعجاز هذا؟ وفى عصرنا الحاضر تظهر الحقائق تباعا غريبة تفوق قدرات محمد ﷺ، كبشر وكإنسان. وكلما أكتشفت علاقة انبهرنا بها، وانتهى أمرها. لكن هذا القرآن لاتنتهى غرائبه ولاعجائبه ولابد أن للأجيال القـادمـة فتوحات أروع وحظ أكبـر من الأجيال

القديمة فالقرآن كتاب Dynamic وليس Static.

﴿قل أعوذ برب الناس ملك لناس إله الناس ...﴾ أى إعجاز فى هذا التكرار؟ هذا ليس تكراراً هذه الآية وحدها تنفى المترادفات الرب والملك والإله فى سورة واحدة وفى سورة أخرى تتكرر آية واحدة ٢٧ مرة ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ ألقى الله بنوره على قلب الشعراوى رحمة منه بنا فشرح لنا سر التكرار والإعجاز اللغوى. وسخر الله عالما غير مسلم ليبحث سيرة رسولنا فألف كتابه الشهير العظماء مائة وأعظمهم «محمد» هذا الكتاب لم تلفت إليه وزارة التربية والتعليم، تجاهلته تماما ولم تقترح تدريسه فى معاهدها. هذا التصرف السلبى واكبة تخطيط إيجابى مضاد. فأحكم القطبان السالب والموجب قبضتهما على ضمير شباب الأمة. فقد فرضت الجامعة الأمريكية بالقاهرة تدريس كتاب «محمد» على طلبتها، لعل الإسفاف فيه والإساءة المتعمدة به والتجريح الوقح لشخص الرسول الكريم تنفر الجيل المتأمرك الهابط، من هذا الدين المتخلف. تم هذا بالطبع بالتواطؤ مع سياسة رشيدة تنفذ خطة مرسومة لتحقيق الهدف الأسمى وهو: لا ضرورة للدين فى عصر العوالم والعولمة.

تساءل كثيرون لماذا لم ينزل هذا الكتاب دفعة واحدة كزبور داود وألواح موسى وإنجيل عيسى، ولماذا نزل منجما؟. ولم يدرك الفقهاء الفرق الخطير بين أسباب النزول وتوقيت النزول. بين السيناريو والحدث.

المأزق الخامس: كيف بدأ الخلق وكيف تطور

﴿وقد خلقكم أطوارا﴾ نوح ١٤

قبل آدم لم يكن هناك بنى آدم، هذا صحيح طبعا. لكن ليس صحيحا أن الجنس البشرى لم يكن موجودا. ﴿إذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» البقرة ٣٠ لاحظ الفرق بين الخلق والجعل.

وبما أن السيد قد خُلق من تراب الأرض فلابد أن كل الكائنات الحية التى خلقت من أجله من نبات وحيوان، قد خلقت أيضا من تراب. القرآن أجمل فى كلمات ما حدث فى ملايين السنين.وأوجز قصة الخلق فى آية وظل يمنمن الحقيقة فى آيات متناثرة كالدرر، تبحث عن مؤمن عاقل يصيغها فى جملة كاشفة: «الإنسان ثنائية»، هيكل من تراب الأرض

به قبس من نور اله «العقل أو الفؤاد أو النفس الإنسانية» لذلك منمن خلق المادة من تراب من صلصال، من حمأ مسنون، ثم من نطفة ثم من علقة. وأشار إلى خلق النفس غير المادية: من نفس واحدة،متى؟ يوم ألست. أين؟ فى عالم الذر ﴿وإذ أخذ بك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم ألست بربكم قالوا بلى﴾ الأعراف ١٧٢. الخلق الأول، هو:

«خلق الأفئدة» خلق العقل الجمعى، أى عقل جميع خلقه. عقل واحد! نفس واحدة نسخت إلى مليارات الأنفس بعضها من بعض، وكان ذلك على الله يسيرا، فقد تم خلق هذه الكائنات النورانية من نوره، تستظل بعرش ربها، تسبح بحمده وتكبر له، تطوف حول بيته فى الأرض وتحت كرسيه فى السماوات العلى. ثم تهبط فرادى، لمدة زمنية وجيزة هى فترة الحياة الدنيا لكل منها على الأرض، لتخْتبر. ماذا ستفعل بهذا الهيكل الحى المخصص لها والذى ينتظر حلولها بشوق؟ وبعد الامتحان تعود من حيث أتت ولكن إلى مواقع أخرى. تغير الموقف الآن! هل يستوى الصالحون والعابثون؟، المؤمنون والملحدون؟، العابدون الطائعون الشاكرون الحامدون والعصاة؟مقام النفس الجديد حددته هى بكامل إرادتها، بقدر ما ساهمت فى توحيد الرب وشاركت فى إعمار الكون وإسعاد الآخرين.

أما الدكتور عبد الصبور شاهين فقد فسر هذه الآية تفسيرا آخر «أبى آدم ص ١٠٠» أمر الله كل الذرارى التى قدر أن تخرج من صلب آدم وأصلاب بنيه - أمرها أن تخرج على ساحة الغيب، وأن تمثل بين يديه، كانت آنذاك مجرد ذرات لايحصيها ولايحصرها حد. وأسرعت الذرات بالمثول أمام الجلال الإلهى فألقى الله على المشهد الهائل سؤال واحد هو الذى من أجله كانت الدعوة إلى الحضور. قال الله: «ألست بربكم؟». وتلقوا السؤال ووعوه فقالواجميعا فى صوت واحد: بلى.. شهدنا. كل الذى قاله الدكتور شاهين ليس إلا ترديدا لما جاء فى الآية. لم يقل لنا ماهى هذه الذرارى ولا كيف خرجت من صلب بنى آدم ولاكيف سمعت ووعت وأجابت يوم ألست يوم لم يكن هناك أجساد ولا أصلاب ولاترائب ولا ظهور. وهذا ما أدى إليه منهج التلقين والمنمنة.

المأزق السادس: قفل باب الاجتهاد

هو المخرج الوحيد والحل السلبى الممكن لفقهاء هذا الزمان، هرباً من وجع الدماغ وتشغيل المخ وإرهاق العقل بما لا يفيدهم. شاغلهم الوحيد: البقاء والغذاء والكساء والبناء.

قالها لى أستاذ أزهرى وهو يعانقنى أمام الكعبة. لا تسألني فلن أجيبك. سيبنى أبنى بيتى فى مدينة نصر. التحف فقهاء هذا الزمان برداء الأئمة الأربعة واحكموا الرباط على عباءة السلف وفى السعودية لا يمكن إلا أن تكون وهابياً. وأعلنوا الفقه السلبى: لا اجتهاد مع النص. ظنوا أنهم تحصنوا خلف هذا الستار الباطل. استراحوا فكرا فانكمشوا فعلا. النص الجليل ثابت راسخ يزين عباءة الإسلام المتلائمة مع كل زمان فى كل مكان. معانيه المتجددة دوما الزاهية لونا المتسعة أبدا التى يربطها بحبل الله، رباط وثيق.

متى يكون الرأى اجتهادا؟

الأصل هو الاجتهاد، لكن اجتهاد من يملك آلته. من آلات الاجتهاد معرفة اللغة العربية معرفة تامة ومعرفة كتاب الله ومعرفة السنة رواية ودراية ومعرفة الفقه أصولا وفروعا ومعرفة شىء من العقائد وما جاء فيها كتابة وردا وبغير هذه الآلات لا يمكن أن يكون الرأى اجتهادا بالمعنى العلمى. والمجتهدون طبقات. الإجتهاد بهذا المفهوم قاصر على خريجى المعاهد والكليات العربية الإسلامية أزهرية وغير أزهرية. إجتهاد محدود يختص بالعبادات والمعاملات. هم الأقدر بلا أدنى شك. لكن القرآن يحوى من الحقائق ما هو فوق طاقة وقدرة المشايخ، من كبيرهم إلى أصغر فقيه. فى مؤتمر الإعجاز العلمى للقرآن يصمت علماء الدين حين يتكلم علماء الدنيا. من منهم يستطيع شرح كلمتين أثنتين؟ ﴿والسماء ذات الرجع﴾ حين يجلجل علم الله يصمت الفقه تماما.

المربع الذهبى

لكى تستمر الحياة وتعمر الأرض لابد أن يتكاثر الناس. ذكر وأنثى ينجبان ذكرا، أنثى وذكر ينجبان أنثى، فيتزوج الولد بالبنت. هذا المربع الذهبى ذكرين وأنثيين هو سنة الحياة المطبقة على مستوى القاعدة، لكن عند قمة الهرم كان يوجد ثلاثة ذكور وأنثى واحدة: آدم وحواء وولديهما قابيل وهابيل. شب الولدان ووجب أن تتوفر أنثى لكل منهما. كيف ومن أين؟

الإحتمال الأول: انتهاك صاروخ للفطرة، بداية غير طيبة

أصطفى الله آدم من البشر وولدت حواء إناثا وذكورا، وتزوج الأخوين من أختين شقيقتين.

الإحتمال الثانى: بداية مربية. التعدد كان شرعيا منذ البداية

آدم واحدو «كذا» حواء. أنجبن إناثا وذكور فتزوج إبنى آدم من أخوات غير شقيقات.

الإحتمال الثالث: اوادم كثيرين

من البشر المستوطنين لأماكن متفرقة أصطفى الله آدم من أوآدم آخرين، وتزوج بنيه من بنات أوآدم آخرين للحفاظ على نقاء السلالة الإنسانية.

الإحتمال الرابع: اختلاط السلاتين البشرية والآدمية

تم التخلص من الجنس البشرى بالتدريج وظل حول آدم وبنيه إناث وذكور من البشر وكان لولديه حرية الزواج من إحدى السلاتين البشرية، والآدمية. بالطبع هيئ الله لهما البيئة التى تكفل نقاء الجنس الإنسانى.

ذكر أنه كان يولد له فى بطن، ذكرٌ وأنثى، وأمر أن يزوج كل أبن أخت أخيه التى ولدت معه والآخر بالأخرى، وهلم جرا، لم يكن تحل أخت لأخيها الذى ولدت معه.

وقد جاء بالكتاب المقدس، العهد القديم سفر تكوين الإصحاح السادس (وحدث لما إبتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فأتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا.. كان فى الأرض طغاه فى تلك الأيام، وبعد ذلك أيضا إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا هؤلاء هم الجبابرة..).

فماذا يقصد بأبناء الله؟ هل هم أبناء آدم الذى نفخ الله فيهم من روحه أى إنهم البشر؟

يجب أن نذكر أن تلك الفترة هى السابقة مباشرة لظهور نوح وبالطبع قبل الطوفان. هل التفكير فى أصلنا حرام؟ ومن الذى حرمه. الله أمرنا أن نسير فى الأرض وننظر كيف بدأ الخلق. وفقهاء هذا الزمان أمرونا بالصمت لأن لهم آذان لا تسمع. وعيون لا تنظر ولا ترى وعقول غير متفرغة للكشف عن علاقة الدين بالحياة. الدين حياة وهم «محلك سر» الدين Dynamic وهم Static أو اساتيك تمحو ولا تضيف. الأقلام تضيف والأساتيك تمحو.

لتبقى شجرة المعرفة نضرة مزهرة مزدهرة. لابد أن تتساقط أوراق الخريف. خريف الفكر. ولابد أن تُطَعم الشجرة ونطعّمها ونقلمها فتظهر براعم جديدة نضرة يمكنها أن تتأقلم مع البيئة العلمية الجديدة وتتفاعل معها من أجل الحفاظ على شجرة المعرفة قوية عفيَّة ليسجد الإنسان فيقترب من العليم القدير.



مولد آدم

التطور والترقي.. النشوء والارتقاء

أيها القارئ العزيز: سأبذل كل جهدى لتسهيل فهم هذا الموضوع الشائك، وكل ما أرجوه منك، قليل من الصبر وكثير من الفكر. من المهم جدا أن تعرف من البداية أنه ليس هناك على الاطلاق أى خلاف بين العلم والدين. وأن محاولتك لفهم كيفية الخَلق إنما هى إستجابة لأمر تكليف إلهى.

ما معنى نظرية التطور؟ ما معنى النشوء والإتقاء؟

لابد أن يكون واضحاً تماماً أن أى نظرية جديدة ووحيدة وفريدة لن تفسر الكون أبداً. لماذا ؟ لأن أى نظرية حتى لو كان لها بعض الأهمية، ما إن تُعرض على الدماغ البشرى حتى تتعرض إلى خطر إستخدامها بطريقة متجاوزة، أو أن تنزلق نحو الأسطورة. ولأن الدماغ البشرى «جملة عصبية معقدة»، فإنه لا يمكن شرحها بنمط وحيد من المعرفة، ولا حتى بمجموعة من المعارف الجزئية يخصص لكل منها مُعامل خاص Coeffecient، حسب أهميتها النسبية. لأن دراسة الإنسان لا يمكن أن تقتصر على البيولوجيا ولا تستطيع الاستغناء عنها، كما لا تستطيع البيولوجيا الإستغناء عن الفيزياء لإعراب هذه الجملة العصبية اللغوية والثقافية والاقتصاديةوالإجتماعية. إن النظرية التى تملك من القوة ما يكفى لشرح أحداث متباينة وفى الوقت نفسه ما يكفى من المرونة لكى تطبق فى ظروف متنوعة لا زال العقل البشرى حالم بها وحامل لها لم يضعها بعد.

خطورة التعميم وكيف هدم صروحاً شامخة

١ ـ ماركس: إكتشف أهمية ما سماه"بالمادية التاريخية" فى تطور المجتمعات البشرية ووضع حجة وجيهة فماذا فعل تلاميذه؟ حاولوا أن يفسروا التاريخ وردوه فى أدق تفاصيله «ضجة وهياجاً وسكوناً»، إلى حجة ماركس فأصبح كل حدث ف التاريخ البشرى

أثراً لسبب إقتصادى مثال آخر: كنا نصفق لكوكب الشرق أم كلثوم عندما كانت تغنى قصيدة ولد الهدى مخاطبة رسول الله ﷺ "والإشتراكيون أنت إمامُهم". عبد الناصر إبتدع نوعاً من الإشتراكية يأباها محمد ولا يرضى بها ماركس.

٢ ـ **فرويد**: إكتشف الدور الذى تلعبه القوى اللاواعية فى الشئون البشرية. إكتشاف صحيح ورائد. فماذا فعل هو تلاميذه ؟ بذلوا جهوداً يائسة من أجل عقلنة اللامعقول. من أجل سجنه فى شبكة من الأسباب والنتائج يتعذر إجتيازها بفضل ترسانة من العقد وتفاسير الأحلام والتحويلات والتصعيدات. فاصبح ممكناً بالنسبة لهم شرح أى جانب مرئى من السلوك البشرى بجرح خفى فى الحياة النفسية.

٣ ـ **داروين**: قدم نظرية التطور. هذه النظرية تعرض لأصل نشأة العالم الحى وتاريخه وحالته الراهنة :الماضى والحاضر والمستقبل». لكن للأسف أصبحتبعض جوانبها فى كثير من الأحيان تُعالج كأسطورة أو قصة تُروى للأجيال وتشرح فى الوقت ذاته العالم الحى وموقع الإنسان فيه. ورغم أن دارون قد قدم نظرية قوية فإنها لم تنجو من استخدام متجاوز. إن النجاح الذى صادفته فكرة الاصطفاء الطبيعى وفكرة التكيف التى كانت تسمح بشرح أى جزء من بنيةٍ متعضٍ ما: "كائن حى أصبح حفرياً". وأصبح ممكنا لمن يريد أن يقيم الحجة، أن يُعدل أو أن يعيد صياغة الشكل العام للنظرية من أجل شرح كل تعديل يطرأ على العالم وإثبات تطوره. فتم الاستعانة بمنظومات مشابهة من أجل وصف أى نموذج من نماذج التطور الكونى، الكيميائى، الثقافى والأيدلوجى. لكن كلما كان إحتكاك ـ مجال علمى ما ـ بالشئون البشرية كبيراً، كلما إزدادت مخاطرة النظريات المستخدمة فى أن تجد نفسها فى صراع مع التقاليد والمعتقدات، وكلما إزداد أيضاً التلاعب بالمعطيات التى يأتى بها العلم وإزدادً إستخدامها لأغراض أيديولوجية أو سياسة البيولوجيا فى خدمة الأيديولوجيا. أى العلم فى خدمة السياسة. تسيس العلم كما سيس زعماء العالم الإسلامى الدين.

١ ـ الإصطفاء الطبيعى

هو حصيلة الإكراهات النوعية المفروضة على كل كائن حى. هو آلية مضبوطة عند مستوى خاص من التعقيد، وعند كل مستوى يجب إيجاد مبادئ جديدة.

ما معنى هذا ؟

السلوك عند المتعضيات «الكائنات الحية البسيطة» مُحدد بشكل صارم من قبلْ المورثات. أما عند المتعضيات الأكثر تعقيداً فإن البرنامج الوراثى يصبح أقل إكراهاً. يصبح مفتوحاً، بحيث أنه لا يملى جوانب السلوك المختلفة وإنما يترك للمعتضى إمكانات خيار " حرية + مسئولية". إنه يمنح المتعضى قدرات وطاقات كامنة بدلا من أن يفرض تعليمات صارمة "يشغل المخ الذى يستلم زمام القيادة من المخيخ" هذه الرحابة فى البرنامج الوراثى. "هذه الحنيفية" تزداد مع التطور لتبلغ أوجها مع البشر ال ـ ٤٦ كروموزوم تمنح الكائن البشرى مجموعة كاملة من الاستعدادات الفيزيائية والذهنية التى يستطيع استثمارها وتصويرها بطرائق متباينة جدا تبعاً للبيئة والمجتمع التى ينمو ويعيش فيه. حديث شريف:"الطفل يولد حنيفيا مسلما لكن أبواه يهودانه أو ينصرانه". كل طفل سَوىّ يملك منذ ولادته القدرة على أن يكبر ضمن أية جماعة. وتكلم اى لغة. يعتنق اى دينٍ، ويعتقد فى أى عُرف إجتماعى. تجهيزات الطفل الوراثية هى التى تمنحه القدرة على النطق، لكن بيئته هى التى تعلمه لغة دون أخرى. إذن سلوك الكائن البشرى مصوغٌ بتفاعل مستمر بين المورثات والبيئة. هذه التبعية المتبادلة بين البيولوجى والثقافى كثيراً جداً ما يُبخس حقها لأسباب أيديولوجية أو سياسية أو دينية. فإما أن:

١ ـ نفى العلاقة بينهما بلا قيد ولا شرط، إعتبارهما كقوتين متناقضتين فى مواجهة أحدهما الآخر بدلا من إعتبار هذين العاملين مكملين لبعضهما ومرتبطان دائماً أثناء تشكيل الكائن الحى .

٢ ـ أو التعبير عن هذه العلاقة برقم يحدد نصيب كل منهما فى سلوك الآخر.

٣ ـ كذلك فإن المشادات فى الطب النفسى تجعلهما يبدوان كمتطرفين يتجابهان. الدماغ البشرى إما أن يكون كشريط ممغنط لم يمس أو كاسطوانة فونوغراف، فأيهما أنت؟ مساواة أم تباينى؟

المســاواة

التردد بين الفهم الخاطئ لمعنى الحديث الشريف "الناس سواسية كأسنان المشط"

الفهم الصحيح لمعنى الآية الكريمة "وجعلنا بعضكم فوق بعض درجات أنصار إسطوانة

الفونوغراف لهم وجهة نظر واهية لا سند لها، مقترنة بفلسفة محافظة، تُشكل أساسا لأشكال من العنصرية والفاشية والجمود. وتهدم كل أمل فى التحسين بواسطة التدريب والتعليم . يؤكدون أن الكائن البشرى يرث كل استعداداته الذهنية تقريبا. وينفون عمليا كل تأثير للبيئة. الإرادة الإلهية هى كل شئ. الله هو الذى ثبت القواعد التى تحكم شئون البشر وفق ترتب إجتماعى وإقتصادى محدد بدقة. الفقير فقير والفقرى فقرى. قدرات فرد ما لا تشكل إلا إنعكاساً لإمكانياته الوراثية من العبث أن نحلم حتى بتغيير التراتب الإجتماعى التى هى نتيجة مباشرة للتفاوتات البيولوجية هذا الفهم للإسطوانة الوراثية يعنى أن الذهن البشرى آلة مبرمجة وراثيا حتى فى أدق التفاصيل.

٢ ـ التباين

أما الموقف المعارض، أنصار الشريط الممغنط الذى يتلقى التعليمات من البيئة، لتسجيل قطعة موسيقية ما وعزفها عند الاقتضاء. لأن الإسطوانة disque على العكس لاتستطيع مهما كانت البيئة أن تعزف سوى القطعة المنقوشة فى أخاديدها ، أنصار الشرط الممغنط متأثرين بالأيدولوجيا الماركسية التى تعتبر أن طبيعة الفرد الإجتماعية وتربيته تصوغانه بشكل كامل. إستعدادات الكائن الحى الذهنية لا علاقة لها بالبيولوجيا والوراثة. القضية قضية ثقافة، قضية مجتمع وتدريب وتكيف وتعزيز. قضية أسلوب إنتاج. هكذا يزول كل تباين ويختفى كل إختلاف ذى طابع وراثى فى استعدادات ومواهب الافراد، الفروق إجتماعية وتربوية فقط، أما البيولوجيا وإكراهاتها فتتعطل أمام الدماغ البشرية. هذا الموقف المتطرف لا سند له، لماذا؟ لأن التدريب ليس سوى تشغيل لبرنامج يسمح بإكتساب بعض أشكال المعرفة، ولا يمكن بناء آلة تعليم دون أن نسجل فى برنامجها شروط هذا التعليم وحيثياته. الحجر لا يتعلم. الحيوانات المختلفة تتعلم أشياء مختلفة والطفل يمر بمراحل تعليم محددة تماماً، المخ آلة تعليم. ومعطيات البيولوجيا العصبية تبين أن الدارات العصبية التى تشكل أساس قدرات الكائن البشرى واستعدادته محددة بيولوجيا منذ الولادة. البرنامج الوراثى يُرسى دعائم بنيات إستقبال تمكن الطفل من الاستجابة للمحرضات الناجمة من بيئته، من التعلم للبحث عن معلومات معينة وكشفها وحفظها فى الذاكرة ثم فى إعادة تصنيف وترتيب العناصر فى أنساق جديدة. بالتفاعل المستمر والمتبادل بين البيولوجى «الوراثى» والثقافى «البيئة» أثناء نمو وتطور الطفل

ينضج مخه تدريجياً كل كائن حى مبرمج وراثياً، غير انه مبرمج من أجل التعلم . مجموعة كاملة من الإمكانات المتنوعة يقدمها الخالق لحظة الولادة. وما يصبح واقعاً يبنى شيئاً فشيئاً أثناء الحياة. المشادة لا زالت متأججة بينهما، وأنا لا أريد أن أدخل فى هذه المشادة. هل أنت من أنصار حزب الله، أم من أنصار السنة؟ هل أنت ربانى أم محمدى؟ سؤال سخيف جداً وللغاية. هل نتبع الآية الكريمة ونقر بالتباين، أم نصدق الحديث الصحيح ونعترف بالمساواة؟. الرد هو ، نحن بالله وبرسوله، بالقرآن وبالحديث، بالمساواة والتباين.

لماذا المساواة والتباين ؟

التباين: الإختلاف ينبع من تركيبة سرمدية تجعل كل واحد منا فريداً، التباين يصنع ثروة النوع. إختلاف الناس وتباين الافراد الذى يُولده التكاثر الجنسى هو أحد المحركات الرئيسية للتطور. التباين ظاهرة طبيعية لولاها ما كنا فى هذا العالم. لكن أحياناً يعتبر هذا التباين :

١ ـ إما مادة للبلبة، من أولئك الذين ينتقدون النظام الإجتماعى ويريدون جعل جميع الافراد متكافئين.

٢ ـ وإما وسيلة إضطهاد، من قبل أولئك الذين يسعون الى تبرير النظام الاجتماعى بنظام طبيعى مزعوم، بدهاء غريب يتم الخلط بين فكرتى "الهوية" و"المساواة"بالرغم من تمايزهما الشديد. إحداهما تتصل بخاصيات الأفراد الفيزيائية والزمنية والأخرى بحقوقهم الإجتماعية والقانونية. الأولى مجالها البيولوجيا والتربية. أما مجال الثانية فهو الأخلاق والسياسة.

المساواة ليست مفهوماً بيولوجياً. فلا يقال عن جزيئين أو خليتين أنهما متساويتان. ولا حتى عن حيوانين، وبالطبع ولا عن آدميين لو كانت الكائنات البشرية متشابهة، كتوأمين من بيضة واحدة، لما كان لفكرة المساواة أية فائدة. إن ما يُكسب المساواة أهميتها وقيمتها هو تباين الأفراد.

التباين هو أحد القواعد الكبرى للعبة الوراثة. على مرّ الأجيال تتحدد وتنفصل المورثات التى تشكل إرث النوع، لتنتج فى كل مرة تلك التركيبات والمختلفة دائماً عند

الأفراد والتى تتغير كل يوم.

مما سبق يتبين أن التطور هو التغير. هو إنتاج أنواع جديدة وعلاقات جديدة ووظائف جديدة. هو إنتاج الاختلافات الفردية ليمكّن الاصطفاء من إنتاج الأنواع الجديدة لكى يحد التطور لابد من العلاقة الجنسية. ليس هناك حل آخر . هذه العلاقة أصبحت شرطا ضروريا لإعادة إنتاج الذات، وهى علاقة لها أشكال متنوعة ومركبة من عناصر عديدة. ووظيفتها هى إنتاج الإختلافات الفردية حتى يمكن أن يُصطفى منها أنواع جديدة من غير الممكن أن يحدث اصطفاء وبالتالى تغير إلا بين ما هو غير متماثل. قابلية التغير هى التى تُغذى عملية التطور . والنشاط الجنسى ليس إلا آلة لصنع المختلف. لحدوث تباين أكبر فى النماذج الظاهرية phenotype "مجموعة الصفات الفردية" لكل كائن بصمة مختلفة وفريدة. إن إعادة ترتيب المكونات الوراثية فى كل جيل تسمح بأن تتجمع بسرعة التغيرات الفجائية الملائمة فتتطور أسرع وتصمد أكثر وتستمر أطول . هذه التغيرات الملائمة تبقى منفصلة عند المتعضيات المحرومة من النشاط الجنسى. ولذلك فإن العلاقات الجنسية فرصتها أكبر فى إنتاج أفراد متكيفين مع البيئة وتقلباتها . تأمين ضد اللامتوقع، التأمينات الوراثية.

كل كائن حى يتشكل بتنفيذ برنامج مدون فى كروموزماته . النخلة كلها داخل النواه والإنسان بالكامل داخل البيضة الملقحة . صفار البيضة التى تأكلها فيه دجاجة كاملة بريشها وعظامها وأحشائها، ما نأكله وكل مالا نأكله. فى التكاثر بالانسجام لابد من إجتماع برنامجين مختلفين. هذا البرنامج الجديد، أى الفرد الجديد، يصبح مختلفاً عن جميع الآخرين. كل فرد جديد يتمتع بخصوصيات وراثية فردية. والافراد يعيدون إنتاج أنفسهم تفاضليا. ويترك بعضهم خلفا أكثر من بعضهم الاخر. إذن لابد لإنتاج الفرد الفريد الجديد والمختلف أن نخلط مورثات الذكر بالأنثى. يجب أن يلتقى إثنين من جنسين مختلفين ونوع واحد لكى يصنعا ثالثاً مغايراً لهما، أى لإنتاج ولد مختلف عن أبويه وعن جميع الأولاد الآخرين، لابد ان نتزوج. وهذا ما شكّلَ مفهوم الاصطفاء، إنه الصدفة والمنافسة. عشرات الرجال يتمنون أنثى واحدة. وعشرات النساء يحلمن برجل بالذات. لكن فى شرعنا لا يجوز إلا ما أمر به الله. ولهم فى الغرب وجهة نظر أخرى لا يمكن أن يتحقق كل ما تحلم به أى أنثى أو أى ذكر. عند المتعضيات التى لا جنس لها التى لا تتكاثر

بالإنسجام بل بالإنقسام يُنسخ البرنامج الوراثى كما هو بالضبط. برنامج وحيد. كل الأفراد متماثلون. نسخة طبق الاصل ولذلك فإن فرصتهم أقل فى التكيف مع البيئة. ولابد من حدوث الطفرات للبقاء. المادة فى هذا الكون منظمة بإحكام سواء كانت حية أو ميتة يسرى عليها جميعاً قانون واحد. هذا هو معنى كيف خلق كل شئ من تراب الأرض. وكيف أن الله إصطفى آدم ونفخ "فيه = فى" فى فمه أنسنة. نفخ فيه من روحه. والنفس من أمره

ما معنى أن الله أصطفى آدم ونوحاً ومريم ومحمداً؟ محمداً من قريش وعيسى من بنى إسرائيل ومريم من آل عمران وآدم ممن؟ إما من البشر أو من أوادم آخرين.

أولا: التطور قبل مذهب التطور

التطور كان معروفا قبل داروين ولاماركية مئات السنين. وقال به.العرب قبل الانجليزيين والفرنسيين. وجاء فى التوراه قبل نزول القرآن

التــوراه

"لقد تزاوجت أمام القضبان ووضعت صغارا مبرقشه ومنقطه". لكى لا يخلط النبى يعقوب بين خرافه الخاصة وخراف حمية قرر أن يشكل لنفسه قطيعاً من الحيوانات المبرقشة والمنقطة. فأخذ من أجل هذا اغصانا من شجر الحور ثم نزع قشورها ثم وضعها فى المكان الذى كانت تتزاوج فيه الخراف. إذن التوراه كانت لا ماركية حين ذكرت هذه التجربة الرائعة. لكن ما معنى لا ماركية؟

﴿وقد خلقكم أطواراً﴾ نوح ١٤.

هل المقصود تطور الفرد أم تطور النوع؟ كلمة أطوار مفردها طور. هذه هى الآية القرآنية الوحيدة التى إستخدمت فى حالة جمع. ومع أن العلم دائماً فى حالة تغير مستمر إلا أن تفسير الفقهاء لهذه الآية يتعذر الدفاع عنه لأنه ببساطة ليس إلا إنعكاساً للآراء السائدة وقت نزول القرآن. ونلاحظ أن الآراء والافكار التى ترد على لسان مفسرين مؤهلين تأهيلاً كبيراً للحديث عن القضايا الدينية لا تزال لسوء الحظ تمارس تأثيرها على التفسيرات التى يقدمها علماء اليوم بشأن موضوعات من نوع مختلف . إن الطبيعة لا تقبل المطلقات ولا البنى الأزلية موضوعات العلم تترابط بصورة جدلية بحيث تكون ديمومتها نسبية ومحدودة. وهنا تتضح خطورة النظرة السطحية الى الآيات

والصمت عن العلاقات بين آيات الله الموحاه والمنظورة. وقد عبر أحمد سويلم بالشعر الحديث عن التطور بتلقائية رمزية غريبة:

اتجمّر حين يباغتنى العشق
اتطحلّب حين تناوشنى الريح لتأخذ ثاراً محفوراً فى الصخر
اتكلّس فى بطن الحوت.. فيلفظنى ثانية
تتلقفنى فى الصحراء غزالة
انمو داخلها قوساً مشدوداً
تقذفنى قمرا مولودا
اصعد ... اصعد فى ليل غابت فيه الأقمار
اشرب من أيدى الريح
اشبع من أدخنة العتمة
لكنى أحترق حنينا للعرس الفضى
اتكئ على كتف إمرأة تمنحنى تاج العشق
أسكن قلعتها النورانية
ازرع اشجاراً فى القلب
وأرشق فى الأفق نجوما
وأراقصها فى رؤياى الصادقة
ونقضى ليل النشوة مخمورين.. نغيب نغيب
افتح عينى . يفر النوم على أحصنة شفقية
فتباغتنى الأسئلة المنسوجة.. من سنوات القهر.. وجوع القلب
اسّاقط من عرشى شهباً .. شهباً
يتجسد وهمى: صقراً وحشياً

أصرخ: يا من يلقفنى .. ويفسر حلمى

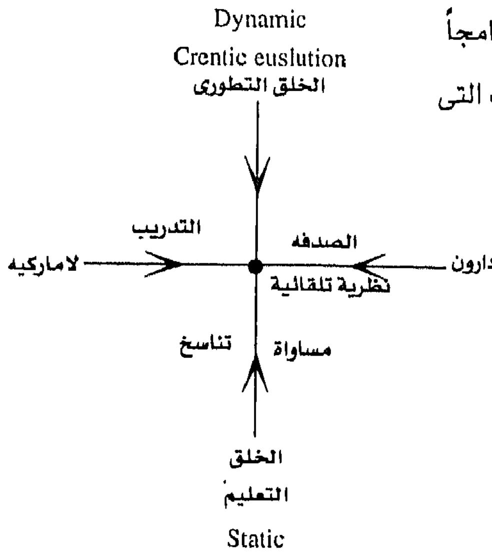
فتعود الأصداء إلى حلقى .. ظمأ لا يهدأ

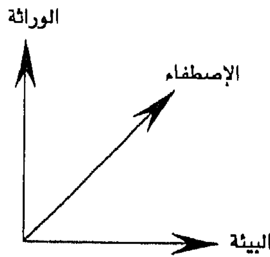
الخلق والإصطفاء والإكتساب
النظريات التعليمية والتلقائية والتدريبية

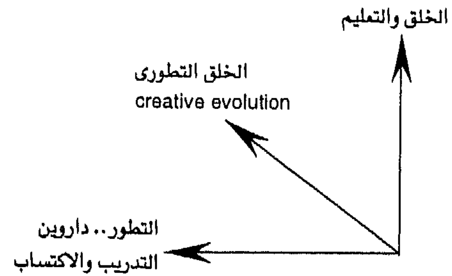
١ ـ الخلق: «نظرية تعليمية» الخالق إما أن يسلك:

(أ) سلوك النحات الذى يُعلم المادة الشكل الذى يجب أن تتخذه.

(ب) سلوك المبرمج الذى يكتب برنامجاً ويلقن الحاسب الإلكترونى العمليات التى يريد إنجازها.







٢ ـ الإصطفاء: "نظرية تلقائية": نظرية داروينية

الكائنات تتلقى من بيئتها ومن تكرار بعض الأفعال معلومات تُصبح وراثية وتنتقل من جيل الى جيل، غربال يستبعد التغيرات الفجائة الضارة . ويساعد على إنتشار التغيرات الفجائية المواتية. يكامل ويربط وينظم على المدى الطويل عبر ملايين السنين رداً على تحدى البيئة. وهو الذى يوجه الصدفة. هو الذى يُعِدّ ويُنضج تدريجياً وببطء بنيات معقدة جديدة وأعضاء جديدة وأنواع جديدة.

٣ ـ الإكتساب "نظرية تدريبية": نظرية لاماركية

وفق هذه النظرية اللاماركية للوراثة تعمل الذاكرة الوراثية والذاكرة العصبية . لنا ميل لا يقاوم إلى الإعتقاد فى النظرية التدريبية اللاماركية فى الوراثة وفى التطور. من الصعب تدمير هذه الفكرة، والواقع ان عملية الخلق ماهى إلا المزيج النهائى لهذه الاحتمالات وغيرها مما نجهل. التعليم والتدريب والصدفة الموجهة. الصورة الحقيقية شيئ آخر غير التفصيلات الجزئية.

كيف تم الخلق ؟

١ ـ إذا أردنا أن نخاطر بمقارنة ما، فإنه يمكن القول بأن الخالق سبحانه إذا كان مهندساً فإنه يعمل إستناداً إلى مخطط وفق مشروع إستغرق إعداده مدة طويلة. وإستغرق تنفيذه ٦ أيام من أيام الله. ألف سنة. خمسين ألف سنة. أو ملايين السنين. وبأنه لا يباشر عمله بالضرورة إنطلاقاً من مواضيع قديمة لكى يصنع بنية جديدة. لكى ينتج المهندس موضوعاً جديداً فإنه يستخدم وفى وقت واحد: مواد حددها لهذه المهمة وآلات مصممة تحديداً لهذا الغرض. أى أنه يأمر بتجميع المواد والأدوات التى تناسب مشروعه بدقة. يبلغ إنتاج المهندس مستوى الكمال الذى تسمح به تكنولوجيا عصره. المستقبل بالنسبة له خيال محتمل ويتصور بعض العلماء أنه لا يمكن أن نعتبر الله مهندسا للكائنات وإلا فلابد أنه لا يصنع إلا المخلوق الكامل. وأفضل حججهم على هذه المقولة:

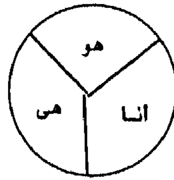
(أ) الشواذ من الكائنات. نقائص فى البنية والوظيفة.

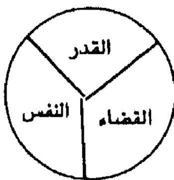
(ب) إنقراض الأنواع ٥٠٠ مليون نوع عل الأقل إنقرضت بعد أن عاشت على الأرض فى عصر أو آخر. إن وجود الشواذ وعملة الإنقراض أمران ضروريان للتطور الخلاق إن

خلق عينا معيبة شكلاً أو موقعاً أو ظيفة لا ينفى كمال القدرة على ان تصميم العيون الكواحل الجميلة هو تصميم يستحيل على غيره تنفيذه أو تخيل ماهو أفضل منه. تبارك الله أحسن الخالقين.

٢ ـ ويمكن أن نقارن عملية الخلق بعمل الحرفى الهاوى . علما بأن أسلوبه سبحانه لا يشبه أى جانب من جوانب السلوك البشرى. ليس كمثله شئ. ولا يستخلص الحرفى ـ المعلم ـ أشياء جديدة من العدم. عمله ينصب على ما هو موجود. فتارة يُحول منظومة قديمة لكى يعطيها وظيفة جديدة. وتارة أخرى يجمع عدة منظومات لكى يشيِّد منظومة جديدة أكثر تعقيداً. أى أن إنتاجه ثمرة وحصيلة جميع الفرص السانحة لإغناء أشياء قديمة. أى أن إنتاجه خلق مبتكر لا يحدد بأى برنامج صارم. كل مادة تصلح لاستخدامات متنوعة . القاعدة هى: من هذا يمكن الافادة دائماً. فى صنع أى شئ حسب الظروف. يأخذ ما يشاء من الموجودات المخزنة ويكسبه وظيفة جديدة غير متوقعة. من عجلة قديمة للسيارة يصنع مروحة. من ترابيزة مهشمة يصنع مظلة. وبيواوجيا فإن صنع الرئة من قطعة مرئ يشبه إلى حد كبير صنع جونلة لزوجتك من ستارة نافذة كانت الجدة تستخدمها. إذن لابد أن تجد فى الكتاب المكنون الموجود نسخة منه فى كل خلية حية، نوعين من الأوامر. تماماً كما أن آيات الله فى كتابه المقروء "محكم" "ومتشابه". فإن آياته فى كتابه المكنون "محكم""ومتشابه" بمعنى أن "المحكمات"تنتج إنساناً. لابد أن يكون الناتج إنساناً. أما الايات المتشابهات فإنها ليست بهذه الصرامة. إنها تأمر فقط بأنه لابد أن يكون فريداً. ولكى يكون فريداً فإنه يتفاعل مع البيئةويتغير ويتبدل حسب الظروف وإن ظل أبداً إنساناً. لا بوجود فرد واحد يشبه فرداً آخر. لا يشبه حتى والديه. لولا هذين النوعين من الأوامر لسميت عملية الخلق تناسخاً. وهناك أيضاً نوعان من الاعمال : قضاء وقدر. القضاء، قضائى "أنا". والقدر أمره "هو". أما «هى» النفس فهى تخضع لهما، للقضاء وللقدر حرية ومسئولية. هذا هو الإنسان. ثلاثية "أنا" و"هو" و"هى". الجسد والروح والنفس.

البقاء للأنفع





هل نحن قوالب تخضع أم قلوب تخشع ؟

﴿إنما تعبدون من دون الله أو ثانا وتخلقون إفكاً﴾

﴿خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظاما لحماً ثم أنشانه خلقا أخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾.

﴿أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين﴾

معنى هذه الآيات بوضوح أن الخلق ليس من عدم. لأنه مادام هناك خالقين فإن الخلق من عدم مستحيل وخلق الإفك ممكن.

كيف بدأ الخلق؟ كيف تكونت المادة، هل جاءت من العدم ؟ كيف يتخلق الحى من الميت؟ كيف تطورت الكائنات الحية ولا حياة قبلها؟ فى البدء كانت الخلية الواحدة، الأب الشرعى لكل الكائنات الحية، لا ذكر ولا أنثى، لا أعضاء تناسلية، لا تزاوج ولا تلاقح، الخلية لا تكبر ولا تشيخ، كلما تقدمت فى العمر وبلغت غاية النمو تنقسم الى طفلين، كل منهما فى أولى مراحل عمره وتظل الحياة مستمرة مستقرة لا يأتيها الموت من الداخل ولا يدركها إلا بحادثة، جفاف الماء، صاعقة من السماء. فإذا عاشت إرتقت فى الشكل والقدرة، وتحورت، لكنها تظل وحيدة حرة، لكن بمشيئة الله وطبقاً لقانون الخلق التطورى الذى إختاره وفرضه، تجمعت الخلايا المتفرقة، بدأت تتلاصق وتحولت الى نسيج. ثم تكونت المجموعات والعائلات ، ثم تخصصت، مجموعة للحركة، أخرى للهضم، ثالثة للإخراج، ثم حدثت نقطة التحول العظمى. الطامة الكبرى. ظهرت أعضاء التناسل فضاعت الحرية والحياة والحياء. أصبح الكائن الحى مخلوقاً مؤقتاً والحاجة اليه مؤقتة. أصبح مجرد وسيط حامل للبذور، المنويات أو البويضات أو حبوب اللقاح، فإذا تزاوج وغرس البذرة فى عملية التلقيح، إنتهى دوره، أصبح زائداً عن الحاجة ، ضيفاً ثقيلاً لا لزوم له، إنتقلت الحياة منه الى غيره، يظل يأكل ويشرب بعد ان إنتهت وظيفته الاصلية، وهى إستمرار النوع . إنتهى دوره، ليس هناك أى داع للأفواه العتيقة والعقول الذابلة، وجودها حجر عثرة ضد إنطلاق الجيل الجديد ونموه الحر. الأب لابد أن يغتاله الموت. ليس بالضرورة بحادثة ، لابد أن يكبر ويشيخ ويأتيه الموت من داخله، الأرملة الطروب تنتظر العدة. والأولاد يكفيهم المعاش أو التأمينات أو الارث والحرية، نزوة عضو واحد حكمت على كل الاعضاء بالفناء. يغازل أنثاه فإذا وقع فى الفخ حملت وإنتهى أمره. مثل ما يحدث لذكر النحل الذى يطارد الملكة، ينتظرها سنوات حتى تتم أطوار نموها ، ثم

تقتله ليلة الزفاف. لكن لماذا ظهرت أعضاء التناسل؟ يقول الواهم: إن قسوة الظروف وضراوة البيئة أجبرت الكائنات الأولى عل البحث عن وسيلة جديدة لإنتاج نسل قوى يستطيع أن يصمد ويقاوم وإلا إنقرض. ويقول العاقل العارف بالله :ـ تعالى الرحمن، له فى ذلك حكمة.

أيهما افضل : التزاوج بالإنقسام أم التزاوج بالإنسجام؟ يجيب الدكتور مصطفى محمود.

التزاوج بالإنقسام

يؤدى إلى نسل مكرر بدون إضافات جديدة تذكر لكنه يعيش فى الجنة الأبدية، نسل ضعيف حتى لو أمكن زرعه وإعادته للحياة بعد مليون سنة. وهذا ما حدث فعلاً.

أما التزاوج بالإنسجام

التكاثر بالتزاوج الجنسى هو الحل الوحيد لإنقاذ النوع من الانقراض. ونشأة الأنواع، بإضافات جديدة ومفيدة عند كل تزاوج. لكن الثمن كان هائلا. كلنا آدم. تفاحة آدم قصة رمزية كل من يأكل من الشجرة المحرمة لابد أن يطرد من الجنة. صدر الحكم بالفناء والزوال. متى ينفذ الحكم ؟ الموت كتاب موقوت. لهذا ينتابنا شعور نفسى عميق باطنى، أن اللذة الجنسية سقوط لأننا سقطنا فعلاً من ذروة الخلود الى هوة الفناء. بعد أن كنا كائنات أولية لا غاية لنا ولا هدف إلا ذاتنا، أصبحنا كائنات ثانوية لنقل بذور الحياة. فإذا كانت الحياة فى البدء خلية واحدة فهل كل الحيونات المختلفة هى فى الأصل من جنس واحد؟ "الإجابات" على هذا السؤال تعتمد على درجة إيمانك بالله وبالعلم أو بكليهما أو على قدر جرأتك على الله، أى جهلك بقدرك "وما قدروا الله حق قدره" أى بناء مهما كان ضخما أو معقدا صممه من فكر فيه وشيّده من بناه. اللبنة أو الخلايا هى قوالب الطوب التى أقامته . هذا يسرى على البناء الأصم أو المعمار الحى. على بيتك وعلى من يسكن فيه. وحدة بناء جسمك هى الخلايا . الخلية عبارة عن معمل كيماوى يعمل فى ظل ظروف متغيرة داخلها وحولها تؤثر فيها وتتأثر بها. تتلون وتتكيف ويتغير تكوينها وأداؤها لتتلاءم على الدوام مع البيئة الداخلية والخارجية Milieu Entrieur وتتطور لتنوع وتسبح ضد التيار.تنمو الى الأمام ضد التيار، تنمو الى أعلى ضد الجاذبية ، تطير فى الهواء ،

تغوص فى الماء. تعيش فى النار أو فى الجليد.. إذن لابد انه فى داخل كل خلية يداً هادية مرشدة تقودها من الداخل.

من هو المايسترو الذ يقود الفريق كله بعصاه؟.. هو الروح. هذا هو الحديد داخل كل خلية حية الأمر هو الروح هو الجينوم. هو الحامض النووى D.N.A.

لا يجوز لك أن تنتقد أو تهاجم عالماً إذا سأل أسئلة لا تعجبك ، إنه أخوك فى البشرية، فى الانسانية، إنه أيضاً ابن تسعة، المشكلة أنه يريد أن يعرف وأنت لا تريد. تشغله "الحياة"وأنت تشغلك "حاتك" الى هذا الحد أنت زنانى وهو ربانى. أما المتصوف فلا تشغله حياته ولا الحياة، يشغله الموت. علاقته بالله شخصية جدا. كأن الله هو ربه وحده. ماذا سيستفيد العالم من تصوفه؟ الله بالنسبة للعالم هو رب كل الناس، لحاضر والغائب، الذى مات والذى لم يولد بعد. هو رب المؤمن به والكافر والملحد أيضاً. أما الفقيه فهو "شاهد ما شافش حاجة". إنه يُصدِّق فقط، يُسَلِّمُ. يرفع الراية البيضاء. تخصصه الحلال والحرام. وحرم بعضهم الحلال وحلل «المفتى» السابق وشيخ الأزهر الحالى الحرام لموقفه من الربا هكذا يتوهم أعداءه وهم كثيرون. «المفتى الحالى» وموقفه من إجهاض المغتصبة "الشعراوى" وموقفه من نقل الاعضاء. أما إمتثالهم لأمر الله "سيروا فى الأرض وانظروا كيف بدأ الخلق" "كيف يبدئ الخلق" بدأ ويبدئ. ماضى ومضارع، فهذا عسير عليهم تنفيذه أو مجرد فهمه لأنه يتطلب معرفة ووسائل معرفة والتشاور مع الراسخين فى العلم أمر غير وارد. والشورى بين هؤلاء فكر تلزمه فهامة ولا تتسع له العمامة، ويترفع عليه علماء الدين. الفقيه مخطئ والعالم مخطئ. وللكنيسة مواقف أظلم وأبشع لكن لولا إختلاف الأذواق لبارت السلع. ولو إختلاف الفقهاء لضاعت الحقيقة.

كيف بدأ الخلق؟

هل كنا بذورا كونية هبطت على الأرض من النيازك والشهب القادمة من كواكب بعيدة مأهولة؟ كيف كان الحال عند بداية الخلق؟ كان الجو على الأرض خليطاً من غازات وأبخرة ، كان دخاناً ، خليطاً من غازات النوشادر NH4 والميثانCH3 واول اكسيد الكربونCo وبخار الماء H2O من عناصر أربعة (كربون. هيدروجين. نتروجين. اكسجين) CHNO تخلقت المكونات الأربعة "الماء، التراب، النار ، الهواء"، كيف؟ الأشعة فوق

البنفسجية كانت تصل إلى هذا الخليط حُرة لا تحجبها مظلة الأوزون، إذا إخترقت صاعقة كهربائية هذا الخليط المشع تتحول المواد غير العضوية الى مادة عضوية، الى مادة الحياة . المادة الحية تتألف من نفس العناصر الميتة التى حولنا فى الصخور والماء والطين. نفس الذرات الأربع. أعيد بناؤها بنسبٍ وأنماطٍ وعلاقاتٍ فريدة لتعطى المادة الحية. "الأحماض الأمينية، البروتينات" و"النشويات، السكريات" و"الزيوت، الدهون" أنظر الى الرشاقة العقلية، الى الفكر المستنير، أطلق أحد العلماء شرارة كهربائية على مزيج من هذه الغازات والأبخرة الغير عضوية فى ظل إشعاع فوق بنفسيجى فأنتج مادة عضوية. هذا حدث فعلاً، نقدم له الشكر . لكن ما لن يحدث هو أنك إذا وضعت فى أنبوبة إختبار نفس هذه العناصر وبنفس النسب فى نفس درجة حرارة الجسم الحى وإنتظرت مليون سنة فكل المواد الناتجة لن تؤدى وظيفة حيوية واحدة.

كيف بدأت الحياة ؟ أصبح السؤال عن بدء الحياة من النوافل.

هناك فرق بين المادة الحية والكائن الحى. الحياة بدأت فى خلية واحدة. جسمك أنت فى الأصل كان خلية واحدة. تحورت وتطورت إلى كل الأنواع والأشكال التى تكوّنك. الحيوانات المختلفة كانت فى الأصل جنساً واحداً. والحيوانات المختلفة سكنت بيئات مختلفة، وكل ساكن يتلائم مع بيئته. من يضطر الى النزول فى البحر لابد أن يُصبح سمكة وتتطور أرجله الى زعانف. من يضطر الى غزو الجو لابد أن يصبح طائراً وتتحور دراعاه الى أجنحة ويكتسى جلده بالريش. من يضطر للعيش فى المناطق الباردة يتحور ويتحول ويتطور ويكتسى جلده العارى بالفراء. ومن يضطر للعيش فى المناطق الاستوائية لابد أن يسود لون بشرته ليحتمى من أشعة الشمس فوق البنفسجية، لكن يظل قلبه أبيض. والدليل على أن أصل الحياة خلية واحدة هو هذا التشابه المذهل بين جميع الفصائل المختلفة. الثعبان الذى يزحف على بطنه بلا أرجل، أكتشف علماء التشريح المقارن أن له أربع أرجل ضامرة مختفية فى هيكله العظمى، والمجاديف التى تعوم بها السمكة، زعانفها الأربعة، هى نفس أرجلها المتحورة. ورقبة الزرافة على طولها لها سبع فقرات سمان مثل السبع العجاف التى فى رقبتك تماماً أيها القارئ العزيز. والقنفذ مقصوف الرقبة عنده أيضاً سبع فقرات رغم صِغر رقبته. عدد أصابع اليد والقدم خمسة فى يدك. كذلك فى يد القرد والفأر والسحالى، خمس أصابع. وفترة الحمل عند

زوجتك تسعة أشهر وكذلك أطفال الحيتان والقرود العليا أيضاً ولاد تسعة. وفترة رضاعة أى إبن تسعة هى حولين كاملين. عظمة العجز فى الإنسان هى ذيل القرد. إندمجت وإتحدت فقرات الذيل فى عظمة واحدة لإنعدام الوظيفة، تحولت عضلات الذيل إلى قاع الحوض المتين. هل حدث كل هذا بالصدفة ؟

يتصور بعض الناس أن وجود الانسان بصفته الحيوان العاقل الوحيد كان ثمرة الصراع الدموى بين الكائنات الحية. الإنسان الطفل الكهل الظلوم الجهول والهلوع، يصارع من؟ يصارع قوى الطبيعة ! ولأنه صارع الطبيعة ووقف ضدها فقد أخضعت له كل الكائنات لإنتقاء قاس وإختارت الانسان وحده، لم تهلكه أو تفنيه، أبقته ليسَيطر عليها !! هل هذا منطق مغقول؟ شكراً داروين، لقد اجتهت ولك أجر من إجتهد وأخطأ ، لكنك أيضاً أصبت ولك على ذلك أجران.

١ ـ اسمع قصة الخلق من علماء الأحياء، طوف وشوف. قم بزيارة الى متاحف التشريح بكليات الطب. أنظر الى النماذج المحنطة لجميع مراحل تكوين الجنين، أو تابع المراحل الحية بالصورة والموجات الصوتية لنمو إبنك فى بطن أمه. ستجد أن الجنين الذى بدأ بخلية واحدة ملقحة ثم تكاثر إلى علقة تأكل جدار الرحم مثل أى ميكروب من خلية واحدة. تنقسم مثله إلى ٢ ـ ٤ ـ ٨ ـ ثم يتحول إلى نسيج من طبقتين مثل الحيوانات البدائية، ثم يصبح مثل الدودة فتظهر فيه الطبقة الثالثة الوسطى، ولأنه سيحاط بالماء ويسبح فيه فلابد أن ينمو له خياشيم، وليتذكر أصله يغطى الشعر كل جسمه وينمو له ذيل مثل القرود. ثم يضمر الذيل ويتساقط الشعر من كل مكان إلا على الرأس. ولتأكيد نسبه بأنه كان يأكل الحشائش والأعشاب وكانت له أمعاء تهضم المواد السليولوزية فى البرسيم وتحوله إلى سكر وأن هذا الجزء من الأمعاء أصبح لا فائدة له. يضر أكثر مما ينفع فينقرض إلى الزائدة الدودية. مجرد ذكريات . السيناريو، عود على بدء. قصة الخلق المتطور creative evolution تُحكى من جديد فى كل كائن حى فى كل انثى تحمل وتلد أو تبيض وتفقس.

٢ ـ كيف يحكى علماء الإحاثة قصة الخلق؟ هؤلاء الحفارون فى طبقات الارض فى كل مكان جاءوا بالحقيقة. وجدوا جماجم أثرية يعود تاريخها إلى أكثر من مليون سنة. جماجم "بين بين" لا أبعدهم عن بعض هى إنسان ولا هى قرد. عجيبة لا نظير لها. فيها خصائص الإنسان والقرد أو الإنسان القرد. فى كهوف فيها بقايا خشب متفحم فى

مواقد خاصة مما يدل على أن أصحاب هذه الجماجم إكتشفوا النار وإستعملوها.

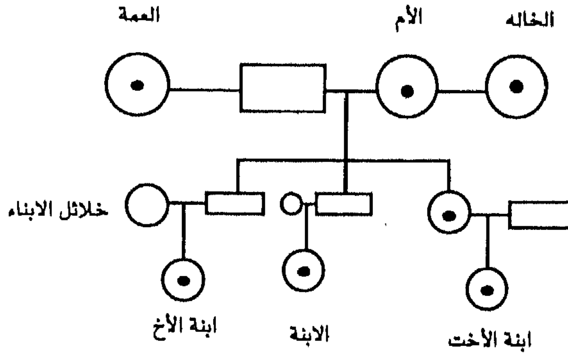
٣ - أما علماء وظائف الأعضاء "الفسيولوجيا" فقد اثبتوا التدبير والاقتصاد فى الأعضاء والوظائف. لاشئ وجد عبثا أو بالصدفة. لا بقاء لعضو إنتهت فائدته. لا عضو بلا فائدة. لا شكل بلا جمال. الجمال إما أن يكون فى الشكل، التكوين أو التصميم، أو فى الأداء والوظيفة. لا جمال بلا هدف . لكن ما فائدة الجمال؟ ما وظيفته؟ تعال نغوص فى قاع البحر لنرى عالم الأسماك أو نتجول فى الحدائق الغناء لنشاهد دنيا الفراشات ذات الألوان المبهجة والرسومات الهندسية المبدعة. يتساءل مصطفى محمود لماذا هذا الإسراف فى النقش والزخرفة وتعدد الألوان؟ هل جناح الفراشة لا يؤدى وظيفته إلا بهذه الرسوم المبدعة؟ هل يحتاج ذكر الطاووس لكل هذا الريش الزاهى الألوان؟ هل يحتاج ديك البرابر إلى كل هذه الأبهه؟ رداء من الريش الجميل وعُرف أحمر قانى شديد الإثارة وهذا الصوت الرخيم الجميل الذى يؤذّن ليوقظك فجراً؟. لا وجود لكل هذا فى نظرية داروين لأنه يتكلم عن خلق بلا خالق، وتطور بلا تصور سابق، وإنتقاء بلا هدف، تبذير بلا تدبير. هل البقاء للأصلح يا داروين؟ بالقطع لا، وإلا لماذا لا يزال يوجد الأبطأ والأضعف والأقل قدرة والأقبح؟. أم البقاء للأجمل يا دكتور مصطفى؟. بالتأكيد لا، ثم أن داروين لم يقل أن كل النوع يتطور. بعضه فقط والباقى يظل كما هو. البقاء للأنفع ، ديناً ودنيا.

كل هذا الجمال الذى يثير عينيك وأذنيك ولمسة يديك كان موجوداً قبل أن توجد. فلمن خلق؟ الجمال فى الحيوان والنبات خلق قبل الإنسان. هل الجمال فى الوجود الحى فقط؟. أبداً بل فى الوجود الجامد أيضاً. انظر إلى المجرة !! أو بلاش تروح بعيد فقد لا تعود. أنظر إلى الذرّة. معمار وهندسة وتوزيع رشيق وتوازن بالغ الدقة بين السالب والموجب ، بين الالكترون والبروتون. أنظر إلى التنوع الهائل فى النبات. الزهور والعطور، أشكال وألوان. ملايين الأشياء والكائنات البديعة. كل شئ جميل . كل هذه المخلوقات جميلة رقيقة مهما كانت صلبة، وصلبة مهما كانت رقيقة، لا يمكن أن تكون قد خُلقت فقط من أجل الكفاءة والإحتمال. البقاء لمن؟ للأنفع!. بدأ خلق الإنسان، آدم ثم حواء؟ كما يقول العهد القديم إذن كيف بدأ التكاثر؟ فى البداية كان لابد أن يتزوج الأخ أخته إلى أن يزيد النسل ويحدث التباعد. هذا النسل الضعيف غرق وجاء إنسان ما بعد نوح. ومع

تكاثر العدد وبمرور الزمن أصبحت الفرص أفضل وتحسن الإنتاج. ظل الذكر يختار الأنثى الأجمل وتنجذب الأنثى للذكر الأكمل. ربما للحفاظ على جمال النوع. لكن الأنثى فى الطير هى التى ترقد على بيضها معظم الوقت وترعى صغارها وتطعمهم لذلك هى أقل جمالاً. ما الحكمة فى ذلك ؟. حتى لا تُلفت نظر أعدائها من المخلوقات الأخرى التى تتربص بها وكذلك النساء! المرأة الأكثر إثارة أقل كفاءة دينا ودنيا. كل تلبس أقل من تتوهج أكثر تحترق أسرع. أخيراً وفى اللحظة المناسبة أنزل الله حكمه. كتاب الله حكم بالحق فى هذه القضية، لابد من التباعد بين الزوجين. الحكمة الإلهية وراء ذلك هى تقوية النسل لأن زواج الأقارب يساعد على إنتشار وتفاقم الأمراض الوراثية.

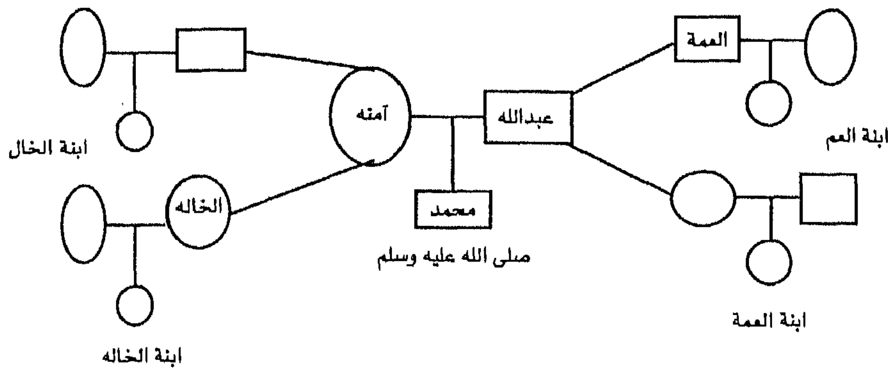
لذلك حرّم الله على المسلمين

﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت.. وأمهاتكم التى أرضعنكم وأخواتكم فى الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم .. وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين.. والمحصنات من النساء﴾ ٤ سورة النساء "٢٢ - ٢٤"



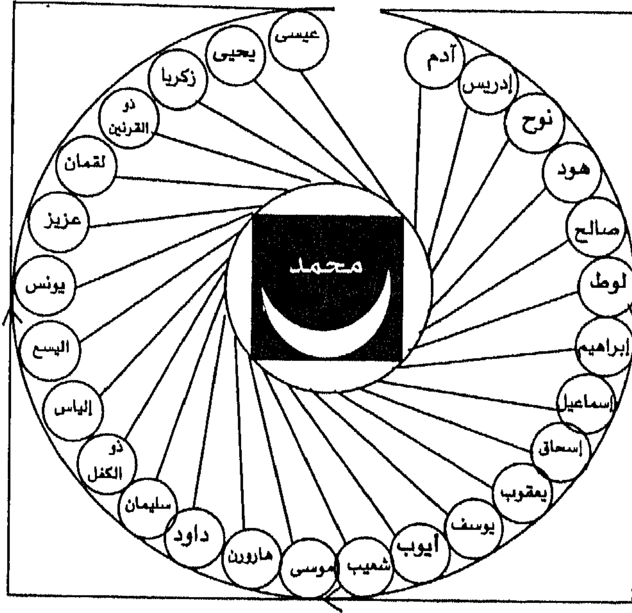
وأحلّ للنبى ما كرهه للمسلمين

﴿يا أيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك التى أتيت أجورهن.. وبنات عمك وبنات عمّتك وبنات خالك وبنات خلتك﴾... سورة الاحزاب "٥٠" لاحظ أنه يخاطب محمداً فى مقام النبوة "الحق والباطل" لأنه إذا قال يا أيها الرسول فإنه يخاطبه فى مقام الرسالة "الحلال والحرام". أى زوجات النبى من قريباته، لا أحد حلال مع وقف التنفيذ.



إن الزواج من الاقارب له اثار سلبية على النسل وله أيضاً آثار سلبية على توزيع الثروة يمكن أن يصدر تشريع يمنع زواج الاقارب دون أن نكون قد تجاوزنا حدود الله. لا يحتاج هذا الى قياس حالة على نص تراثى لأن ما فعله السلف قد يكون غير مفيد لنا أو قابلاً للتنفيذ حسب التطور المعرفى والاقتصادى والاجتماعى للمرحلة التاريخية التى نعيش فيها. فالتشريع الرسلامى متجدد دائماً حنيفى "متغير" ولكن ضمن حدود الله وهذا يفسر لنا لماذا يكون للمجتهد المخطئ أجراً وللمجتهد المصيب أجران.

﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾. كل شئ خلق قبلك ومن أجلك. لخدمتك هل هناك تشابه بين الخادم والمخدوم؟ تشابه! نعم، وصلة نسب أيضاً. ولكن هذا أمر نسبى. الفلاح يهتم ببقرته الحلوب أكثر من إهتمامه بإبنه. والعربجى يعتنى بحماره أكثر من نفسه وأنت قد تدمر صحتك وتصون سيارتك. انت إذا دخنت تُفسد وهى إذا فسدت دخنت.



﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾

من هو الإنسان؟

١ - الإنسان جسداً من الأرض: يهوى مثلها التلقيح والأخصاب. الإنسان بويضة وماء الحياة. الأرض بذرة وماء السماء. التلقيح يُنبت الإنسان والورود والزهور والأشجار الباسقة الضخمة.

٢ - الإنسان نفسا من السماء: نفحة من الله. نفحة من الروح. نفسه مثل سماءه رائعة صافية لكنها تبرق وأحياناً ترعد وتشتى عاتية غاضبة. تنعكس السماء على البحر فتراه صفحة هادئة مع أن فى باطنه ثعابين الماء وأسماك القرش وفى قاعة اللؤلؤ والمرجان والياقوت. لكن هل سمك النهر الهادئ أطعم من أسماك المحيط الصاخب؟ هل التشكيلات الجميلة للسحب تمطر ماءً أفضل من السحب المتراكمة؟

٣ - الإنسان تطوراً من الحيوان: تختلف عليه وتجتمع فيه كل ما تفرق فى الحيوانات حسب الأحوال والأهوال والمناسبات والمزاجات. فى إنسان واحد يمكن أن تجد كل هذا. مكر الثعلب، وفاء الكلب، شجاعة الأسد، اندفاع الثور، تحمل الجمل، إنتقام الفيل، وداعة

الحمار، رقة الغزال، تلون الحرباء، غدر النمر، لؤم الضبع. وكما يقول دكتور مصطفى محمود العارفون بالله يقولون أن كل ما نراه فى الكون متفرقا من نبات وحيوان وجماد نجده مجتمعا فى كتاب واحد إسمه الإنسان. وقد أسجد الله الملائكة للروح الذى فى هذا الانسان. وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وأعطاه الخلافة والحاكمية وحفَّه بأسمائه الحسنى ترعاه بحقائقها وتحفظه بأسرارها. وأقول له الراسخون فى العلم يقولون نفس الكلام بصياغة أخرى لا ينفع فيها الشعر والنثر. لغة أخرى علمية رياضة يفهمها كل العالمون مهما أختلفت ألوانهم وألسنتهم وهذا هو موضوع كتابى.

لماذا جاء هذا المخلوق نملة والآخر حماراً والثالث خنزيراً والرابع صرصوراً؟ الفقهاء لا يسألون والعلماء لا يهتمون . الذى يهتم بهذا هم الفلاسفة. ذوى الرؤى الأبعد والأعمق والأشمل والأعم. هل الإنسان هوالمراد من خلق الكون؟ لماذا الملائكة وخصهم بالولاية ؟ لماذا الشاطين وخصهم بالغواية؟ إبليس كان من الجن وكان له رتبة الملائكة . لكنه إستكبر فلم يصلح إلا للغواية. لماذا الناس أنبياء ونبلاء وسفلة؟ لماذا سخط الأشقياء قردة وخنازير؟ لماذا إختلاف الرتب بين الخلائق؟ هل هى استحقاقات أزلية؟ هل نفس هذا المخلوق لا تقبل إلا هذه الصورة؟ هل إختار كل واحد حقيقة؟ لقد عرض الله الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان أنه كان ظلوماً جهولاً. المسألة عرض وقبول. إذن كل شئ بالإختيار. فهل الإنسان هو الذى إختار حمل الأمانة؟ أم أن هذا قرار إلهى؟ ثم إذا كان آدم قد قبلها وحده فما ذنب بنيه؟ أم أن المقصود هو أن كل إنسان، كل الأنفس فى عالم الذر التى شهدت بوحدانيته هى التى قبلت أن تحل فى أجساد البشر ليصبح إنساناً؟

بعض النفوس قبلت الحقائق الملكوتية وبعض النفوس لم تقبل إلا الصفات السفلية التى تشاكلها يقول الله: أن الإنسان هو خليفته. وأن صفوة الناس هم الأنبياء وصفوة الأنبياء هو خاتمهم محمداً الإنسان الكامل. ويقول العارفون بالله أن محمداً هو العماد الذى ضربت عليه قبة الوجود وهو النبى الخاتم الذى إجتمعت له مفاتيح المعارف وكنوز الرحمة ومقام الشفاعة وأنوار الهداية وتميز على الكل بأنه على خلق عظيم. إذا كان هذا هو ما يراه الدكتور مصطفى محمود . فأقول له: إذا آمن بذلك المسلمون فَلِمَ لانثبت هذا

لغيرهم؟ كل هذا الحب الذى قيل نثراً ونظماً وشعراً لابد أن نترجمه الى لغة يفهمها كل الناس. حتى نزيل وصمة العار التى لحقت بالمسلمين وليس بالإسلام بفضل أشاوس العراق ومجاهدى أفغانستان وملالى إيران وترابى السودان وجبهة الإنقاذ الجزائرية وهيئة التحرير المصرية نحن نظلم محمداً بقفل باب الإجتهاد وإغلاق الأفواه. ما قاله الأئمة الأجلاء، الأموات منذ قرون هو الذى يُلزمنا حتى اليوم ولا يلزمنا غيره. أى منطق هذا؟ لا يكفى أن تحب الله وحدك. لكى تكون حبيب الله لابد أن تجعل غيرك يحبه . القلب ينبض بالحب، والعقل ينبض بالفكر. والنبض دليل الحياة. العارف بالحب وحده أنانى "قمر" يهدى نفسه ومن تبعه فقط. يظهر ليلاً لمن يسهر من عشاقه. والعالم، بالحكمة ربانى "شمس" والشمس تشرق للجميع، المؤمن والعاصى، المسلم والكافر. لا تعزب أبداً مشرق. مشرقين مشارق. العشق الإلهى والحب المحمدى نور يسرى من القلب وإليه بدون أسباب. حب صامت إناره . لكن إذا تكلمت به أو عنه لابد من إبداء الأسباب. إستنارة. فى المعرفة الصوفية أصحاب وحدة الوجود. لا موجود إلا هو، وإنكار كل الكائنات. أما أصحاب وحدة الشهود. لا مشهود إلا هو وإسدال ستار النسيان المطلق على كل الكائنات . قد يكون هذا الاسلوب أفضل من أسلوب من فضلوا جفاف المنطق على طراوة الإيمان. لكن تعالوا نتفق أليس الأسلوب الأمثل للوصول الى معرفة تسكب الإطمئنان فى القلب وتفتح نوافذ العقل الى الحقيقة الإلهية هى أن نجمع كل العلوم القرآنية: القرآن المقروءة "القرآن" والقرآن المنظور "العلوم الكونية" والقرآن المنطوق " السنة الصحيحة كل ما قاله وفعله محمد. سيرته بلا أوهام وكلامه بلا تحريف". معرفة الله ممكنة للبعض بالفكر ولآخرين بالحب، لكنها ميسورة للجميع بالطاعة والتقوى. أليس أكرمنا عند الله أتقانا؟

يقول الدكتور مصطفى محمود فى مقاله "العلوم الذرية والإسلام": من ألوف السنين. ومن قبل أن يمتلك الإنسان معامل للطبيعة والكيمياء، ومن قبل أن تتاح له فرصة التحليل المعمل للمادة كان مشغولاً بإكتشاف سر المادة وتكوينها، وكان يحاول أن يفض ألغازها وأسرارها بعقله المجرد، بالنظر والتأمل «المقام» بينما كان أهل الشطح من الصوفية «الحال» يحاولون الوصول بالإلهام. وأنه لأمر عجب ومدهش أن نعثر فى مخطوطة للصوفى المسلم جلال الدين الرومى منذ حوالى الألف سنة عبارة يقول فيها: - «لو فلقت

الذرة لوجدت فى داخلها نظاماً شمسيا» ونجد نفس العبارة لفريد الدين العطار من تسعمائة سنة: «الذرة فيها الشمس» «وإن شققت الذرة وجدت فيها عالما»، «كل ذرات العالم فى عمل لا تعطل فيه» وكذلك نجد رهبان البوذية فى تعاليمهم من أربعة الأف سنة أن المادة تتقسم لأصغر جزء فيها. وذلك الأصغر هو وحدة قائمة بذاتها، وتحتوى تلك الوحده عل نظام من «الداهرامات» يتراوح عددها من ٨ إلى ١٢ داهرما. وهذه الداهرمات تُولد لتفنى سريعا ويبقى تأثير الواحد لفترة قصيرة ثم يعقبه غيره. كيف وصل هؤلاء بإلهامهم إلى قلب الحقيقة هكذا دفعة واحدة، وبدون وسائل؟ ثم إننا لنرى القرآن يشير إلى الذرة من ألف وأربعمائة سنة على أن لها مثقالا ويقرر أن هناك ما هو أصغر من الذرة مؤكدا بذلك أنها كتلة قابلة للقسمة. وقديما قال فلاسفة المعتزلة المسلمون بأن المادة تتجزء حتى تصير إلى جزء لا يقبل التجزئة أوالقسمة وما أسموه «بالجوهر الفرد» هو الذرة. وأنكر فلاسفة المسلمون هذا المذهب فقال إبراهيم النظام. لا جزء إلا وله جزء ولا بعض إلا وله بعض ولا نصف إلا وله نصف وأن الجزء يجوز تجزئته أبدا. كما أنكر الفارابى وابن الهيثم وابن سينا والكندى هذا المذهب وقالوا بأن الجوهر الفرد أوالذرة تقبل التجزئة لما هو أصغر. إذن لا يجب أبدا أن نستهين بإلهام الصوفية. بل يجب البحث فى أقوالهم عن حقائق نطقوا بها وإن لم يدركوها. هم أحباء الله. لذلك أطلعهم على بعض سره الذى حجبه عمن سواهم. وستظل أقرب الطرق إلى الله «حبه» وأيسر المعرفة «الإلهام» لمن جاهد منهم وإستطاع أن يسلك هذا الطريق الصعب.

أما أمثالى الذين وهبوا عمرهم لخدمة الآخرين وتخفيف آلامهم فلا وقت عندهم للإعتكاف أو الإعتزال. عياداتهم عبادة وعبادتهم عمل. الناس يتصورون أن القلب يعمل ٢٤ ساعة فى اليوم يدق ٧٢ مرة كل ٦٠ ثانية. لا يهدأ ولا يستريح لا يغفل ولا ينام. لكن الحقيقة أنه فى كل نبضة فترة راحة أكبر من فترة عمله. وهذا ما أفعله، يهيء إليك أننى لا أكل ولا أمل ولا أستريح إلا أننى أرى الله فى كل شيء وفى كل أحوالى. لا يفارقنى ولا أغفل عنه. وفضلاً منه وحناناً، يلهمنى بما يريحنى ويطمئنى. هذه هذ روعة الحب العملى.



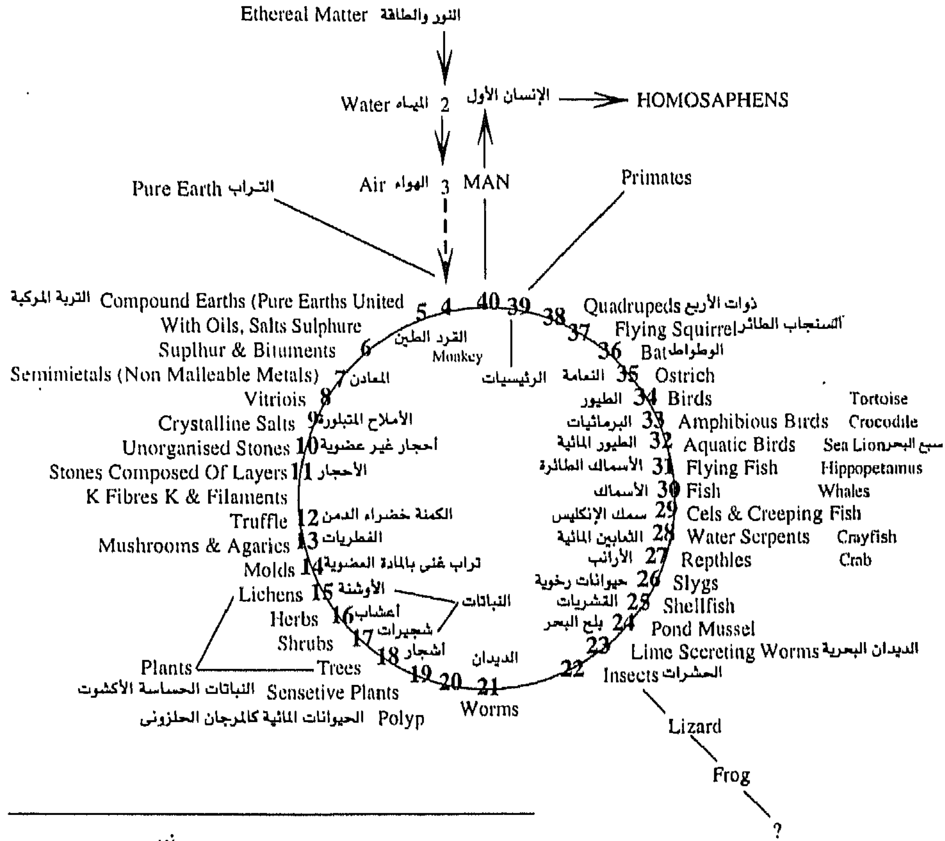
مولد آدم

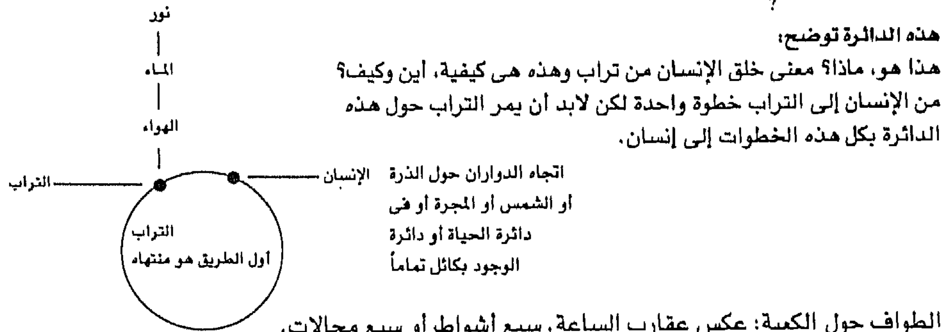
ترتيـل الكائنات

ترتيل الكائنات

	٤٠	MAN	الإنسان
	٣٩	monkey	القرد
	٣٨	QUADRUPEDS	ذوات الأربع
tortoise	٣٧	flying squirrel	السنجاب الطائر
crocodile	٣٦	bat	الوطواط
سبع البحر sea lion	٣٥	ostrich	النعامة
hippoptamus	٣٤	BIRDS	الطيور
whales	٣٣	amphibious birds	البرمائيات
?	٣٢	aquatic birds	الطيور المائية
	٣١	flying fish	الأسماك الطائرة
	٣٠	fish	الأسماك
?	٢٩	eels & creeping fish	سمك الإنكيس
crab	٢٨	water serpents	الثعابين المائية
crayfish	٢٧	REPTILES	الأرانب
?	٢٦	slugs	حيوانات رخوية
lizard	٢٥	SHELLFISH	القشريات
الضفضعة frog	٢٤	pond mussel	بلح البحر
	٢٣	lime secreting worms	الديدان البحرية
	٢٢	INSECTS	الحشرات
	٢١	worms	الديدان
	٢٠	polyp	الحيوانات المائية كالمرجان الحلزونى
	١٩	sensetive plants	النباتات الحساسة الأكشوت
النباتات — اشجار	١٨	trees	PLANTS
النباتات — شجيرات	١٧	shrubs	PLANTS
النباتات — اعشاب	١٦	herbs	PLANTS
	١٥	lichens	الأوشنة
	١٤	molds	تراب غنى بالمادة العضوية
	١٣	mushrooms & agarics	الفطريات
	١٢	truffle	الكمئة خضراء الدمن
	١١	stones composedof layers K fibres K & filaments	الأحجار
	١٠	unorganised stones	أحجار غير عضوية
	٩	SALTS CRYSTALLINE	الأملاح المتبلورة
	٨	vitriols	
	٧	SEMIMETALS (non malleable metals)	المعادن
	٦	sulphur & bitments	الكبريت و
	٥	cmpound earth (pure earths united with oils. salts sulphurs	تربة مركبة
	٤	PURE EARTH	التربة النقية
	٣	WATER	المياه
	٢	AIR	الهواء
	١	ETHEREAL MATTER	النور والطاقة

Drawn as diagram from Bonnet,s 1764 list by P.C. Ritterbush in Overtures to Biology. Idee d,une echelle des etres naturelles.





هذه الدائرة توضح:

هذا هو، ماذا؟ معنى خلق الإنسان من تراب وهذه هى كيفية، أين وكيف؟ من الإنسان إلى التراب خطوة واحدة لكن لابد أن يمر التراب حول هذه الدائرة بكل هذه الخطوات إلى إنسان.

الطواف حول الكعبة: عكس عقارب الساعة، سبع أشواط أو سبع مجالات.

كل ما هو حى، يفنى ويعفود تراباً وهواء وماء. ثم يدور مرة أخرى فى دائرة الحياة لينشئه الله خلقاً آخر

ethereal فى اللغة تعنى: سماعى: غير مادى: غير ذلك فإن تعبير Ethereal Maner يعنى: على أقصى الاحتمال. مادة باللغة الرقة، ذلك لا يعنى إطلاقاً النور فى مفهومنا الدينى عن «الله»: نور على نور.

استـغـرق التطور مـن التـراب إلى الإنسـان مـلايين السنين وقـد رأيت أنني إذا أدرت الخط المستقيم الذى له بداية ونهاية إلى دائرة ستبرق وتشرق الحقيقة. الإنسان سيد الكائنات من تراب وكل ما دونه كذلك. تحول كل شىء إلى تراب سهل جداً وسريع جداً. أما تحول التراب إلى أي شىء فهو أمر يقتضى مرور ملايين السنين. الماضى السحيق جداً الذى يقاس بالسنين الضوئية أصبح بالاستدارة حين اقتربت البداية من النهاية هو عمر. كل كائن حى من بدايته إلى نهايته.

الترتيـــل

ما معنى الترتيل؟ التنسيق بالترتيب identification differentiation classification

التقسيم المقارن. الجدولة The secret of success is classification

المزمل آيات من ١ إلى ٥ نزلت بعد سورة القلم:

﴿يأيها المزمل قم الليل إلا قليلا أوزد عليه ورتل القرءان ترتيلا إنا سنلقى يملك قولا ثقيلا﴾

الرتل فى اللسان العربى هو الصف على نسق معين ولا يقصد بالترتيل التلاوة ولا التنغيم والله سبحانه وتعالى نزل القرآن على النبى على أرتال ما جاء فى آية الرابعة من سورة المزمل لا يرتبط من قريب أوبعيد بالتأنق فى التلاوة حيث أن وصف القول بالثقيل فى الآية التالية لا بقصد به الثقل فى التلفظ بل وعورة فهم معنى ما يشتمل عليه القرآن من علم. وإذا كان ذلك كذلك إتضح أن معنى رتل هو ـ نظم الموضوعات الواحدة الواردة فى آيات مختلفة فى نسق واحد كى سهل فهمها.

الفرقان ٣٢: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة، كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا﴾. من الذى رتله؟ هذه آية كريمة تحسم المعنى تماما.

القرآن نزل على النبى على أرتال ولم يأته دفعة واحدة. لا علاقة لهذا طبعا بالتنغيم والتلاوة. هناك موضوع واحد جاء فى القرآن كلها دفعة واحدة وفى سورة واحدة. (سورة يوسف).

القرآن أنزل بلسان عربى مبين وقد أنكر الدكتور شحرور ظاهرة الترادف فى اللغة العربية فلا يجوز أن تعتبر أن القراءة هى التلاوة هى الترتيل حين إستند الباحث إلى

الأصل اللغوى لمادة «ر ت ل » الشئ، وجد أنها تعنى نسق فى التلاوه كما ورد فى المعجم الوسيط الذى وضع فى مجمع اللغة العربية فى القاهرة، إصدار المكتبة العلمية طهران. أشار الزمخشرى فى أساس البلاغة فى مادة «ر ت ل» من الإعجاز إذا ترسل فى تلاوته وأحسن تأليف حروفه وهو يسترسل فى كلامه ويترتل نزلت مواضيع القرآن متفرقة فى السور فمثلا موضوع آدم موجود فى سورة البقرة والأعراف وطه وسور آخرى. وكذلك قصة نوح موجودة فى سورة نوح وهود والأعراف والمؤمنون وكذلك قصة موسى موجوده فى كثير من السور فكيف نفهم أى موضوع إذا لم يتم ترتيله. الترتيل هو أخذ الآيات المتعلقة بالموضوع الواحد وترتيلها بعضها وراء بعض حسب ترتيب نزولها. وهذا ما فعله الدكتور شاهين فى كتابه «أبى آدم». رتل آيات الخلق فى كتابه الرائع.

إن قاعدة الترتيل هى من قواعد البحث العلمى الحديث ومن دونها لا يمكن لأى بحث علمى أن يعطى أى نتائج إيجابية. هذه القاعدة الهامة لم تتبع فى التفاسير التاريخية المتوفرة لدينا. وبما أن القرآن حقيقة مطلقة فتأويله الكامل لا يكون إلا من قبل واحد فقط. وهذا الواحد هو الله المطلق ولذلك لا يمكن أن يعلم حتى النبى محمد نفسه التأويل الكامل للقرآن بكل تفاصيله لأنه بذلك يصبح شريكا فى مطلق المعرفة. أما معرفة التأويل المتدرج المرحلى فهو مهمة الراسخين فى العلم كلهم مجتمعين لا فرادى وهنا يجب أن نفهم أن الراسخين فى العلم هم مجموعة كبار الفلاسفة وعلماء الطبيعة وأصل الإنسان وأصل الكون وعلماء الفضاء وكبار علماء التاريخ وهؤلاء مجتمعين هم صدور الناس. ولم تشترط لهذا الإجتماع حضور الفقهاء لأنه ليسوا معنين بهذه الآية.

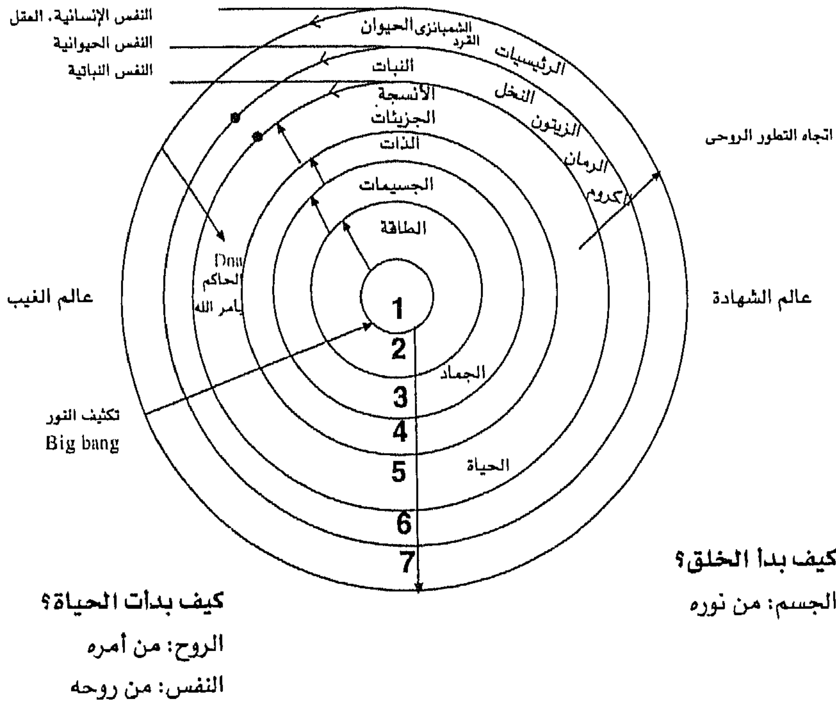
كان الشيخ الغزالى محقا حين أصدر سلسلة التفسير الموضوعى. وكان يجب عليه أن يقتصر تأويله على آيات «أم الكتاب» «الرسالة». « المحارم» «محارم الزينه» «ومحارم الزواج» «والمداينة» «والوضوء» «والصوم» «والأرث» «والوصايا» وهذه آيات لا حاجة لترتيلها.

Circles of Existence. Circle of Life

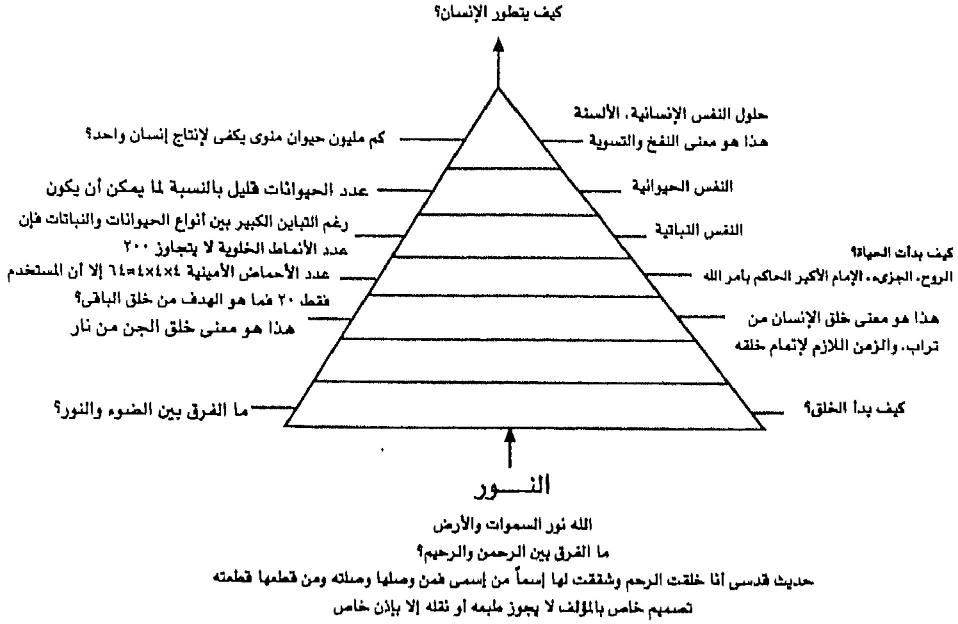
دائرة الحياة. دوائر الوجود

عندما تتحد الموجودات ويتصل أولها بآخرها. تتم الدائرة التي جعلت الكثرة وحدة

ابن مسكوية



الروح: هو الدستور. هو النموذج المثالى لعلم إدارة الكائنات المعقدة والسيطرة على سلوكها، وذلك يتطلب حيازة بدائل وخيارات والقدرة على إنتاج أفكار وابتداع أوهام تفوق في تعددها وتنوعها أى كيان أنتجه أو أبدعه أى عقل إنسانى إلى الأبد. دستور حى متطور قابل للتحديث والتجديد والتعديل مع الاحتفاظ بطلاقة قدرة الجوهر والسر المكنون.



١ ـ الروح هو الجينوم. وكلمة جينوم مركب مكون من كلمتين هما كلمة «جين» وكلمة «كروموزوم» حذفت حروف أوائل الكلمة الثانية تسهيلاً للنطق بالمركزب. ويقصد بهذا المركب المزجى التعبير عن كتلة المادة الوراثية التى داخل النواة وحولها. لولب مزدوج مدكوك لو تم فرده لخرج من الخلية المبهرية حيل طوله أكثر من متر. هذا هو الروح. حبل الله المتين. أمر الله المقسوم المقدر الواجب النفاذ الواهب للحياة. والمكتوب على الجبين لازم تشوفه العين.

٢ ـ التطور فى نظر علماء المسلمين: أقر به عباس محمود العقاد عملاق الأدب والمؤرخ الإسلامى المعروف. ويعتبر أمن الخولى من الشخصيات الإسلامية واللغوية والأدبية. وقد حاول تأصيل نظرية التطور مع معتقداتنا الإسلامية. ورأى أن النزاع المفتعل بين الإسلام ونظرية التطور سببه الإسرائيليات. وله نظريه في التفسير تربط بين علم النفس والبلاغه ولإيمانه بضرورة التأويل hermeneutics اعتبر أن النص معين لا ينصب أبداً، متجدد دائماً. لكن الشخص الذى يفسر نصاً يلون هذا النص بتفسيره له وفهمه أياه على قدر المستوى الفكري لشخصيته وأفقه العقلى الذي تمتد إليه كلمات النص. معناها ومرماها. واضطراره لتقريب المعنى حسب أفق القارىء أو المستمع وواقعه.

كيف نشأ هذا الكون؟ من الأجسام الى الجزئيات الى العناصر الى الذرات الى الجسيمات؟ كيف نشأت الكائنات من الديناصورات إلى البامبينو؟ دون الدخول فى تفاصيل خاصة بالفيزياء النووية ، البامبينو هو إسم الدلع لجسم إسمه النيوترينوجسم عجيب ليس له شحنة يحمل الرسائل بسرعة الضوء داخل الذرة وخارجها لا شأن له بالتفاعلات النووية أو الكيميائية، الانفجار العظيم Big Bang عبارة عن مفاعل نووى ضخم أنتج جميع الجسيمات اللازمة لتكون المادة فى الكون ثم أغلق الى الأبد. هناك علماء يقولون أن الإنفجار العظيم لم يحدث أبداً. وفى تصورى أن البداية نشأت من تكثيف النور أكابر العلماء فى القرن الـ ٢١ يؤمنون ويؤكدون أن الكون نشأ من دقيقة واحدة Singulaity جميع العناصر الموجودة فى الطبيعة باستثناء الهيدروجين ليست تكثيف النور سوى مخلفات لعمليات احتراق نووى تمت فى باطن النجوم فى الماضى السحيق.

المادة نشأت مما وراء المادة. فى اللغة العربية فقط هناك فرق بين الضوء والنور

الجدول الدورى للعناصر

أدرج الكيمائى الروسى ديمترى إيفانوفيتش مندليف عناصر المادة المعروفة فى زمانه سنة ١٨٧١ فى جدول، مرتبة بأسلوب دورى وفقا لكتلتها الذرية المتزايدة فى هذا الجدول يمثل كل عمود رأسى مجموعة من العناصر المتشابهة كيميائياً. وقد كان لهذا الجدول فضل عظيم فى دراسة الكيمياء. ومن ذلك أن مندليف تنبأ بناء على جدوله بوجود عناصر لم تكن قد أكتشفت بعد، وتم فعلاً إكتشافها ، وقد كرَّمه الكيميائيون بنسبة العنصر المكتشف رقم ١٠١ اليه فأسموه «منديليفون». فى الطبيعة الحديثة، العناصر مرتبة وفقا لأرقامها الذرية أى عدد البروتونات فى نواها. لكن ما الذى استفاده الفكر من هذا الاكتشاف؟

إن إكتشاف الجدول الدورى للعناصر دل على **وحدة الماهية**. الفروق بين العناصر تعود الى اختلافات فى البنية الداخلية. العناصر، غازات وسوائل ومواد صلبة، يمكن أن يتحول بعضها الى بعض. الوحدة الكاملة بين كل العناصر معناها تحويل بعضها الى بضها وبنائها من بعضها الجوهر واحد وإن تبدى فى أشكال مختلفة. كأنها موجودات

منفصلة مستقلة لا تمت بصلة الى بعضها مماثلة لبعضها ومختلفة عن بعضها فى آن واحد . إنها ذات جوهر واحد لكنها متمايزة عن بعضها فى آن . أوقل إن خصائصها الظاهرة تختلف من واحد الى آخر ولكن مضمونها واحد. ثمة تناقض واضح بَيّن بين الظاهر والباطن. كيف السبيل الى حل هذا التناقض؟ بذور التناقضات الخطرة تنخر أسس البناء. التطور يقود الى خلق النقيض فينشأ توتر حاد بين النقيضين ويتفاقم الوضع حتى يصل الى حد الانفجار (الثورة العلمية) التى تغير النقيضان. تدمجهما ضمن إطار نظرى جديد أشمل من كليهما.

ـ الحل الأول: تهميش التناقضات الجوهرية بين الأطر المختلفة ثم محاولة التوفيق بينها بوضع مزيد من الفرضيات الاعتباطية. أن إفراز التناقض يتفاقم حتى يبيت احتواءه مستحيلاً لأن الحلول المقترحة كانت تعيد إنتاج التناقض ذاته فى أشكال مختلفة.

الحل الثانى: ـ توكيد التناقضات ثم محاولة حلها جدلياً بإجراء تغييرات ثورية فى بعض الأطر القائمة من أجل دمجها معاً فى إطار أشمل وأرحب. إطار جديد أفرزته وولدته التناقضات.

علام والام يشير هذا التناقض؟ ما علاقة هذا بسيرورة التوحيد؟ إذا أستيقنت هذه الحقائق يتبين لك أن التوحيد ليس ذاتياً، ينبع من «رغبة ذاتية» كامنة فى الإنسان لتبسيط الأمور عن طريق دمجها وتوحيدها ضمن أطر ذهنية مبتكرة. كلا ، إنه «نظرة موضوعية» تمثل بنية التطور النابع من التوحيد.

معاً نحن أفضل:

إذا كانت الكائنات الحية جميعها قد إنحدرت من بعض الكائنات البسيطة فإننا نأمل أن تكون خلايانا ما زالت محتفظة بأثار أقدم الكائنات الحية. قد يبدو هذا الأمل من النظرة الأولى مناف للعقل. فماذا يا ترى يجمع بين الأوزة والزرافة؟. وما هو الشئ المشترك بين الانسان والبكتريا الموجودة بأحشائه؟ يقول الفيلسوف الساخر، ما جمع بينى وبين كل شئ وأى شئ، أن كل الكائنات الحية إما آكلة أو مأكولة. يا قاتل يا مقتول. المساواة تامة تحت الأرض، لا فرق مطلقاً بين رجل مات أو حمار نفق. وفوق الأرض أنت مثل كل الحيوانات، يدخل الطعام من ناحية ويخرج من الناحية الأخرى. امم أمثالكم .

إن التباين فى الطبيعة والإنسان والحيوان والنبات والكائنات الحية الدقيقة بل حتى الفيروسات مبنى على تصميم أساسى مشترك. لغة كيميائية واحدة. أما ما يجعل من الصعب علينا فى حياتنا اليومية أن ننفذ خلف المظاهر المرئية وتعمق الى توحدها فإنما يرجع الى أن هذا التنوع الشائع ما هو إلا نتيجة حتمية لهذا التصميم الرائع الذى يصعب إدراكه أو حتى تصوره وقبل أن نتكلم عن الكائن الحى (المادة والروح) (الجسد والنفس)، نتكلم عن الكون.

الكون كله بقضه وقضيضه كان مجرد نقطه مجهرية عند نشأته. أجزاء الكون المختلفة كانت فى وقت ما فى الماضى السحيق قريبة جداً من بعضها. الوجود المادى بما فى ذلك المكان بدأ من نقطة واحدة، وكذلك الكائنات، لا تغضب. هذا رأى العلماء إذا لم يعجبك إنساه وإنسانى. أنت صورة طبق الأصل. الأصل هو النفس. الصورة هى جسدك. الأصل باق والصورة زائلة. عالم الغيب هو الحقيقة الدائمة وعالم الشهادة هو الصور المؤقتة.

المـــاة والطاقـــة

Me=Mater energy

Me= Malhematical entities

Me هى أصل الوجود

الكاتب المغمور الذى كان يعمل فى مكتب براءات الاختراع فى بيرن بسويسرا أزال الحاجز الميتافيزيقى الكلاسيكى المطلق الذى كان قائماً بين المادة والطاقة ME. وفتح الباب على مصراعيه أمام توحيدهما محطماً ثنوية العهد البائد (الماة والطاقة) (الجسم والمجال). التوحيد معناه أن المادة والطاقة شكلين مختلفين لجوهر واحد. المادة شكل مركز من أشكال الطاقة، « طاقة مركزة» والطاقة شكل حر من أشكال المادة. قد تسألنى لماذا إذن لا تنهار الطاقة الحرة؟ وهل مكن تمويج المادة وتجسيد الموجة؟

أرد عليك: الأشكال المختلفة يتغير بعضها الى بعض تحت ظروف معينة دون أن يتغير الجوهر، هناك علاقة تناسبية بين الكتلة وأشكال الطاقة الحرة الأخرى (الحركة ، الضوء، الحرارة، الكهربائية، المغناطيسية). أرجو ألا تساورك أدنى الشكوك حول صحة

هذا التصور. فالجسم المادى يُشكل مخزناً هائلاً للطاقة بفضل كتلته. لا يعنى هذا بأى صورة من الصور أنه فى مقدورنا تحويل أى كتلة فى حوزتنا الى ما يعادلها من طاقة كهربائية مغناطيسية، حرارية أو ضوئية، وما إلى ذلك، كلا وبالتأكيد. كل ما نقول به هو إمكانية تحويل الكتلة الى طاقة والعكس بالعكس، لا أكثر ولا أقل، إذا كان فى إمكاننا تحويل موجوداً إلى آخر فمعنى ذلك أن الموجودين لا يختلفان عن بعضهما من حيث المضمون (الجوهر). إن الجسيمات قد تتحول من شكل الى آخر. والمجالات قد تتحول من شكل إلى آخر. فكما أنه من الممكن أن يسخط الله الانسان قرداً فيمكنه أن يطور الأخير إلى إنسان. لوأفلحنا فى تحويل ١١ملجرام من المادة: وزن عود كبريت: إلى أنواع حرة مألوفة من الطاقة، حرارة كهرباء حركة أو ما إلى ذلك، فما مقدار الطاقة التى نحصل عليها؟ عود الكبريت يعطيك قدراً من الطاقة تكفى لإضاءة منزل متوسط المساحة إضاءة مستمرة لمدة ٧٠ عاماً. كتلة ضئيلة جداً من المادة تولد كميات خيالية من الطاقة. كميات هائلة من الطاقة تتحول إلى كتلة ضئيلة من المادة يمكنك أن ترى ذلك فى المفاعل النووى بأنشاص. معادلة أينشتين تقول إن مقدار الطاقة = حاصل ضرب الكتلة فى مربع سرعة الضوء هذا هو نص المعادلة E=Mc٢. المعادلة تعنى التوازن بين نوعين مختلفين. هذه ليست طلاسم ولا ألغاز مكتوبة على حجر رشيد. إنها معادلة رياضية توصل اليها عقل رشيد. هذه المعادلة أنهت الحرب العالمية الثانية . ما معنى ذلك؟

كتلة عود الكبريت ١١. ،جم أى ١١/١٠٠ جم= ١١مجم

سرعة الضوء فى الفراغ = ٣ × $١٠^{١٠}$ فى الثانية أى ٣٠ الف كيلو متر فى الثانى ومربعها هو ٩ × ٢٠١٠ سم فى الثانية الواحدة

إذن مقدار الطاقة = ١١.، × ٩ ×٢١٠ = ١٩١٠ إرج

= ١٢١٠ جول

كل ها النور أو هذه النار كانت فى رأس عود الكبريت.

كاتب هذه المعادلة هو أحد رجال العشيرة العلمية الأشداء. تمت ترجمة هذا النص الى الواقع المباشر فى اليابان. ترجمته، يعنى تنفيذه وإنتاجه تحت ظروف معينة. تمت الترجمة على أرض هيروشيما ونجازاكى. المعنى لا ينبع من الترجمة ولا يتحدد بها.

الترجمة هى نقل المعنى من إطار لغوى (رياضى) إلى آخر دون تغييره ومن ثم إختبار مدى فاعليته وفائدته أو ضرره فى التربة المنقول اليها. أى أن الكاتب المغمور هو الذى أنهى الحرب العالمية الثانية لصالح الحلفاء ثم أشعل الحرب الباردة بينهم. والذى أزال الحواجز المطلقة بين مجالات الكتلة. وبين المجالات غير الكتلية. ووحدهما فى قانون حفظ واحد. وهو الذى وحد الزمان والمكان.. وهو الذى وحد بين الأرض والسماء بإكتشافه أن سرعة الضوء قانون كونى تخضع له كل الكائنات.

نشأة العقل

إن طريقة تجميع وتركيب الطاقات هى التى تنتج وظائف جديدة وقوى جديدة ونشاطات وفعاليات جديدة وخاصيات جديدة. إذا تجمعت الإلكترونات والبروتونات بأعداد معينة وسرعات معينة تشكل ما يسمى بالذرة والذرات إذا تجمعت بشكل معين تشكل ما يسمى بالجزئ. وتتجمع الجزيئات فتشكل ما يسمى بالخلية وتتجمع الخلايا بطريقة معينة بشكل معين يؤدى الى بناء الأجسام الحية. كل خطوة جديدة من هذه الخطوات التطورية يصحبها خاصية أو خاصيات جديدة لم تكن موجودة فى عناصر الخطوة السابقة ولا يمكن التنبؤ بخاصية الخطوة التالية من مجرد معرفة خواص العناصر المكونة لها. فالمسألة فى التطور تشبه السلم، والسلم يتكون من درجات كل درجة عبارة عن العناصر نفسها متخذة شكلاً جديداً. والشكل الجديد يحتوى بسبب طريقة تركيبة على قوى جديدة وطاقات جديدة وخاصيات جديدة. هكذا تكون المخ عبر التطور وخاصيته الجديدة وطاقته الجديدة هو ما نسميه بالعقل. هذا ما يدعيه أنصار النظرية المادية والنشأة الذاتية للعقل. والواقع أن هذا ينطبق على كل الكائنات الحية التى تحكمها الغريزة من البكتريا إلى البشر. أما الإنسان فإنه يتميز بنفحة إلهية خاصة به بصفته خليفة الله. العقل الذى يسيطر على الغريزة تبس فيفى من نور الله من فصل الله.

حقاً.. ما فرطنا فى الكتاب من شىء

فى رسالته بعنوان «ما فرطنا فى الكتاب من شىء» استشهد الأستاذ أحمد العرنوسى يقول الحق سبحانه وتعالى فى سورة الحديد.. ﴿ وأنزلنا الحديد﴾. تأكيدا لسبق القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً بتقرير وجود الحديد فى النيازك النازله من السماء على

الأرض، وهذا صحيح بالطبع. ولكن الأبحاث الحديثة فى السنوات العشرين الماضية أعطت للآية الكريمة طاقة إعجازية مطلقة. وذلك بانطباق كامل المعنى الحرفى لتعبير (أنزلنا) وهو الانتقال المكانى من السماء إلى الأرض، وكامل المقصود بالحديد وهو الحديد الموجود فى الأرض كله أو معظمه وهو إنزال النعم جميعاً من مقام الألوهية إلى الإنسان كما فى قوله تعالى: ﴿يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوءاتكم﴾. الأعراف ٢٦.

والأصل السماوى للحديد الأرضى تفسره الأبحاث الحديثة فى مجالى الفيزياء الفلكية وفيزياء الجسيمات، ذلك بأن النجوم الثقيلة وهى التى تعادل كتلتها من ١٠ إلى ٦٠ ضعف كتلة شمسنا حينما تدخل فى مرحلة الشيخوخة فإن نويات الذرات الثقيلة - ومعظمها من الحديد - تبدأ فى التكوين فى قلب النجم فيما يسمي بمرحلة العملاق الأحمر، حتى إذا وصلت نسبة الحديد إلى تركيز معين يتوقف الأندماج النووى وتوليد الطاقة إيذانا بلحظة نهاية العملاق الأحمر بانفجار مروع يسمى «السوبر نوفا» معلنا وفاة نجم عملاق وتنطلق نويات الحديد مع غيرها من الأنوية الثقيلة والجسيمات تحت الذرة إلى الفضاء السحيق كالرماد على ما فى طريقها من أجرام سماوية ومنها الأرض. ويقدر العلماء عدد ما حدث من انفجارات «سوبر نوفاً فى مجرتنا منذ تكوينها بنحو ٣٠٠ مليون انفجار هى المطبخ الكونى لتمويل الكواكب بأنوية الحديد والعناصر الثقيلة الأخرى، وقد شوهد صباح يوم ٢٣ فبراير ١٩٨٧ وميض انفجار «سوبر نوفا» لنجم فى مجرة السحابة الماجلانية التابعة لمجرتنا كان قد انفجر منذ ١٧٠ ألف سنة.

من هنا كما يقول العالم الكبير اسحق أزيموف فى كتابه «الشموس المتفجرة» ترجمة الدكتور السيد عطا: «إن الأرض والإنسان يعتمدان على ذرات تكونت فى جوف نجم غير الشمس، ثم انتشرت فى الفضاء بسبب انفجارات «سوبر نوفا» سابقة.

ولا يتوقف عطاء هذه الآية الكريمة على حقيقة سبق القرآن لما أثبته العلم بعد ذلك بأربعة عشر قرنا، بل تستثير أيضاً فكر قارئها فى حكمة عطف الحديد على الكتاب فى قوله تعالى: ﴿وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد﴾ فيما يبدو أنه انعطاف حاد فى السياق بالانتقال المفاجىء من الحديث على الرسل والبينات والكتاب والميزان إلى ذكر الحديد، ولكن السياق فى الحقيقة ينساب متناغماً فى إعجاز

إلهى مقصود فالحديد يتميز دون باقى المواد بصفتين تتمثلان أيضاً فى الكتاب، وهما أحكام البناء وشمول الفائدة فنواة ذرة الحديد هى أشد النوى الذرية أحكاماً على الإطلاق، والحديد شامل المنفعة من دبوس الإبرة إلى حاملة الطائرات وقد يدهش القارىء حينما يكتشف أنه لا توجد منفعة عملية للإنسان لا يلزمها وجود الحديد بشكل مباشر أو غير مباشر حتى الهواء الذى نتنفسه لابد له من وجود الحديد فى هيموجلوبين الدم.

.. حقاً .. ﴿ما فرطنا من الكتاب فى شىء﴾ وحقاً ﴿إن هو إلا وحى يوحى﴾.

ما هى الذرة؟!

الذرة فى العلم الحديث بناء ونظام أشبه بالنظام الشمسى، فى أنها تتألف من نواة كبيرة نسبياً يدور حولها إلكترونات بالغة الصغر فى أفلاك متعددة وبين الإثنن فضاء وخلاء هائل يستحيل تقدير مكان الإلكترون سالب الشحنة وهو يستطيع أن يقفز من مدار إلى داخلى أقرب إلى النواه أو إلى مدار خارجى مبتعداً عنها وهو بهذه الحركات يأخذ أو يعطى شحنة كهرومغناطيسية مقدارها فوتون واحد. وتتوقف شحنة الفوتون على المدار . الفوتون هو الوحدة العلمية لطاقة الضوء ويستطيع الإلكترون أن يقفز ٧ قفزات عبر سبع أفلاك وهو فى أثناء ذلك يعطى السبع ألوان التى تؤلف الضوء. النواه موجبة الشحنة والذرة تعتبر متعادلة بجمعها بين النواه الموجبه والإلكترونات السالبة الشحنة، ولكن إذا إنطلق الإلكترون هارباً من النواة فإن شحنة الذرة الموجبة ترجح وتتحول الذرة إلى أيون موجب.

ذرة الهيدروجين. أول وأخف العناصر أبسط ذرات الكون قاطعة هى مصدر الكون. هذه الذرة تحتوى على بروتون واحد. يدور حوله الكترون وحيد. سواء كانت الذرة خفيفة أو ثقيلة أى لها نظير ثقيل (+نيوترون) ونادراً أثقل ٢ نيوترون فإنه لا يدور حولها إلا الكترون واحد +++. كتلة الذرة أقل من مجموع كتلتيهما لماذا؟ لأن طاقة الربط بين الجسمين هى الفرق فى الكتلة. جزء من الكتلة تحول إلى طاقة حرة. الطاقة الحرة تجسدت فى الفوتون . كل العناصر من الهيدروجين وزنها يماثل مضاعفات وزن ذرة الهيدروجين من ذرة الأيدروجين تم بناء جميع العناصر من الهليوم حتى الحديد. الهليوم هو عنصر الشمس لأنه موجود فيها وفى النجوم بكميات هائلة تم طهو هذه العناصر

الأولية داخل النجوم. حتى الحديد ووزنه الذرى ٣٦ بالأندماج النووى بعدها دخلت عملية الأحتراق أو الأندماج النووى إلى طريق مسدود. ذلك لأن الحديد لايصلح البتة وقودا نوويا. الحديد فيه بأس شيد. لابد من طريقة أخرى لتخليق العناصر التى هى أثقل من الحديد. يتحول النجم المحتضر العملاق إلى نجم «سوبر نوفا» متفجر. يتكون فيه جميع العناصر لأخرى بعد الحديد. هذا الكلام الثقيل كان عن أخف عناصر الكون.

أى ذرة بها ٧٩ بروتون = ذهب. احذف بروتون = بلاتين. أضف بروتون= زئبق. تماما مثل قولك هذه خلية بقره لأن بها ٣٠ زوجا من الأمشاج وهذا قرد أو فأر لأن به ٢١ زوجا وهذا إنسان لأن به ٢٣ زوجا وهذه بصلة لأن بها ٨ أزواج وهذه زئبقة لأن بها ١٢ زوجا وهذه ذبابة فاكهة لأن بها ٤ أزواج.

ماهو الفوتون؟

ماهو الضوء؟ ماهو الفوتون؟ لازال البحث عنه جاريا ما الفرق بين الضوء والنور؟ تعالى معى فى رحلة من الجسيم إلى الذرة إلى الجزىء إلي الجسم، ومن الجسيم الى الفوتون الى الضوء الى النور. الفوتون هو وحدة الضوء. «الجسيم الضوئى» أصغر من الإلكترون بمئات الألوف من المرات مثل رصاصة متناهية فى الصغر تضرب الإلكترون ثم تتخلى له عن بعض طاقتها فتحملها الإلكترونات حملا وتجرى بها أسرع. كما تجرى الخيل حول مركز حلبة السباق على أطرافها البعيدة.

الكائنات ضياء

من أين جاء الفوتون؟ من أين جاءت الطاقة الحرة المتجسدة فى الفوتون؟ ماهو الفرق بين الضوء والنور؟ هذه فلسفة مفيدة. ولكنها قد تضر. الرد الفلسفى أن منشأ الكون هو تكثيف النور، الكون كله خلق من نور الله فماذا عن الكائن الحى. عن الإنسان بالذات. الكون فى البداية لم يكن مكونا من لا ذرات ولا من أنوية ولا حتى من جسيمات تحت نووية. الكون كان نوعا من الحساء الأولى المتجانس والشبيه جدا بحالة العدم أو الفراغ. الفراغ الزائف False Vaccum.

التـأيـد

الذرة المفردة شئ متناسق للغاية، وشكلها كروى تقريبا. وإذا نظرت إليها فى المرآة فسترى الشكل نفسه شأنها فى ذلك شأن كرة البليارو. أما التراكيب الأعقد فلها وضع

آخر. إذا نظرت إلى يدك اليمنى فى المرآة سترى يدك اليسرى. والعكس بالعكس. عند الدعاء أنت تقابل بين كفيك المفتوحين وهذا يشبه تماما وضع مرآة بينهما. ليس هناك من طريق يمكن بها أن تبسط واحدة منهما فوق الآخرى تماما، ولاحتى فى خيالنا. كف اليد وصورته فى المرآة بوزتيف ونجاتيف صورة معكوسة. صورة كفك اليمنى فى المرآة تشبه تماما كف اليد اليسرى فى عالمها الحقيقى. عند تصنيع القفاز فكل مكوناته - النسيج وخيوط الحياكة والأزرار وكل مفرداته لها نفس الصورة فى المرآة لكن الفردتان تصنعان بطريقتين متشابهتين وإن كانتا مختلفتين. لينتج من أحداهما فرد أيمن ومن الأخرى فرد أيسر. ونحن بالطبع نحتاج الفردين لأن لنا يدين مختلفتين. فأنت لا تستطيع بسهولة أن تلبس فردا أيسر فى يدك اليمنى. بعض الجزئيات العضوية البسيطة مثل الكحول ليس لها يد متطابقة مع صورتها فى المرآة تماما مثل الكوب. لكن هذا ليس صحيحا بالنسبة لمعظم الجزئيات العضوية. يصبح الاختلاف فى اليد أى التايد مهما إذا كان من اللازم أن يتوافق جزئيان. الاختلاف ضرورة للتوافق بين الزوجين. الجزئيات العضوية أى التى تحتوى على ذرات كربون عادة ماتكون متأيدة حتى وإن كانت صغيرة. ما أهمية هذا؟ السبب الأساسى هو أن الجزئ الكيماوى الحيوى لايوجد فى معزل عن غيره. إنه يتفاعل مع جزئيات أخرى. وكل تفاعل كيماوى له حافز «وسيط خاص به يسرعه» ولكى يتفاعل الجزئ بهذه الطريقة فلابد أن يتراكب تراكبا دقيقا مع سطح الحافز. ولأن الجزئى الصغير له يد فلا بد أن يكون للحافز أيضا يد. يدى فى يدك. يد واحدة لاتصفق. لايمكن أن يتم التفاعل بشكل مضبوط إذا حاولت أن تدس جزيئاً أعسر فى فراغ مهئ لجزئ أيمن والأنزيمات تتعرف فقط على اليسارى المفاتيح من الخمائر، لاتقرب أبدا اليمنى. ومن السكريات، لاتقرب أبدا اليسارى. إذن من الضرورى انسجام تأيد الجزئيات اللامتناظرة الكثيرة. الكبيرة منها والصغيرة داخل الكائن الحى الواحد. إن الجزئيات اللامتناظرة الموجودة فى جانبك الأيسر لها بالضبط نفس تأيد الجزئيات الموجودة فى جانبك الأيمن. لكن لايمكن أن نرى لأى من الكائنات، صورة أحدهما مرآة للاخر. هذا لم نره مطلقا. مع أن هذا يحدث دائما. فهناك مملكتان منفصلتان فى الطبيعة. أنت وقرينك. كل ماهو أيمن فيك فهو أعسر فى قرينك والعكس بالعكس. قرينك هو صورتك المرآوية. أما المكونات فلها نفس اليد إينما وجدت. الأحماض الأمينية

لبنات بناء البروتين، كلها جزيئات يسارية وصورتها فى المرآة يمينية. والسكريات فى الأحماض النووية كلها ذات يد يمينية. والقاعدة هى: كل الجزيئات لها اليد نفسها فى كل الكائنات الحية. القفاز اليمينى والحذاء اليمنى لاينفع أبدا ليد أو رجل يسارية.

ماهو الجزىء

خواص الجزئ تختلف كلية عن خواص الذرات المكونة له. الأكسجين والايدروجين غازان عندما يكون كل منهما على انفراد. ولكن عندما ترتبط ذراتهما بعضها ببعض يكونان جزيئات الماء. هناك أنواع من «الميزر» لهِ قلب من الياقوت يعمل فى حمام من الهليوم السائل عند درجة حرارة - ٢٣٥,٥ ْ حيث تكون حركة الجزيئات بطيئة جدا. ويستطيع عالمنا الكبير دكتور أحمد زويل أن يرى الجزيئات مفردة ويتعامل معها. مستعينا بالميكروسوبات الالكترونية التى لها قوة تكبير هائلة. قطر شعرة رأسك يصبح ٤٥ مترا. تتفاوت الجزيئات حجما. أكبر الجزيئات أصغر من أى شئ يمكننا أن نتصوره. لو أمكننا تكبير قطرة ماء حتى تصبح فى حجم الكرة الأرضية فإن حجم جزيئات هذه القطرة سوف تكون فى حجم كرة البيسبول التى تزيد قليلا عن حجم كرة التنس.

كم مليون جزئ اخرجها الزعيم عبد الناصر فى أخر زفرة له؟ كم مليون فر من محبيه وضحاياه لاتزال تتردد فى هدهم هذه الجزيئات.

معادلات

المادة كهرطيسية. النبات روح ونفس نباتية. الحيوان روح ونفس نباتية «نفس حيوانية». الإنسان روح ونفس نباتية ونفس حيوانية (غريزة). + العقل. ع+ع

النبات + الغريزة = حيوان

الحيوان أو البشر + العقل = إنسان

... بالحساب الإنسان = طاقة + مادة + نبات + حيوان + عقل

الإنسان الفرد. الإنسان الأجيال فكرة. الإنسان النوع: معنى.

ليس هذا رأيا يفرض بل أجتهادا يطرح. لاشئ أجمل من البحث عن الحقيقة. الله ليس كمثله شئ. الله نور السموات والأرض. نوره فى كل شئ. نحن من نوره. نحن لله وإنا

إليه راجعون «اليه المصير». كلما أصبحا قريبين من الحقيقة «قاب قوسين أو أدنى» تجلى الحق بصور أخرى أكثر إثارة تضعنا فى مآزق فكرية عويصة. تجسيد الطاقة أو الموجة «هى المادة». تجسيد الأمر «هو الروح» هو «الوحى» هو «الكتاب المبين» هو «الكتاب المكنون» فى نواة كل كائن حى. الوجود كله من نوره ومن أمره ومن روحه وليس من ذاته. كل الموجودات كانت نورا. هذا لاينقص من ذاته ولامن شأنه شيئا. فهو المطلق الأبدى النهائى مهما أشتق منه أو صدر عنه فلاشئ ينال منه. فعنده ينابيع القدرة والقوة الهائلة الأبدية اللانهائية. هو الأول والآخر. الطاهر والباطن.

افهم من هذا ما تشاء خذ منه ما يتناسب مع ثقافتك الدينية والعلمية أو الفلسفية. «أنت كموسى» وأنا لست الخضر!! إنك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا؟ لا أحد يستطيع أن يؤكد أمرا ولا أحد يستطع أن ينفيه. قد لا تستطيع أن تثبت لمثلك أن الله موجود، لكن يستحيل عليك وعلىَّ أن نثبت أنه غير موجود. أشهد أن محمد رسول الله. شهادة إيجابية. لكن الشهادة السلبية أقوى. أشهد أن لا إله إلا الله.

التعقيد والتعضى

إختر أى مستوى، ذرات، جزيئات، خلايا، أنسجة أوكائن حى كامل، ستجد أنه عند كل مستوى نستخدم بعض مكونات المستوى الأدنى فقط وبخواص جديدة. كيف؟ الجزيئات الموجودة فى الطبيعة أو التى تنتج فى مختبر، لا تمثل إلا جزء صغير من جميع التفاعلات الممكنة بين الذرات. فى الوقت نفسه لها خصائص فريدة لا توجد عند الذرات racemisation& isomeration مثلا: كلمتى فول ولوف. نفس الحروف لكن المعنى مختلف تماما. كذلك يمكن إنتاج مادة خاملة ضوئيا من إتحاد كميتين مختلفتين إحدهما تحرف الضوء يمينا والأخرى تحرفه يسارا levo & dextro. كذلك فإن الخلايا مكونة من جزيئات. جميع الجزيئات الموجودة لدى الكائن الحى لا تمثل سوى عدد قليل جدا ومحدود للغاية، وفى الوقت نفسه فإن الخلايا قادرة على الإنقسام والجزيئات غير قادرة.

وللحيوانات ملايين الأنواع، وهذا قليل بالقياس إلى ما يمكن أن يكون. فعدد الأنماط الخلوية لايتجاوز المائتين، خلايا عصبية، دموية، هضمية نفسية، إخراجية. ومع ذلك فإن هناك تباينا كبيرا بين أنواع وأشكال الحيوانات وهذا يعود فقط إلى الكم والنوع. أى عدد

الخلايا الكلى وتوزع هذه الأنماط المختلفة وأبعادها النسبية وزمن ظهورها على المسرح وأدائها لوظيفتها وسرعة هذا الأداء. هذا هو الإختلاف بين الكائنات البسيطة والمعقدة. إذن التعقيد له صفتان مميزتان:

١ - الأجسام الموجودة فى أى مستوى لا تمثل ولا تشكل سوى عينة محدودة من جميع العينات الممكنة التى تقدمها تركيبة المستوى الأدنى والأبسط

٢ - يمكن أن تظهر فى كل مستوى خصائص جديدة. هذه تفرض مزيدا من الإكراهات بالإضافة إلى الإكراهات الموجودة أصلا فى المستوى الأدنى. وبالعكس يمكن الا يكون هناك أى أهمية لقضية بالغة الأهمية فى المستوى الأدنى. فمثلا قانون الغازات المثالية صحيح بالنسبة للفيزياء وبالنسبة للبيولوجيا، لكن ليس لهذا القانون أى فائدة بالنسبة للعمليات الحيوية.

شعاع الزمن

سريان مفعول قوانين الطبيعة المستمر لا يتوقف علينا ويحدث بدوننا، إلا أنه يمكن التأثير على بعض الكائنات الأرضية بإسراع أوإبطاء هذه القوانين. كيف؟ هذا هو بالضبط ما يحدث أثناء نمو وتطور الأجنة. وهو الذى أدى إلى تخصص الأعضاء وتنوع الثدييات.ليس بظهور مكونات جديدة بقدر ما هو الإستخدام المختلف للمكونات ذاتها. إن تغيرات بسيطة فى الدوائر المنظمة التى تنسق نمو وتطور الجنين بتسريعها هنا وتبطيئها هناك تكفى لاحداث تغيير فى نسبة تزايد الأنسجة المختلفة أوفى زمن تركيب بعض البروتينات. بحركة من المايسترو يتعدل التوزيع الموسيقى ويتغير البناء الأوركسترالى وهذا يشرح كل ما هو إعجازى.

قبل أن تفهم لا ماركية، أعد قراءة ما قاله إبن مكسوية. وقبل أن تدرس نظرية دارون راجع نظريات الفارابى والقزوينى إخوان الصفاء وأبن خلدون:

وهذه نماذج من أقوال علماء ومفكرى وفلاسفة المسلمين توحى للقارئ أنهم توصلوا إلى فكرة التطور قبل أن يولد أجداد داروين. أرجو أن تقرأها أيها القارئ العزيز بصبر لأن لغة الأقدمين غير سهلة ولكن الفكر الذى يشرق من الكلمات وبين السطور منك هذا الصبر.

الهدف من الإستشهاد ببعض الصفحات فى كتاب فيلسوفنا وكاتبنا الإسلامى الكبير عباس محمود العقاد «الإنسان فى القرآن الكريم» هو إيضاح أن آراء داروين يجب أن يستمع إليها ولا تهمل. لأن ترتيل آيات الكون يتطابق مع ترتيل آيات خالقه ويؤكد دعوى داروين عن أصل الإنسان.

وهذا هو ما فعله علماء المسلمين قبل عصر النهضة الغربية إن إختلاط الأنساب بين أنواع الحيوان خاطر قديم توارثه الأقدمون من أزمنة مجهولة، ندرت أمة من أمم السلف البعيد لم تتوفر فيها الأخبار والأساطير عن التناسل بين أنواع الحيوان أوالإنسان والحيوان، أوبين الإنس والجن، أو بين الإنس وأرباب الأساطير المشبهين بالإنسان، وجهلهم بالشروط الحيوية التى تلزم للحمل والولادة ولما كان التناسل بين الأزواج المستعدة فى النوع الإنسانى فضلا عن سائر الأنواع، فكل ما يلد من نوعه صالح عندهم للتوليد من أنواع الأحياء وقد سبق القول بالتطور وتدرج الكائنات، كما سبق القول بتحويل الأنواع وتناسلها. ولكن لعلة غير تلك العلة، مردها ـ على الأرجح ـ إلى المفاضلة والترتيب بين الكائنات على حسب حظها من الحياة أومن مشابهة الحياة . ثم نشأة علوم الكيمياء والطب والزراعة، فكان للعلم عمله فى التفرقة بين المواد الكيمية والمعدنية والنباتية، واشتراك الأحياء وغير الأحياء فى مباحث الكيمياء، ثم جاءت فى مباحث المتأخرين مقابلة الكيمياء العضوية بالكيمياء الغير عضوية.

الفارابى

ومما يشبه القول بتطور الكائنات وتدرجها قول الفارابى فى شرحه لأقوال المعلم الأول فى كتاب «آراء أهل المدينة الفاضلة» إن ترتيب هذه الموجودات هو أن تقدم أولا أخسها، ثم الأفضل، إلى أن تنتهى إلى أفضلها الذى لا أفضل منه، فأحسنها المادة الأولى المشتركة والأفضل منها الإسطقسات ثم المعدنية ثم النبات ثم الحيوات غير الناطقة، وليس بعد الحيوان الناطق أفضل منه»

ويذهب الفارابى على هذا الترتيب فى التفرقة بين الإنسان والإنسان، بمقدار حظه من القوة الناطقة، فيجيز أن يكون بعض أشباه آدميين بالصورة الجسدية غير محاسبين أو أهلٌ للحياة الأخرى. ويقول المتنبى وهو يتكلم عن طبائع القرد «إن الحيوان عند المتكلمين فى الطبائع، مركب من إنسان وبهيمة وهو من تدرج الطبيعة من البهيمة إلى

الإنسان ويقول القزوينى صاحب «عجائب المخلوقات» بعد تقسيمة الأجسام إلى نام وغير نام، وهو ما يقابل اليوم تقسيمها إلى «العضوى» و«غير العضوى» أى بدون أهل. أول مراتب هذه الكائنات تراب وآخرها نفس ملائكية طاهرة، فإن المعادن متصلة أولها بالتراب وآخرها بالنبات، والنبات متصل أوله بالمعادن وآخره بالحيوان، والحيوان متصل أوله بالنبات وآخره بالإنسان، والنفوس الإنسانية متصلة أولها بالحيوان وآخرها بالنفوس الملائكية. وهذا الإنتقال من المشابهة بالجسد إلى المشابهة بالنفس شبيه بإحتراس النشوئيين المحدثين عند التفرقة بين الإنسان من جانبه الحيوانى، والإنسان من جانبه الروحى أوجانب القوى الأدبية الوجدانية.

إخوان الصفاء

ويقول إخوان الصفاء فى رسالتهم العاشرة «إعلم يا أخى أن أول مرتبة، النباتية أو دونها هى «خضراء الدمن»، وآخرها وأشرفها الحيوانية، النخل، وذلك لأن خضراء الدمن ليست بشئ سوى غبار يتلبد على الأرض والصخور والأحجار، ثم يصيبها المطر فتصبح بالغداة خضراء كأنه زرع وحشائش، فإذا أصابها حر الشمس نصف النهار تجف ثم تصبح بالغد مثل ذلك من نداوة الليل وطيب النسيم، ولا تنبت الكمأة ولا خضراء الدمن إلا فى أيام الربيع فى البقاع المتجاورة لتقارب ما بينهما. وأما النخل آخر مرتبة النبات مما لى الحيوان، وذلك أن النخل نبات حيوانى لأن بعض أحواله وأفعاله مباين لأحوال النبات وإن كان جسما نباتيا، وفى النبات نوع آخر فعله أيضا فعل النفس الحيوانية، وإن كان جسمه نباتا وهو الأكشوت، وذلك أن هذا النوع من النبات ليس له أصل ثابت فى الأرض كما يكون لسائر النبات. ولا له ورق كأوراقها بل هو يلتف إلى الأشجار والزروع والبقول والحشائش ويمتص من رطوبتها ويتغذى كما يفعل الدود الذى يدب على ورق الأشجار وقضبان النبات. وأن أدون الحيوان وأنقصه هو الذى ليس له إلا حاسة واحدة وهو «الحلزون» وهى دودة فى جوف أنبوبة تنبت فى تلك الصخور التى تكون فى بعض سواحل البحار وشطوط الأنهار، وتلك الدودة تخرج نصف شخصها من جوف تلك الأنبوبة، وتتبسط يمنة ويسرة تطلب مادة تغذى بها جسيمها، فإذا أحست رطوبة ولينا إنبسطت إليه وإن أحست بخشونة أوصلابة إنقبضت وغاصت فى جوف تلك الأنبوبة حذرا من مؤذ لجسمها ومفسد لهيكلها، وليس لها سمع ولا بصر ولا شم، إلا ذوق اللمس

فحسب. وهكذا أكثر الديدان التى تكون فى الطين فى قعر البحر وعمق الأنهار ليس لها سمع ولابصر ولا ذوق ولا شم، لأن الحكمة الإلهة لم تعط الحيوان عضوا لا يحتاج إليه فى وقت جر المنفعة أودفع المضرة، لأنه لو أعطاها ما لا تحتاج إليه لكان وبالا عليها فى حفظها وبقائها. فهذا النوع حيوانى نباتى لأنه ينبت جسمة، كما ينبت بعض النبات، ومن أجل أنه يتحرك بجسمه حركة إحتيارية، فهو حيوان من أجل أنه ليس له حاسة واحدة فهو أنقص الحيوانات رتبة، وتلك الحاسة أيضا هى التى يشاركها النبات فيها، وذلك أن النبات له حس اللمس فحسب»

إبـن مسكويـة

ويقول أبن مسكوية من علماء القرن الرابع والخامس للهجرة فى كتابه تهذيب الأخلاق تحت عنوان «الأجسام الطبيعية»: أن الأجسام الطبيعية كلها تشترك فى الحد الذى يعمها ثم تتفاضل بقبول أثار الشريفة والصور التى تحدث فيها فإن الجماد منها إذا قبل صورة مقبولة عند الناس صار بها أفضل من الطينة الأولى التى لا تقبل تلك الصورة. فإذا بلغ إلى أن يقبل صورة النبات صار بزيادة هذه الصورة أفضل من الجماد، وتلك الزيادة هى الأغتذاء والنمو والأمتداد فى الأقطار وإجتذاب ما يوافقه من الأرض والماء وترك ما لا يوافقه ونفض الفضلات التى تتولد فيه من جسمه بالصموغ، وهذه هى الأشياء التى ينفصل بها النبات من الجماد، وهى حالة زائدة على الجسميه التى حددناها وكانت حاصلة فى الجماد، وهذه الحالة الزائدة فى النبات التى شرف بها عن الجماد تتفاضل، وذلك أن بعضه يفارق الجماد مفارقة يسيرة كالمرجان وأشباهه، ثم يتدرج فيها فيحصل له من هذه الزيادة شئ. فبعضه ينبت من غير زرع ولا بذر ولا يحفظ نوعه بالثمر والبذر، ويكفه فى حدوثه أمتزاج العناصر وهبوب الرياح وطلوع الشمس، فلذلك هو فى أفق الجمادات وقريب الحال منها ثم تزايد هذه الفضيلة فى النبات، فيفضل بعضه على بعض بنظام وترتيب حتى تظهر فيه قوة الإثمار وحفظ النوع بالبذر الذى يخلف به مثله، فتصير هذه الحالة زائدة فيه ومميزة له عن حال ما قبله.ثم تقوى هذه الفضيلة فيه حتى يصير فضل الثالث على الثانى كفضل الثانى على الأول، ولا يزال يشرف ويفضل بعضه على بعض حتى يبلغ إلى أفقه ويصير فى أفق الحيوان، وهى «كرام الشجر» «كالزيتون،

الرمان، الكرم، وأصناف الفواكه». إلا أنها ـ بعد «مختلطة القوى »، أعنى أن قوى ذكورها وإناثها غير متميزة، فهى تحمل وتلد المثل ولم تبلغ غاية أفقها الذى يتصل بأفق الحيوان. فلا تحتمل زيادة. وذلك إنها إن قبلت زيادة يسيرة ، صارت حيوانا وخرجت عن أفق النبات. فحينئذ تتميز قواها ويحصل فيها ذكورة وأنوثة وتقبل من فضائل الحيوان أمورا تتميز بها عن سائر النبات والشجر، كالنخل الذى طالع أفق الحيوان بالخواص العشرة المذكورة فى مواضعها، ولم يبق بينه وبين الحيوان إلا مرتبة راحدة وهى الإطلاع من الأرض والسعى إلى الغذاء. وقد روى فى الخبر ما هو كالإشارة أو كالرمز إلى هذا المعنى هو قوله ﷺ «أكرموا عماتكم النخل فأنها خلقت من بقية طينة آدم» ويستطرد إبن مسكوية إلى ذكر الحيوان بما يشبه طول المحدثين عن أسلحة الحيوان فى تنازع البقاء، فيقول إن الحيوان: «إن كان ضعيفا لم «يعط سلاحا» البتة، بل أعطى آلة الهرب كشدة العدو والقدرة على الحيل التى تنجيه من مخالبه. وأنت ترى ذلك عيانا من الحيوان الذى أعطى القرود التى تجرى له مجرى الرماح، والذى أعطى الأنياب والمخالب التى تجرى له مجرى السكاكين والخناجر، والذى أعطى آلة الرمى التى تجرى له مجرى النبل والنشاب، والذى أعطى الحوافر التى تجرى له مجرى الدبوس والطبرزين. فأما ما لم يعط سلاحا لضعفه عن إستعماله ولقلة شجاعته ونقصان قوته الغضبية ولأنه لو أعطيه لصار كلاً عليه، فقد أعطى آلة الهرب والحيل بجودة العدو والخفة والختل والمراوغة كالأرانب وأشباهها. فأما الإنسان فقد عوض عن هذه الآت كلها بأن هدى إلى إستعمالها كلها».

ثم يتدرج إلى أقرب الحيوان إلى الإنسان، وهو «الذى يحاكى الإنسان من تلقاء نفسه ويتشبه به من غير تعليم كالقرد وما أشبهها، ويبلغ من ذكائها أن تستكفى فى التأدب بأن ترى الإنسان يعمل عملا فتعمل مثله من غير أن تحوج الإنسان إلى تعب بها ورياضة لها. وهذا غاية آفق الحيوان التى إذا تجاوزها وقبل زيادة يسيرة، خرج بها عن أفقه وصار فى أفق الإنسان الذى يقبل العقل والتميز والنطق وآلات التى يستعملها والصور التى تماثلها.

«ولا يقف التدرج عند أفق الإنسان، بل يتفاضل الناس بين أمم لا تتميز عن القرود إلا بمرتبة يسيرة، وأمم تتزايد فيهم قوة التميز والفهم إلى أن يصيروا إلى وسط الأقاليم فيحدث فيهم الذكاء وسرعة الفهم والقبول للفضائل، وإلى هذا الموضوع ينتهى فعل

الطبيعة التى وكلها الله عز وجل بالمحسوسات، ثم يستعد بهذا القبول لإكتساب الفضائل وإقتنائها «بالإرادة والسعى والإجتهاد» الذى فيما تقدم حتى يصل إلى آخر أفقه. فإذا صار إلى آخر أفقه إتصل بأول أفق الملائكة، وهذا أعلى مرتبة الإنسان. وعندها تتحد الموجودات ويتصل أولها بأخرها، وهو الذى يسمى «دائرة الوجود» لأن الدائرة هى التى قيل فى حدها أنها خط واحد يبتدئ بالحركة من نقطة وينتهى إليها بعينها. ودوائر الوجود هى المتأحدة التى جعلت الكثرة وحدة، وهى التى تدل دلالة صادقة برهانية على موجدها وحكمته وقدرته وجوده، تبارك إسمه وتعالى».

إلى أن يقول مخاطبا المعرفة: «وحدثَ لك الإيمان الصحيح وشهدت ما غاب عن غيرك من الدهماء. بلغت أن تتدرج إلى العلوم الشريفة المكونة التى مبدؤها تعلم المنطق فأنه الآلة فى تقويم الفهم والعقل الغريزى ثم الوصول به إلى معرفة الخلائق وطباعها ثم التعلق بها والتوسع فيها والتوصل منها إلى العلوم الإلهية، وحينئذ تستعد لقبول مواهب الله عز وجل وعطاياه، فيأتيك الفيض الإلهى، فتسكن عن قلق الطبيعة وحركاتها نحو الشهوات الحيوانية وتلاحظ المرتبة التى ترقيت منها أولا من مراتب الموجودات، وعلمت أن كل مرتبة منها محتاجة إلى ما قبلها فى وجودها، وعلمت أن الإنسان لم يتم له كمالة إلا بعد أن يصل إلى ما قبله، وإذا صار إنسانا كاملا وبلغ غاية أفقه أشرق نور الأفق الأعلى عليه، صار أما حكيما تاما تأتيه الإلهامات فيما يتصرف فيه من المحاولات الحكيمة والتأييدات العلوية فى التصويرات العقلية، وأما نبيا مؤيداً يأتيه الوحى على ضروب المنازل التى تكون له عند الله تعالى ذكره، فيكون حينئذ وسطاً بين الملأ الأعلى والملأ الأسفل ولذلك تكثر حاجات الناس إلى المقومين والمنفعين».

وفحوى كلام أبن مكسويه أن الترقى الطبيعى ينتهى إلى غاية وسع الطبيعة من ترقية الجسد وإتمام حسه وأعضائه، ثم يبدأ الترقى بالعقل والخلق من أفق الحيوان إلى ما هو أعلى وأرفع وأقرب إلى الملأ الأعلى. ولابن مسكويه بحث كهذا فى كتابه «الفوز الأصغر» يبدأ فيه من البداءة، وهى ما سماه بالمركز فيقول:« أن أول أثر ظهر فى عالمنا هذا من نحو المركزبعد إمتزاج العناصر الأولى - أثر حركة النفس فى النبات، وذلك أنه تميز عن الجماد بالحركة والإغتذاء، وللنبات فى قبول الأثر مراتب مختلفة لا تحصى، وإلا أنها

مقسمة إلى ثلاث مراتب: الأولى والوسطى والأخيرة.ليكون الكلام عليه أظهر «ثم ينتهى كما أنتهى بكلامه فى تهذيب الخلاق إلى آخر مرتبة الحيوان وهى «مراتب القرود وأشباهها من الحيوان الذى قارب الإنسان فى خلقه الإنسانية، وليس بينها إلا اليسر الذى إذا تجاوزه صار إنسانا»

إبن خلدون

وأشار إبن خلدون إلى هذا التدريج أو التطور فترقى به من المعدن إلى القرد إلى الإنسان، وعلل إختلاف الناس بتأثير الإقليم وأحوال المعيشة عل البدن والأخلاق.

قال: إن «عالم التكوين» إبتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدرج: آخر أفق المعادن متصل بأول النبات مثل الحشائش وما لا بذور له، وآخر أفق النبات مثل النخل، والكروم، متصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف ولم يوجد لها إلا قوة اللمس فقط ومعنى الإتصال فى هذه الكائنات أن آخر أفق منها مستعد بالإستعداد الغريب لأن يصير أول الأفق الذى بعده، وأتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه وإنتهى فى تدريجه التكوينى إلى الإنسان صاحب الفكر والروية بالفعل. وكان ذلك أول أفق الإنسان من بعده، وذلك غاية شهودنا. وينفى إبن خلدون أوهام القائلين بنسبة الألوان والطبائع إلى الدعوات أواللعنات فيقول إن «بعض النسابين ممن لا علم لهم بطبائع الكائنات، توهم أن السودان هم ولد حام بن نوح أختصوا بلون السواد لدعوة كانت عليه من أبيه ظهر أثرها فى لونه، وفيما جعل الله من الرق فى عقبه. ودعاء نوح على إبنه حام قد وقع فى التوراة، وليس فه ذكر السواد. وإنما دعا عليه أن يكون ولده عبيدا لولد أخوته لا غير. وفى القول بنسبة السواد إل حام علة من طبيعة الحر والبرد وأثرهما فى الهواء، وفيما يتكون فيه من الحيوانات «وقال فى موضع آخر:» إستولى الحر على أبدانهم. وأصل تكونهم، فكان فى أرواحهم من الحرارة عل نسبة أبدانهم. وكذلك يلحق بهم قليلا أهل البلاد البحرية لما كان هواؤها متضاعف الحرارة بما ينعكس عليه من أضواء بسيط البحر وأشعته»

ويصحح بعض المتقدمين ما لعله يسبق إلى الوهم من القول بتدرج الكائنات إذا يخيل إل الجاهلين بمعاناه أنه يعنى تنقل الكائنات فى درجة من مراتبه المترقية، وإنما حقيقته

كما قـال الخازنى:« أننا إذا قلنا أن الإنسان بلغ حـد الكمال وكان يوما عجلا فصـار حمارا فغدا حصـانا فأضحى بعده قردا فليس معنى ذلك أنه كـان يوما عجلا فصار حمارا فغدا حصـانا فأضحى بعده قردا حتى صـار فى النهاية إنسانا» فليس عندهم من الضرورى أن يكون كل كـائن رفيع كان قـبل ذلك بين أطوار الكائنات التى هى دونه، وإن جميع المتكلمين فى أطوار الكائنات الحيـة لا يمنعون إمكان التسـافـد بين بعض الحـشرات والحيـوانات المختلفـة، كما جـاء فى كتب الحوان جميعا، وأسهب فيه الجاحظ علـى الخصوص إسهابا سلم فيه من كثير من المتقدمين عايه واللاحـقين به فى هذا البـاب، وأكثرهم ترديدا لهذه الخرافـات القزوينى صـاحب عـجائب المخلوقات، فهو حـافل بالأسـاطير عن إختلاط أنواع الأحيـاء، وعن الخـلائق الأسـطورية التى إنقـرضت ولم يبق منـهـا غيـر آثارها وأخبـارها، وعجـائب المخلوقات الـتى تتواتر الأحـاديث عن وجودها فى الأطراف النائيـة التى لم يصل إليها أحد غير من ضل أوجنحت به السفن من الملاحين والمغررين

ثانيا: التطور بالعين المجردة

إذا أراد أحدنا أن يدرس ظاهرة التطور تجريبيا فإنه يحتاج إلى أعداد كبيرة جدا من نفس نـوع الكائن الحى الـذى يدرسـه وإلى فـتـرة من الزمن تمتـد عـدة أجيـال، لماذا؟ لأن النسـبـة المئوية التطفـرات منـخـفـضـة جـدا. أى أنه ليكتـشف الأخطـاء التى تحـدث عند تضاعف الحـامض النووى لحظة إنقسام الخلة، أى عند التكاثر، عليـه أن يصـر طويلا لأن المقـارنة بين جـيليـن على الأقل تلزم لمعـرفـة مـا إذا كـانت الـطفرة حـصلت أم لا ولمعـرفـة مـاهيـتـهـا، مفـيـدة أم مـضـرة؟. وهـل توجـد طفـرة بين هـذه الـطفـرات تسـتـحق أن نـصـفـهـا «بالهـادفـة»؟. أى طفـرة تؤدى إلى نـشـوء وظائف جـديدة فـصبح الكـائن الحى متكيـفـا مع البيئة بطريقة أفضل من رفيقه من نفس النوع الذى لم يتعرض لطفرة مماثلة قد لا يمكن لبـاحث واحـد متـابعـة مثل هـذه التجـربة إلا إذا إختار كـائنا حـا صـغيـرا على قـدر الإمكان ليتمكن الباحث من مـراقبـة أعداد كبـيرة منه فى أضـيق مكان. يجب أيضا إختيـار كائنات حية قصيرة العمر. الحل الوحيد هو البكتـريا لأنها تحقق كلا الشرطين بصورة مثالية. إن هذه الكائنـات المجهـرية صـغيـرة بدرجـة أنه يمكن وضـع الملايين على صـفـيـحـة زجـاجية واحدة دائرية الشكل وقطرها ١سم٢. نصب علها مادة جيلاتينية تنمو فيها البكتريا. عمر

معظم أنواع البكتريا ١٠ دقيقة، أى أنه كله ثلث ساعة تنقسم ملايين الخلايا الموجودة على الصفيحة الزجاجية، كل خلية إلى خليتين بنتين. هذه البكتريا مثالية للبحوث التى يجربها علماء «الجنيتك» Genetics . البيولوجيون المتخصصون فى دراسة عمليات الوراثة البكترية. لأن جهاز التخزين الجينى «الوراثى» لدى جميع الكائنات الحية يعمل على نفس المبدأ. هذا الطابع الإسبيرانتى الموحد للشفرة الوراثية يجعل النتائج منطبقة على جميع الكائنات الحية الأرضية بما فيها الإنسان.

على الباحث أن يحدد ظاهرة معينة لدراسة آلية التطور. وقد اختار أحدهم ظاهرة المناعة أى المقاومة. نعرف جميعا أن الأطباء يحذرونَ بإلحاح من تناول المضادات الحيوية «antibiotics » لدى كل إصابة بالرشح أوبإلتهاب بسيط بالزور أوماشابه. يعود السبب فى ذلك إلى الشخص الذى يفعل هذا يعرض نفسه لخطر أن يربى فى جسمه بكتريا لا تتأثر بالمضادات الحيوية، أى أنها كما يقول الأطباء تصبح قوية المقاومة أو تكتسب مناعة ضد المضادات الحيوية. إن هذا الكلام يعنى عمليا أن من لا يتقيد بتحذيرات الطبيب بخاطر بأن يصاب يوما بإلتهاب رئوى لا تجدى معالجته بالمضادات الحيوية لأن البكتريا التى تسبب إلتهاب الرئة أصبحت عديمة التأثر بالمضادات الحيوية المعتادة، التى يصفها الناس بعضهم لبعض أوبنصيحة الصيادلة بدون إذن طبيب أومشورة طبيب غير واع. هذا هو ما يدعو شركات صناعة الأدوية إلى تطوير إنتاج مضادات حيوية بإستمرار، أى مختلفة نوعيا عن ما قبلها وبالطبع باهظة التكاليف. إن مكافحة الإلتهاب بالمضادات الحيوية تعتبر فى نظر البيولوجى معركة ثنائية بين الإنسان والبكتريا. أى بين الإنسان الذى يريد القضاء على البكتريا بدوافع أنانية مستخدما التقنية الطبية، وبين قدرة هذه الكائنات الدقيقة على التكيف. هذه البكتريا شأنها شأن جميع المخلوقات الحية تريد البقاء بأى ثمن. غاب عن الأطباء تماما ما تعنية الأصابة بالنسبة للبكتريا . من وجهه نظر البيولجى: إن البكتريا لا تريد إلحاق أى ضرر بالإنسان لأنه عندما يموت المريض نتيجة مرض جرثومى فإن هذا لن يكون كارثة للمريض وحده أو بالنسبة لأهله إذا كان مديونا أو مفلساً، بل أيضا يالنسبة للجراثيم التى تسببت فى موته لأنها هى أيضا ستموت بموت الوسط التى تعيش فيه. موت كائن واحد تسبب فى موت ملايين الكائنات. الأعراض المرضية تعطى إشارة واضحة عل أن الوسط المحيط بالبكتريا بدأ يتأثر، لذلك يعتبر

تدخل الطبيب العلاجى إذا نظرنا إلى الأمور من وجة نظر البيولوجى ليس سوى محاولة لتعريض السكان الجدد للجسم البشرى إلى الخطر أوالموت عن طريق التغيير الفجائى لشروط الوسط التى كانت البكتريا قد تكيفت معه.

عندما يعطى الطبيب حقنة بنسلين لمريض يعانى إلتهابا فى الرئة مثلا فأنه يحاول بذلك أن يخلق فى عالم البكتريا وضعا يجعلها تنقرض. ولكن البيولوجيون يؤكدون أن التطور لم يزل يحصل حتى اليوم، كيف؟ بواسطة طفرة متناسبة مع البيئة الجديدة تمكنت إحدى البكتريات من المقاومة. ياللصدفة السعيدة!!. هذا تغير كيفى لكائن حى بواسطة الطفرة. لكن هل حدثت طفرة فعلا، وكانت هادفة؟. هل حدثت هذه الطفرة بالصدفة أم كانت موجهة؟ هل المضاد الحيوى هو الذى أدى إلى حدوث هذه الطفرة؟ وبالتالى إلى إلغاء الصدفة من العالم بطريقة لائقة. هذه هى الأسئلة التى دارت فى ذهن عالم شاب: إن الإجابة على هذه الأسئلة يجب أن تكون موجودة فى ظاهرة المناعة. لو لم تكن هناك أخطاء «طفرات» لما حصل أى تغير فى الأنواع وبالتالى لما كان التطور ممكنا.بكل بساطة تصدى «يوشوا» للإجابة على كل هذه الأسئلة. صب مادة غذائية على صفيحة زجاجية وتركها تتجمد متخذة شكل شريحة من الجيلاتين. قام بعد ذلك بتطعيمها بنوع معين من أحد البكتريا العنقودية «ستافيلركوكس». ثم وضعها فى حضانة دافئة وتركها تتكاثر حتى إمتلأت الشرحة ببقع صغيرة مرئية، مستعمرات بكتيرية، مائة ألف مستعمرة، ما الجديد فى هذا؟ هذا يحدث يوميا ويتكرر آلاف المرات فى آلاف المعامل حول العالم. الجديد كان فكرة تدور فى رأسه. أحضر قطعة خشبية دائرية على شكل ختم يطابق سطحها تماما سطح الصفيحة الزجاجية التى تعيش عليها البكتريا. وغطاها بعناية بقماش من المخمل الناعم. ثم قام بضغط هذا الختم لفترة قصيرة على سطح الشريحة المستعمرة. عند النظر بالعين المجردة لم يشاهد أى شئ على الختم. لكنه كان يعلم أنه نتيجة للملامسة القصيرة يجب أن تعلق بخيوط المخمل بعض بكتريات على الأقل من كل مستعمرة من المستعمرات الكثيرة الصغيرة، لذلك ضغط خاتمه فورا مرة أخرى على أرضية صفيحة زجاجية أخرى مماثلة لم تكن تحتوى على بكتريا بل بنسلين بتركيز ضعيف. وضع الصفيحة فى الحضانة لكى يمكن البكتريا المنتقلة من التكاثر، ولتشكل مستعمرات صغيرة مرئية. وفى اليوم التالى أخرج الصفيجة الزجاجية من

الحضانة ووجد على أرضها أربع مستعمرات فى أربع مواقع هذه هى فقط الأربع بكتريات التى تمكنت من تثبيت أقدامها على الأرضية المحتوية على المضاد الحيوى. أربع بكتريات لم تتأثر أما الملايين الأخرى فقد ماتت جميعا. بدأت المستوطنات الأربع المنيعة تتكاثر وتتكاثر حى ملأت عالم الصفيح الثانية. التى لا تختلف شكلا عن الصفيحة الأولى ولكنها تختلف موضوعا. فالبكتريا تقاوم البنسلين. كيف تمكنت أربع بكتريات من إكتساب القدرة على العيش رغم المضادات الحيوية. هل هذا معقول؟ هنا تتضح عبقرية «يوشوا» الذى كان قد إستعد من البداية للإجابة على هذا السؤال الحاسم. لا شيئ **بالصدفة**. إنه لم يستخدم الخاتم فى عملية التطعيم عبثا، لكن لكى يحافظ على نفس التوزيع المكانى للمستعمرات وبذلك إستطاع أن يعرف بالضبط من أى مستوطنة من بين المائة ألف مستعمرة الموجودة على الصفيحة الأولى جاءت البكتريات المنيعة. تحديد المكان هو الذى أوصل التجربة إلى نهايتها الحاسمة. حضر عددا كبيرا من الصفائح الزجاجية المجهزة بأرضية مغذية محتوية على البنسلين وبدأ بزرع عينة واحدة من المستعمرات الكثيرة الموجودة على الصفيحة الأصلية الخالية من السموم. رغم كل المحاولات لم ينجح فى زرع أى عينة. إلا فى أربع إستثناءات هامة. كانت عملية الزرع تنجح دائما عندما يأخذ بكتريا من المواقع الأربع الت كانت من البداية منيعة ضد البنسلين قبل أن تلتقى به. لم يكن ممكنا جعل بكتريا واحدة من ملايين البكتريات التى لم تكن مُطفرة من قبل أن تنمو فى الوسط السام. أى أنها تكيفت بالصدفة مع الوسط الجديد عن طريق طفرات سابقة قبل الإحتكاك بالمضاد الحيوى. قبل أن نستخلص المدلول من هذه التجربة عليك أن تعلم أن المضادات الحيوية سموم شديدة الفاعلية النوعية. بمعنى أنها لا تهاجم سوى روابط كميائية محددة تماما أوتغلق الطريق أمام خطوات كيميائية معينة فى التمثل العضوى للبكتريا. لولا هذا التخصص لما كان ممكنا إستخدام أى مضاد حيوى كعلاج دوائى وإلا لتسممت خلايا الجسم البشرى أيضا. المضاد الحيوى يشل وظائف التمثل العضوى أويفك كيميائيا أجزاء من جدار الخلية البكتيرية الحية أجزاء لا توجد إلا فى خلايا البكتريا. إذن لا يمكن أن تحمى نفسها من تأثير المضاد الحيوى إلا بأجزاء تعديلات معقدة على وظائف تمثيلها العضوى بإنتاج الإنزيمات التى تفكك المضادات الحيوية السامة. كيف يحدث هذا؟ كيف يمكن إنتاج

أسلحة دفاعية كيميائية هادفة التأثير وشدة التعقيد؟ الحل الوحيد: التطفر، الذى يحدث بالصدفة؟ بالطبع لا. إنها الصدفة الهادفة، المرسومة، المقصودة، المخططة، المتعمدة والحافظة.«والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين».

أمــم أمثالنـــا

﴿وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثلكم ما فرطنا فى الكتاب من شئ ثم إلى ربهم يحشرون﴾. الأنعام ٣٨.

إذن الحشر ليس مقصورا على آدم وبنيه. هذه الحقيقة القرآنية اثبتها وفسرها دارون بفكره الثاقب العميق. ذكر الأمثلة التالية الخمسة هدفه هو استدراجك أيها القارئ العزيز لفهم سر الحياة. ومعنى الروح. وكيف أن أمر الله أقرب إليك من حبل الوريد، أى من الدم الذى يجرى فى عروقك.

١ - الفراشة - يرقة فى ورقة - عقل بدون دماغ.

٢ - الحشرة والنملة.

٣ - السر فى البيضة. القوة والضعف. الطائر الحمل.

٤ - من القرد إلى الفرد. خلق أم تطور؟. تطور خلاق. مدرسة القرود فى تايلاند.

٥ - فراشة الحور.

لابد من امثلة حية لتعلم معنى الإنتقاء والإصطفاء والصدفة. خلال مسيرة تطور الإنسان عبر أحقاب جيوليوجية طويلة تشكلت قدرته على تصور تأثير هذا التطور ذاته. إن سلوكنا الغائى يسعى دائما وبالحاح نحو الهدف لدرجة أنه يجب البحث عن أسباب عدم القدرة على التصور وعلى الفهم فى بنيتنا النفسية ذاتها. فإذا سألتنى لماذا لاتقول مايفهم؟ أجبتك لماذا لاتتصور مايقال.

١ - الفراشة الهندية. يرقة فى ورقة. عقل بدون دماغ

تعيش فى آسام وسط الهند فراشة تحمى نفسها ضد أعدائها خلال فترة التشرنق، شأنها شأن الفراشات الأخرى بنسج شرنقة حول نفسها عندما يأتى وقت التشرنق. علاوة على ذلك فإنها تختبئ فى أحد أوراق الشجر. إن الطريقة التى تطبقها فى عملية

الإختباء تبدو على قدر مدهش من الرؤية المستقبلية الهادفة. من المعلوم أن الورقة الخضراء المليئة بالسوائل، منبسطة ومرنة إلى درجة لايمكن للفراشة أن تلفها لتصبح مناسبة كمغارة تختبئ فيها. تحل الفراشة هذه المشكلة بطريقة بسيطة وهادفة بدرجة لانستطيع أن نتصور أفضل منها. تقوم أولا بتثبيت الورقة بعناية على الجذع بواسطة خيوط تخرجها من فمها وتلفها حولها ثم. نقص ذنب الورقة من ناحية الجذع فتفصلها عنه. كنتيجة لهذا الفصل تبدأ الورقة فى الذبول. من المعروف أن الورقة الذابلة تلتف حول نفسها. بعد ساعات قليلة تحصل الفراشة على أنبوب مثالى لأن تدخل فيه وتختبئ. حتى الآن لم تزل الطريقة جيدة ومدهشة. ولكن كل هذا ماهو إلا البداية. إذا فكرنا فى الموقف الذى وضعت الفراشة نفسها فيه حتى الآن لتتجاوز مرحلة التشرنق بأمان حيث تكون غير قادرة بتاتا على أى دفاع، تواجهنا مشكلة جديدة. صحيح أن الورقة اليابسة تؤمن للفراشة مأوى يقدم لها على الأقل حماية ضد الرؤية. ولكنها ستصبح متميزة بين جميع الأوراق الخضراء الأخرى وملفتة للنظر فورا. وبما أنه يوجد العديد من اللصوص وقبل كل شئ العصافير، التى لايشغلها شاغل طيلة النهار سوى البحث عن الغذاء الذى تعتبر الفراشة من أنواعه المفضلة. فإن العصفور سيفتش مبكرا أو متأخرا فى تلك الورقة اليابسة ويصادف فيها الفراشة اللذيذة الطعم. وبما أن العصافير تتعلم من هذه التجارب بسرعة كبيرة فإنها ستركز اهتمامها من الآن على تلك الأواق اليابسة البارزة ضمن المحيط الأخضر. مهما كانت خدعة لف الورقة فى البداية ذكية ومجدية فإنها تبدو أنها عديمة الجدوى. بل إنها زادت من المخاطر التى تحاول الفراشة تجنبها. ماذا تستطيع الفراشة أن تفعل للخروج من هذا المأزق؟ لنفترض أنها تستطيع أن تسألنا النصح! فما هى النصيحة التى سنقدمها لها؟ أعتقد أنه سيصعب على أغلبنا إيجاد مخرج مقبول لهذه الحالة وإعطاء نصيحة مفيدة. إلا أن الفراشة حلت أيضا هذه المشكلة بطريقة ذكية وفعالة. تقوم الفراشة بكل بساطة بقضم خمس أو ست ورقات أخرى بعد أن تثبتها فى الأغصان بجانب الورقة التى ستختبئ فيها. بذلك يجد العصفور خمس أو ست ورقات يابسة ملفوفة ومعلقة بجانب بعضها لكن واحدة منها فقط تحتوى على الفراشة كفريسة محتملة، أما الأوراق الأخرى فهى فارغة وموجودة لغرض التمويه فقط. لنفترض أن هذه الأوراق اليابسة أثارت انتباه أحد العصافير وبدأ بتفتيشها. ستكون

فرصته بأن يصادف الحشرة فى المحاولة الأولى ١ : ٦، هذه الدرجة من التأمين ضد المخاطر تمنح الفراشة الساكنة والفاقدة لوعيها طيلة مرحلة التشرنق ميزة حاسمة فى معركة البقاء الكبير. البقاء لمن؟ للأصلح، للأذكى، للأنفع أليس كذلك؟. وكلما إصطدم العصفور بورقة فارغة يتناقص إهتمامه للبحث مستقبلا فى الأوراق اليابسة. لكن خدعة الفراشة تبقى مُجدية وقيّمة حتى لو أصاب العصفور هدفه بالصدفة وفى المحاولة الأولى، بأن يصادف الورقة الصحيحة أولا. هذا النجاح سيشجع العصفور على مواصلة البحث عن فرائس فى بقية الأوراق. إلا أن المتابعة لن تؤدى به إلا إلى سلسلة متواصلة من خيبات الأمل. لذلك تستطيع أن نفترض أنه سيغادر المكان أخيرا ولديه الشعور بأن البحث عن الغذاء فى الأوراق اليابسة هو بمجمله عمل غير مجدى. عندئذ ستكون هذه الفراشة قد ألتهمت لكن متعة العصفور فى البحث مستقبلا عن صيد فى الأوراق اليابسة تتضاءل. مما يؤدى إلى حماية بقية الفراشات التى تختبئ بنفس الطريقة المموهة. يبدو للإنسان أن هذا التكنيك المخطط حيلة بارعة للدفاع عن النفس تشير إلى درجة عالية من الذكاء. ويسأل نفسه كيف يكون ممكنا أن تقوم حشرة بكل ذلك لحماية نفسها على الرغم من أن تكوينها العصبى وسلوكياتها الأخرى يقودان إلى الإستنتاج بأنها لا تملك ذكاء يؤهلها إلى التوقع المستقبلى والإستنتاج المنطقى؟. كيف تعلل هذه الأعجوبة؟ يرقة فى ورقة. عقل بدون دماغ. سيقول رجل الدين: الله هو الذى يهب مخلوقاته المعرفة اللازمة لتعتنى أبويا بمصيرها ومصير أبنائها. الفقيه بذلك لم يقل أى معلومة جديدة. لأن كل العلماء لم يسمعوا فقط مثله بقدرة الله بل رأووا هذه القدرة رأى العين. علماء الأحياء اتفقوا على أن «الغريزة» كإصطلاح فنى للتعبير عن أشكال سلوكية معينة موروثة هى السبب. فإذا اكتفيت بهذا القدر من التعليل وهو فى الواقع صحيح ويعبر بطريقة صحيحة عن أن الإنجاز المدهش التى تقوم به الفراشات لاينبع منها ذاتها. لكن ما نريد أن نعرفه هو شئ مختلف تماما. إننا نريد أن نعرف من هو الذى توصل إلى الفكرة البارعة بأنه يمكن التمويه بصنع هياكل وهمية مماثلة للأصل، تلك الهياكل التى تفسد على العصفور متعة البحث عن الغذاء، بتخفيض فرصته لايجاد فريسته بهذه الطريقة الإحتيالية. لقد توصل علماء السلوك اليوم الذين يهتمون بدراسة طرق «السلوك المورث» فى كثير من الحالات إلى عدة أجوبة كاملة، مفاجئة، مقنعة وذات أهمية غير عادية وهى:

ليس إلا لقطة لحظية فى مسيرة حركة تاريخة تتجاوز جميع المقاييس الأرضية والبشرية. مامن أحد يستطيع أن يقول لماذا نعيش اليوم بالذات ولس قبل آلاف السنين، أو بعد وقت طويل فى المستقبل البعيد. فقط يتوجب علينا الشكر لأننا نعيش بداية بزوغ الوعى الإنسانى. أى نعيش الواقع الثالث البعد الثالث. لكن معظمنا لازال يعيش البعد الأول.

البعد الأول: المرحلة الأولى من الواقع

العالم الذى تعيش فيه جميع الحيوانات والأطفال وغير المؤمنين بالله والعلم، أو بالعلم والإيمان. العالم الساذج غير المدرك. المحيط، الذى نكون فيه منهكين أو نشيطين. الدنيا التى ننسب فيها كل شئ إلى ذاتنا وننظر إلى جميع الأشياء من منظارنا ونعيش وهم التمركز حول أنفسنا. نعيش جائعين أو شبعانين على جزيرة فى محيط يبث فينا الخوف. لأن تمكن من وضع سؤال مفيد. ولا من إيجاد أجوبة ضرورية تقدم إلينا على الأقل بعض العزاء على السؤال البسيط - لماذا اليأس من الحياة والخوف من الموت؟

البعد الثانى: المرحلة الثانية التى يتطور إليها الوعى البشرى

لايوجد هنا أحاسيس وأفعال إنعاكسية وحسب، بل معرفة ومسئولية، آمال وتصورات مستقبلية، تساهم فى صنع المدنية والحضارة أيا كان دورنا ومهما كان بسيطا. أمام هاتين المرحلتين تقوم الحقيقة التى توصلنا إليها مؤخرا حول سبب وجودنا ذاته. وهذا هو التفسير الجميل لكيف أن الإنسان كان أكثر شئ جدلا. إنه المحصلة الأكثر تطورا والأكثر تعقيدا، الناتجة عن تاريخ متواصل طويل إستمر ١٣ مليار سنة. نحن وجدنا فى هذا العالم ليكون فى خدمتنا لنحقق ذاتنا ونصنع التاريخ.

البعد الثالث: عابرى سبيل. جزء من العالم

إننا جزء من هذا العالم. كنا ولم نزل ننتسب إليه نخضع لقوانينه وننطوى تحت لواء التطور، الذى لانعرف عنه سوى القليل، والذى سيتابع مسيرته غير مبال بنا. إننا اليوم فى موقع أفضل لأننا، بدون أن نعلم السبب، جئنا فى زمن متأخر أكثر تطورا. لكننا فى الوقت ذاته لسنا إلا عابرى سبيل. نقطة عبور إلى مستقبل سيكون متفوقا علينا أكثر من تفوق وعينا على من سبقنا، أكثر بكثير.

٢ـ النملة والحشرة

هناك أكثر من خمسة آلاف نوع من أنواع النمل. كل نوع من هذه الأنواع مختص فى ساحة معينة اختصاصا يثير دهشة الإنسان. ربما لم يكن داروين على علم بأن النمل ومنذ ملايين السنين يطبق طرقا عبقرية فى مجال الزراعة وتربية الحيوان. لنأخذ مثالا واحدا. نمل يدعى الباراصول Parasol. عمله هو قطع أوراق الشجر ونقلها إلى مساكنها. وهناك يقوم النمل بمضغ هذه الأوراق جيدا حتى يحيلها إلى مايشبه الإسفنج ثم يخزنها فى غرف خاصة. لكن هناك مسألة دقيقة فى عملية الخزن هذه. إذ يجب المحافظة على الأوراق فى رطوبة معينة بنسبة ٦٪ فى المائة وفى درجة حرارة ٢٥ مئوية. لكى تتم السيطرة على درجة الحرارة هذه نرى النمل يترك فراغات منتظمة بين هذه الأوراق عند خزنها فإذا كانت هذه الأوراق التى تم جمعها يابسة فإنها تترك ليلة واحدة فى الخارج لتترطب، أما إذا كانت رطبة أكثر من اللازم فإنها تعرض للشمس فى النهار لتقليل هذه الرطوبة. فإذا سقط مطر مفاجئ فإن هذه الأوراق تترك جانبا ويقوم النمل بجمع أوراق أخرى. أتدرون لماذا يقوم النمل بكل هذا الجهد؟ ذلك لأن خزن الأوراق تحت الأرض فى مثل هذه الشروط يؤدى بعد مدة إلى نمو فطريات بينها وعليها. فيقوم النمل بالتغذية على هذه الفطريات التى أنبتها بهذه اطريقة. ولكى يحصل النمل على أفضل محصول فإنها توفر أفضل الشروط لنمو هذه الفطريات. إن هذا النوع من النمل القاطع للأوراق هو واحد من أنواع عديدة كان يقوم بعمله الماهر هذا قبل مجئ الإنسان إلى هذه الدنيا بملايين الأعوام. فكيف تسنى لمخلوق ضئيل لايبلغ حجم دماغه مليمترا مكعبا واحدا أن ينشئ مثل هذا النظام؟ وأن يهتدى إلى دقائق أصول الزراعة؟ فى الوقت الذى احتاج الإنسان لمئات الأعوام من المحاولات والجهد لكى يكتشف مهنة الزراعة. لايمكن أن يكون الرد، عبقرية النمل، أو الصدفة، لقد أثبتت بحوث المتحجرات أن النمل الذى كان موجودا قبل عشرات الملايين من السنين لايفرق فى شئ عن النمل الموجود حاليا. فى كل حشرة وكل نبات، عقل عبقرى وعالم كيمياء يسبق عقل الإنسان وذكاءه بملايين السنين.

ودعنا نلقى نظرة على حشرة أخرى اسمها ocypus olens - Rove beetle

التى تقوم بصنع دوائين عجيبين. تقوم الحشرة بعمل هذين الدوائين للدخول إلى بيت

النمل لأنها تود البقاء هناك للعيش مع النمل للحصول على الغذاء. ولكن استغفال الحارس الموجود أمام مدخل بيت النمل ليس أمرا هينا. هذه الحشرة لاتقوم بخداع أو باستغفال الحارس بل تضعه فى خدمتها. من أجل تحقيق ذلك، فإنها ما أن تتقدم نحو مدخل بيت النمل وقبل أن يقوم الحارس بالهجوم عليها تفرز من طرف بطنها قطرة من الدواء. وتسقطها على الأرض وما أن يتذوق الحرس هذا الدواء حتى يغير سلوكه وتصرفه إذ ينقلب إلى صديق ودود. ذلك لان هذا الدواء مسكن ومهدئ وذو مفعول سريع جدا ثم تقوم الحشرة بتقديم الدواء الثانى للحارس إذ تجعله يلعق بطنها لأن فيه غدتان تفرزان دواء ثانيا. ميزة الدواء أنه يملك خاصية التنويم المغناطيسى. فما أن يلعق الحارس هذا الدواء حتى لانراه يكتفى بكونه مسالما تجاه الحشرة بل يضع نفسه تحت أمرها فيحملها بفكيه وينقلها إلى الداخل بل إلى المكان الذى ترغبه الحشرة. لاتنسى الحشرة أن تكور نفسها لتسهيل مهمة النقل. إن فكرة القيام بهذه الخدعة من قبل الحشرة للنمل دليل على ذكاء واضح. أما تحقيق هذه الفكرة فيحتاج إلى أمور أخرى غير الذكاء. ذلك لأنه لكى تتوصل إلى التركيب الكيماوى لدواء يؤثر الشأثير المطلوب فى جسم النملة. يجب أولا معرفة جسم النملة معرفة دقيقة ثم تظهر الحاجة إلى علم أكثر ومهارة أكثر لوضع المعمل الذى ينتج هذا الدواء فى جسم الحشرة أى إذا لم يكن هناك من يعرف كلا الجسمين. جسم النملة وجسم الحشرة معرفة عميقة، فإنه لا يستطيع تحقيق هذا الأمر وإن ملك العقل والشعور. **ومثل ذلك ما تفعله إسرائيل فى بعض جيرانها العرب.**

٣ـ السر فى البيضة

القوة والضعف. la Puissance et la fragilite

الطائر الحمل. Short tailed Mutton bird. shear water

وصف هامبورجر النمط الفريد الذى تتم به هجرة الطائر الحمل «جلم الماء قصير الذيل».امسك صياد يابانى يوم ٥٥/٥/٢٧ طائرا كان معلقا به حلقة بتاريخ ٣/١٤ من العام نفسه وذلك فى جزيرة بابل باستراليا. كان الامساك بهذا الطائر بداية سلسلة من الاكتشافات أدت إلى تصحيح المعلومات الخاصة بالرحلة الضخمة التى يقطعها هذا الطائر المهاجر فى كل سنة. تبدأ نقطة إنطلاقة من ساحل استراليا ومن هنا يطير شرقا فوق المحيط الهادى ثم يدور فى اتجاه الشمال على طول ساحل اليابان حتى يصل إلى

بحر بيرنج Bering حيث يستريح بعض الوقت. ثم ينطلق بعد هذه الوقفة ولكن ليتجه جنوبا هذه المرة ليظل طائرا بمحاذاة ساحل أمريكا حتى يصل إلى كاليفورنيا. ومن هناك يطير فوق المحيط الهادى فى طريق عودته إلى حيث بدأ. هذه الرحلة السنوية التى يقطعها الطائر والتى تتخذ شكل العدد ٨ ويبلغ طولها ١٥٠٠٠ ميل لاتختلف فى مسارها ولا فى التاريخ التى تتم فيها. فالرحلة تستغرق ستة أشهر وتنتهى دائما فى الأسبوع الثالث من شهر سبتمبر على نفس الجزيرة التى انطلق منها وفى نفس العش الذى تركه الطائر منذ ستة أشهر مضت أما ما يحدث بعد ذلك فهو أدعى للعجب. فعند عودة هذه الطيور تبدأ فى تنظيف أعشاشها ثم تتزاوج وتضع الأنثى بيضتها الوحيدة فى غضون الأيام العشرة الأخيرة من شهر أكتوبر. وبعد شهرين يفقس البيض وتخرج الأفراخ وتنمو بسرعة وعندما يكون عمرها ثلاثة أشهر ترقب آباؤها وهى تنطلق فى رحلتها الرائعة. وبعد أسبوعين أى فى منتصف أبريل تقريبا تنطلق الصغار بدورها فى الطريق الذى سلكه أباؤها بنفس المسار الذى سبق بيانه. أما ما ينطوى عليه كل ذلك فهو جلىّ واضح. ففى داخل المادة التى تنقل الصفات الوراثية.. أمر الله DNA لهذه الطيور والتى تحتويها البيضة لابد وأن توجد التوجيهات اللازمة لهذه الرحلة. قد يقول بعض الناس أن هذه الطيور تسترشد بالشمس والنجوم واتجاه الريح السائد على طول طريق الرحلة ذاهبا وإيابا. لاشك أن هذه العوامل لاتبرر الدقة الجغرافية والزمانية التى تتم بها هذه الرحلة، المكان والزمان. ليس هناك مايدعو للشك فى أن التعليمات الخاصة برحلة الخمسة عشر ألف ميل مسجلة سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على الجزيئات الكيميائية المستقرة فى نوى خلايا هذه الطيور وتقوم بإصدار الأوامر. فكيف يمكن أن نتصور هذا القدر الهائل من المعلومات الشفرية التى يلزم بالضرورة أن تكون متكيفة مع عدد هائل من الظروف والأحوال المختلفة ويدخل فى حسابها البيئات المتباينة التى تجتازها الطيور، كل طائر بمفرده وبغير مرشد، من استراليا إلى كاليفورنيا ثم العودة ملتزما إلتزاما صارما بجدول زمنى غاية فى الدقة. كيف يمكننا أن نعبر عن هذا العدد الخيالى من الأوامر التى يلزم أن تصدر على مدى ستة أشهر؟.. وهى أوامر تتغير حتما وفقا للظروف خاصة مع تبدل الأحوال الجوية والمناخية لابد أن تكون العدة قد أعدت لأى طارئ محتمل الوقوع. ولابد أن يكون التصرف المناسب قد وجد مكانه فى رصيد المعلومات التى

يحملها شريط الحامض النووى. مثار العجب بالنسبة للمرء هو كيف تم تخطيط هذا البرنامج وكتابته أصلا؟ هل من مخلوق يعرف الإجابة؟ فى عصر الحاسب الآلى طغى علينا الإعجاب بالنتائج التقنية التى حققها مكوك الفضاء الأمريكى The American Space Shuttle الذى أتم الرحلة التجريبية ودورانه حول الأرض ثم عودته إليها فى نفس الحظة التى تم تحديدها مسبقا قبل إطلاقه، فضلا عن المناورات العديدة الأخرى. كل ذلك كانت تدعمه حسابات آلية قوية تعمل بشكل منسق. الحاسبات تطلق أوامرها إلى المكوك وأحيانا تعدل الأوامر وفقا للأوضاع والأحوال، وحتى تنجح هذه المغامرة كان من اللازم التصرف فى غضون جزء من الثانية لتسجيل المعطيات المطلوبة ومعالجة المعلومات ثم إصدار الأوامر. هذه مجموعة من العمليات تفوق القدرة البشرية. لا شك أن الطائر الحمل كان سيلقى المصاعب ليتم رحلته وهو يجتاز لأول مرة فى حياته قارات وبحار ومحيطات لا علم له بها مطلقا. لابد أن عند هذا الطائرة فيما ورثه من جينات سجل كامل بالمعلومات اللازمة لرحلة الشهور الستة. هل تبلغ السذاجة بأحد أن يتصور أن يكون المكوك وحساباته الآلية يمكن ان يُصنع ويزود بالبرامج المعقدة بمحض الصدفة؟ من تصور ذلك فقد جانبه الصواب وغفل عن الحقيقة. لأن حقيقة الأمر أن المكوك قام على برمجته خبراء على درجة عالية من التدريب يمكنهم أن يمدوه بجميع المعلومات التى تتطلبها مهمته. لماذا إذن لانقبل فكرة أن يكون الطائر شأنه شأن المكوك، قد زود بالمعلومات التى يحتاجها ليعود من حيث بدأ؟

٤ ـ من القرد إلى الفرد

خلق أم تطور؟ تطورخلاق **Creative Evolution**.

من المؤسف أن تُستغل الداروينية بوصفها نظرية بيولوجية لأغراض مذهبية إيديولوجية، أو اعتبارها أنها ألحقت بالإنسان الإزدراء والمهانة. فليس صحيحا الاعتقاد السائد أن الإنسان ينحدر من القردة. بل إن الإنسان والقرد ينحدران من رتبة الكائنات الفقارية التى تسمى الرئيسيات. وعلى هذا فإن العلماء يصنفون الإنسان من حيث الانتماء إلى: الفقاريات صنف: الثدييات. رتبة: الرئيسيات. فصيلة: الإنسانيات جنس: الإنسان نوع: الإنسان العاقل Homo Spaiens.

لدى القابلة «الداية» خبرة بأن المولود المكتسى بالشعر يكون على الأرجح قد ولد قبل الأوان. أى أنه لم يزل بعد غير مكتمل النمو. هذه الملاحظة صحيحة فعلا. وهى تعود إلى أن كل جنين بشرى يكتسى فى حوالى الشهر الرابع من الحمل بفروة حقيقية كثيفة من الشعر غير أن هذه الفروة تحتفى ثانية قبل موعد الولادة المعتاد. أى معنى يمكن أن نفهمه لمثل هذه الفروة التى لاتبقى موجودة إلا فى أثناء فترة التطور فى رحم الأم حيث تكون خلالها الحماية ضد البرد غير ضرورية؟ إن هذه الفروة التى حملناها جميعا لفترة مؤقتة ماهى إلا ذكرى جيناتنا الوراثية عن الوقت الذى مضى عليه بضع عشرات من ملايين السنين. حيث كان جنسنا لم يصل بعد إلى مستوى الإنسان. عندما نتطور خلال أشهر الحمل الطويلة من البويضة الملقحة حتى الطفل القادر على الحياة تعزف عوامل التعطيل والتنشيط على مفاتيح جيناتنا، أو على فهرس مورثاتنا لكى تمكن نواتج انقسام البويضة، الحاصل بتسلسل زمنى معقد ومنسق. من أن تأخذ الترتيب المكانى الصحيح بشكل تنتج معه جميع أنواع الخلايا المختلفة التى يتألف منها جسمنا. إن هذه العوامل المجهولة التى تعزف هذه المعزوفة تتصرف كتلميذ المدرسة الابتدائية الذى يردد قصيدة من الشعر، وكلما تلكأ يضطر أن يعود إلى البداية وإلا فلا يستطيع المتابعة على الإطلاق. كذلك هو الأمر عند نشوئنا فلن تُضغط فورا المفاتيح الحقيقية التى تعطى المقطع الأخير للمعرفة - أى التى تنتج فورا جسما بشريا لأن الأمر لا يتم بنجاح إلا عندما تعزف قبلئذ وبسرعة جميع المقاطع الأخرى. قصة خلقك من البداية إلى النهاية مرورا بجميع الأطوار. إنما نمر فى هذا الوقت من تطورنا الجينى عبر جميع مخططات البناء الماضية لأسلافنا.

مدرسة القرود فى تايلاند

فى تايلاند مدرسة يقوم بالتدريس فيها مدرس واحد فقط. التلاميذ لايزيدون عن ٥ أفراد. فترة الدراسة لاتزيد عن ٦ شهور. طلاب المدرسة من القرود. تشتهر تايلاند بأشجار جوز الهند ويحرص التجار والمزارعون المحليون على العناية بالأشجار لأنهم يستخرجون من ثمارها الزبدة والزيت الذى يكثر الطلب عليهما فى المعامل لإنتاج العطور والصابون. منذ القرن الماضى ضمن المزارعون السلامة لانفسهم من مخاطر تسلق أشجار الجوز العالية لأن القرد يقوم بالمهمة نيابة عنهم. هذا النوع من الشمبانزى «المكاك» -Ma

caques. لايوجد إلا فى آسيا وهو وحده الذى يصلح للتدريب على جمع ثمار جوز الهند. ويحصل المدرب على الطعام والمأوى و ١٢٠ دولارا نظير التدريب. القرد بعد تدريبه يستطيع أن يتسلق شجرة يصل ارتفاعها الى ٢٥ مترا وبقدرته الفريدة على المناورة والانحراف والتنقل بين أغصاب شجرة الجوز يستطيع بسهولة تمييز ثمارها من حيث النضج ويلتقط يوميا ٧٠٠ ثمرة. وعنده القُدرة على القفز من شجرة إلى أخرى وان يسبح فى البحيرة لإلتقاط الثمار العائمة ويضعها فى سلة ويحملها بمفرده إلى المكان المطلوب.

ماهى العلاقة الوثيقة بين المدرب والقرد؟

كلاهما يتنفس رئويا وخلويا بنفس الطريقة. كيف؟ لقد تمكن العلماء، بواسطة تكنيك رفيع للتحليل الكيميائى، من التعرف على جميع حلقات سلسلة أنزيم التنفس الخلوى الذى لولاه لما انتقل الاكسجين الذى يحمله الدم إلى الخلية الحية. هذا الأنزيم الذى يتألف من ١٤ حلقة تقريبا موجود لدى جميع الكائنات الحية ولولاه ما كانت حياة. لولاه ما عاش المدرب ولا القرد. كأنه الروح. ماذا يستفيد العلماء من هذه النتيجة؟ وما هى الآفاق الجديدة التى فتحها هذا التكنيك الجديد أمام العلماء وأمامنا جميعا؟ نعلم أن عدد الأحماض الأمينية ٢٠ ولكل منها رمز مختلف. لسنا فى حاجة إلى أن نهتم بمعرفة أى رمز يعبر عن أى حمض أمينى. المهم أن كل رمز يعبر عن حمض معين ويتواجد فى الموقع الذى يتواجد فيه الحمض ويتكرر كلما تكرر فى الرسم الرمزى أدناه تجد مقارنة بين ١١ فصيلة مختلفة تم ترتيب الفصائل المختلفة فى المخطط حسب التسلسل التناقصى لقرابتها.

الإنسان	○ ≡ ⊞ ╲ □ ○ □ □ ▣ × ▣ ■ □ ●
القرد	○ ≡ ⊞ ╲ □ ○ □ □ ▣ × ▣ ■ ⬚ ●
الكلب	○ ≡ ⊞ ╲ □ ○ □ □ ▣ × ⊞ ◆ □ ●
الأرنب	○ ≡ ⊞ ╲ □ ○ □ □ ▣ × ⊞ ◆ □ ●
الدجاجة	○ ≡ ▣ ╲ □ ○ □ □ ▣ × ⊞ ◆ □ ●
الضفدعة	○ ≡ ⊞ ╲ □ ○ □ □ ▣ × ⊞ ◆ □ ●
سمك الطون	○ ≡ ⊞ △ □ ○ □ □ ◩ × ⊞ ◆ □ ●
الفراشة	○ ⊞ ⊖ △ ○ ‖ △ ╲ ‖ ○ □ □ ▣ × ⊞ ◆ ▲ ●
القمح	△ ▦ × ▦ ╲ △ ⊖ ⊖ ○ ‖ ⊖ ⊖ △ ○ △ □ ▣ × □ ◩ □ ●
قطر العفونة	○ × ▦ △ ○ ≡ ▦ □ □ ○ △ ‖ ☒ × □ ◩ ▲ ●
خميرة الخبز	◩ ╲ × □ △ ○ ▦ △ □ □ ○ △ ◩ ☒ × □ ◩ ▲ ●

ستلاحظ من النظرة الأولى شيئا يثير الذهول:

١ ـ عملية التنفس الداخلى أى انتقال الأكسجين إلى داخل الخلية الحية من الإنسان حتى خميرة الخبز تتم بتحريض من نفس الإنزيم. نفس الإنزيم لكل الكائنات الحية. وتنطبق هذه النتيجة ليس على هذا الإنزيم فقط ولا على هذه الفصائل الإحدى عشر المبينة بالرسم بل على جميع الإنزيمات الأخرى وعلى جميع الفصائل الأخرى.

٢ ـ بين الإنسان والقرد يوجد، فى هذا الإنزيم، اختلاف واحد ووحيد فى الموقع رقم ٥٨ أنظر فى الرسم وحدده. إذا قارنت الإنسان بالكلب تجد فروقا فى ١١ موقعا وعند مقارنة الإنسان بخميرة الخبز نجد عددا كبيرا مثيرا للانتباه من الحلقات المتطابقة. أنظر وطابق. هذا التقارب لايمكن أن يعود إلى مجرد الصدفة. على العكس من ذلك فإن المخطط يشير بصورة واضحة ومقنعة إلى أن جميع أشكال الحياة الأرضية تنحدر من أصل واحد أى أن جميع الكائنات الحية من الإنسان حتى خميرة الخبز يجب أن تجمعها روابط القربى مع بعضها البعض.

٥ ـ فراشة الحور.. عقل بدون دماغ

إصطفاها الله. التمويه بواسطة الألوان.

إذا كنت قد فهمت أن إتحاد غازين يؤدى إلى نشوء سائل هو «الماء»، فإنك إذا تفهمت حكاية فراشة الحور فإنه سيمكنك أن تفهم بسهولة معنى التطفر والإصطفاء وكف أن الطفرات يستحيل أن تكون غير موجهة. تؤدى الطفرات فى تطور الكائن الحى الى التكيف الهادف واكتساب وظائف حياتية متفوقة. وإليك الحكاية من البداية. فمنذ قديم الزمان كان اللون الأساسى لجناحى فراشة الحور هذه، أبيض فضياً، عليه خطوط ناعمة يميل لونها إلى الرصاصى الأخضر. أى ان الأجنحة تبدو وكأنها قطعة صغيرة من قشرة شجرة الحور بحيث لايمكن تميزها من القشور بسبب تماثل اللون. إذن هذه الفراشة تحمى نفسها من العصافير بطريقة تبدو لنا هادفة. ونستطيع أن نقول بكلمات أخرى أن الفراشة تموه نفسها، أى تقلد مظهر قشور الحور بدقة هائلة بطريقة تجعل من الصعب على أعدائها اكتشافها. كيف نقول تقلد مع أنه من المؤكد أنه ليس لدى الفراشة أى تصور عن المظهر التى هى عليه. كما أن مستوى تطور دماغها الصغير ينفى إمكانية أن تعرف شيئا عن سلوك

العصافير فى الصيد أو عن فوائد التمويه بواسطة الألوان. ولو حصلت هذه الفراشة جدلا على هذه المعلومات التى لايمكنها الحصول عليها أبدا، فإنها لن تفيدها بأى شئ. إذ حتى لو عرفت كل مايلزمها من معلومات فإنها لن تستطيع الاستفادة منها تطبيقيا، بأن تغير مثلا مظهرها الخارجى كما تشاء. ورغم ذلك اكتسب هذا النوع من الفراشات عبر مئات الآلاف من السنين مظهرا منسجما مع الهدف إلى درجة لن تكون أكبر لو ملك الوعى وقام بعملية التمويه بطريقة واعية مدروسة. كيف أصبح هذا الأمر ممكنا؟ يدعى الداروينيون أى البيولوجيون الذين يعيدون أسباب عملية التطور إلى اللعبة المتبادلة بين ماتقدمه البيئة من طفرات وماتفرضه من اصطفاء. أى إلى تأثير آليتى التطفر والاصطفاء. أن هذه الآلية هى التى أدت إلى نشوء التلون المموه. وهذه الفراشة قدمت البرهان المباشر على مايدعونه. يعنى إيه؟ تابع قراءة بقية الحدوتة. خلال حياة الداروينى الأول «دارون نفسه» أى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر حصل تغير جذرى فى البيئة التى تعيش فيها فراشة الحور. قلبَ عملية تمويهها الهادف دفعة واحدة إلى النقيض تماما. حصل هذا فى بداية عصر التصنيع حيث كانت نتائج تدخل الإنسان فى المحيط الطبيعى مدمرة. إذ بدأت جميع أشجار الحور فى المناطق الصناعية تتلون بلون أسود يزداد سواده كل يوم بسبب الكميات الكبيرة من هباب الفحم المتطاير من مداخن المصانع. إننا بلاشك نستطيع توقع نتائج هذا التغير بالنسبة لفراشتنا. لقد توقف فجأة الزمن الذى كانت تستفيد فيه من تلونها المميز. لا بل أن لونها أصبح يشكل هدفا بارزا للطيور الجائعة. فقد ظهرت الفراشات مضيئة على جذوع الأشجار المتسخة. لقد بدا آنذاك ان انقراض هذا النوع المنحوس من فراشات الحور أصبح مسألة وقت وحسب. إنها ضحية لتغير طرأ على المحيط، لم تكن متكيفة معه بما فيه الكفاية. الأمر الذى حصل لكثير من الأنواع الحياتية الأخرى خلال تاريخ التطور. أن هذه الفراشات التى أصبح اصطيادها سهلا والتى راح عدها فى البداية يتناقص يوما بعد يوم، بدأت تتلون ببطأ وبصورة غير ملحوظة فى البداية بلون غامق حتى أصبحت، بعد وقت قصير يثير الدهشة، خلال عقود قليلة من السنين، تشبه تماما جذوع الأشجار التى مازالت تعيش عليها. لقد أصبحت تميل إلى السواد وبذلك حمت نفسها من جديد من مطارديها. لهذا السبب بدأ عددها يتزايد حتى عاد بع فترة إلى ماكان عليه قبل حصول التغيير. وبذلك تحقق التوازن مرة أخرى. هذا مثال للتطور حصل أمام أعين الباحثين.إنه الرد

الذكى وفى كل الأحوال الهادف، الذى قامت به هذه الفراشات تجاه التغيير الخطير الذى طرأ على محيطها. ويدعى الداروينيون أنه نتيجة آليتى الطفرة والاصطفاء. ولكن؟ أكدت لاحقا المجموعات التى يمتلكها هواة جمع الفراشات أنه كان يوجد فى هذه المنطقة منذ القدم نسبة صغيرة من فراشات الحور بلون غامق. كان عددها يتأرجح زيادة ونقصانا لكنه لم يتجاوز فى أى من الأوقات ١٪ من مجموع جميع الفراشات. عدد ضئيل لكنه موجود دائما وباستمرار لم يتزايد ولم ينتشر على نطاق واسع فى أى وقت من الأوقات. استمر إنتاج هذا النوع الداكن بالتوارث عبر الأجيال وعاش آلاف السنين بما فى ذلك الأحقاب التى كان يبدو فيها أن الشكل الغامق لافائدة منه على الاطلاق الآن ولا فى المستقبل. لكن هذا الوضع. تغير فى اللحظة التى إختلت علاقة التكيف المثالى بين فراشات الحور وبين محيطها، بسبب عامل طارئ خارجى، هو تلون جذوع أشجار الحور باللون الأسود بسبب الصناعة،مما أدى إلى اختلال التوازن. فى هذه اللحظة تعرضت الفراشات للانقراض. لكن مصائب قوم عند قوم فوائد. كانت الفراشات ستنقرض فعلا لولا أنه خلال الأزمان الماضية كانت الطفرات تقدم كثيرا من النماذج الممكنة التى جربت حظها جميعا وكان من بينها هذا النموذج الغامق الذى كان عديم الجدوى حتى الآن. ما من فراشة واحدة غيرت لونها أو مظهرها. كيف كان سيحصل هذا التغير؟ إن نوعا ما من الكائنات الحية لايتكيف مع الوسط أو يكتسب خلال حياته خصائص تتناسب مع الوسط الذى يعيش فيه إنما تعطى عمليات التطفر قبلا تلك الخاصية التى تمنح هذا النوع الفرصة لأن يتكيف مع محيطه. الحماية من أجل النوع وليس لصالح الفرد. ومن المؤكد أن ذلك لايحصل دائما وفى كل حالة وفى الوقت المناسب، لهذا تنقرض بعض الأنواع. أما فراشات الحور فقد كانت محظوظة إن ما حصل لها يسميه علماء التطور «الاصطفاء» أى تلك العملية الانتقائية بين النماذج المختلفة التى يقدمها التطفر. هل فهمت الآن معنى الاصطفاء؟ بتعبيرأوضح لم تعد الطيور الآن تلتهم ذلك النوع الأسود الذى كان فى الماضى يبرز على الجذوع البيضاء حتى أصبح وجوده نادرا. لقد أصبحت الآن تلك الفراشات العادية الفاتحة الفضية هى المهددة أما الداكنة فقد أصبحت محمية. حفظتها العناية الإلهية الله يصطفى نادر الوجود ليحفظ دينه وقومه. لقد بدأت الفراشات الداكنة تتمتع الآن وفجأة بحماية التكيف الهادف وراحت تتكاثر حتى أصبحت بعد مائة سنة تشكل النموذج السائد فى المنطقة الصناعية بانجلترا، حيث أجريت

هذه الدراسات، لكن لم يزل يوجد حتى اليوم بين العدد الكبير من الفراشات الداكنة بعض الأعداد من النماذج الفاتحة التى «يبدو الآن» أنها لا تستطيع التكاثر ولاجدوى لها لأنها ليست متكيفة مع البيئة بصورة هادفة. هذه بكل بساطة هى الوسائل التى يستخدمها الخالق ليجعل نوعا ما، يصرف بطريقة توحى للغافلين أن هذه الكائنات الحية الضئيلة فعلا ذكية. ستعرف الكثير عن ذكاء الحيوان إذا قرأت كتاب «الإنسان متهما» للعالم الفرنسى جراسية L'Homme en accusation ستقرأ فيه عن:

١ ـ الكلبة «دانا» التى تمكنت رغم مخها الصغير نسبيا من أداء أعمال معقدة بشكل مذهل مما يجعلها تتصور إنها على درجة عالية من الذكاء.

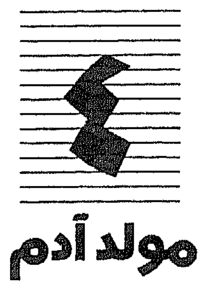
٢ ـ وعن الأخطبوط الذى له القدرة على التفكير الإستنتاجى.

٣ ـ وعن أحد أنواع طائر الشرشور Chactinch الذى يستوطن المحيط الهادى، يملك منقارا لايمكنه من إلتقاط بعض أنواع معينة من الفراشة لذلك يمسك بشوكة فى منقاره ويستخدمها فى نخش لأرض وجذور الأشجار كى تضطر الحشرات الى الخروج منها وعندما تظهر أمامه لايجد الطائرة صعوبة فى الإنقضاض عليها وإلتهامها.

٤ ـ وعن نوع من النســور Vineture فى أفريقيا لديه مهارة عجيبة تتسم بالمكر الشديد وتتمثل هذه المهارة فى تكسير قشر بيض النعام التى تتميز بشدة مقاومتها للكسر. ولكن يفعل النسر ذلك فإنه يلتقط أحجارا ثقيلة نسبيا فى منقاره «يصل وزنها إلى حوالى ١٥ جرام» ويقف بها من إرتفاع معين فوق البيضة وعندما تنكسر البيضة بتأثير إرتطام الحجر يهبط النسر لإلتهام محتوياتها.

٥ ـ فى كثير من مناطق أفريقيا يعتبر الأهالى جنود النمل الأبيض Soldier Termite من الأطعمة الشهية. يستخدم الشمبانزى غصينا لاصطياد النمل فهو يغرس الغصين فى مستعمرة النمل وينتظر إلى أن يتجمع النمل الأبيض تلقائيا فوق الغصين. عمل ملئ ببراعة ماكرة، دهاء. وكذلك فعل الإنسان. الإنسان هو الذى قلد الشمبانزى وليس العكس نحن لا نتحدث عن الذكاء فى لغتنا اليومية إلا للتعبير عن مخطط إنسانى محسوب مسبقا. يجب على الناس عدم قصر صفة الذكاء على الإنسان. لذلك وإنطلاقا من هذا لايمكن بالنسبة لنا أن يوجد الذكاء والخيال إلا فى حالة وجود الدماغ المتطور بما فيه الكفاية للقيام بالأعمال التى نعنيها بهاتين الكلمتين بتوجب علينا أن ننظر إلى

هذا المفهوم نظرة فاحصة ناقدة. إذا أردنا أن نكوّن صورة صحيحة عن العالم وعن موقعنا فيه وموقفنا منه. ينبغى علينا أن نتحرر من تحكم الاعتياد وتسلط النظرة اليومية المعتادة. لأن العادة دليل ردئ. إن النظرة الموضوعية للعالم، للكون، الطبيعة ولتاريخ الكائنات بدون أحكام مسبقة، ترغمنا أن نسحب اعترافنا بشرط وجود دماغ ليبدو لنا التصرف هادفا ذكيا. وعلى الاعتراف بأنه يوجد عقل بدون دماغ. وأنه يتوجب علينا الشكر والإمتنان لله. لأن تصميم الدماغ هيكلا ووظيفة مسجل فى الكتاب المبين. لكنه يُنفذ مايشاء من أحكامه بقدر، وفى الوقت المناسب. كتاب موقوت.



الـــروح

(من المحال على من يفنى أن يكشف النقاب عن وجه من لا يفنى) الكلمة المكتوبة على هيكل إيزيس

(لقد أصبحنا على شفا ثورة فى مجال الإنجاب ببدء التجارب على التكاثر اللاتزاوجى) جوشوا ليدبرج.

(من الخطر أن نعرف ما كان يجب ألا نعرف. هذه حقيقة واضحة وإن كان العلماء لا يسلمون بها بسهولة). البيولوجى الأسترالى السير ما كفرلين بورنيه.

من المستحيل أن يقرأ هذا الفصل بسهولة ويفهمه ويصبر «عليه وعلىَّ» كل من وصل إليه. من المستحيل على أن اتركك أو تتركنى قبل أن نحاول معاً فهم معنى الروح. وتشاركنى فى إطلاله على الكتاب المكنون.لا تخيفك الرموز ولا القليل من الكيمياء الحيوية والفيزياء الجزيئية. ألا تريد أن تقترب من نفسك؟ سأسلمك كل مفاتيح المكنة لتتسلل إلى النواة تعبر جدارها وترى الحاكم بأمر الله جالسا على عرشه. سترى أمر الله «الحى» منظورا، عاملا،«حيا»:

التكاثر اللاتزاوجى. نماذج بشرية حسب الطب. تكاثر العذارى أو البكارى.

هل إنتهى عصر الرجال؟ إنتشرت فى إيطاليا مؤخراً ظاهرة تنذر بإنتهاء عصر الرجال وبدء عصر جديد تسيطر عليه النساء. فقد نشرت صحيفة «لاستامبا» الإيطالية إحصائية تشير إلى إرتفاع أعداد النساء الاتى حملن بدون إتصال جنسى مع الرجال إلى ٥٠ حالة خلال الشهور القليلة الماضية. وذكرت أن كثيرا من النساء حملن من خلال شراء سائل منوى بمواصفات محددة من محلات السوبر ماركت التى أصبحت تخصص ركنا لمختلف أنواع هذا السائل الذى يقدم للفتيات دون روشتة طبية.

التوالد عن طريق العلاقات الجنسية

تعارفنا منذ قصة سفينة نوح على ضرورة توافر الذكر والأنثى لتحقيق الإنجاب. لابد من الإلتقاء أوالتلقيح كى تولد حياة جديدة.

الإنجاب دون أى علاقة جنسية

منذ ستة قرون تنبأ «ألدوس هكسلى» فى روايته الخيالية «عالم جديد شجاع» بالتكاثر اللاتزاوجى. تكاثر العذارى والبكارى والإنتاج الجماعى للكائنات النادرة. واختلف الناس حول تقدير الزمن الكافى لتحقيق هذا الحلم وتحويل الإفتراض النظرى إلى واقع حى. وفكر الطامحون والطامعون. فكر العسكريون فى إنتاج جيش من المرتزقة أفراده أكثر قوة وقدرة على التحمل والطاعة. وفكر المستبدون من الحكام المولعين بالبطش والسلطة فى إنتاج حزب جماهيره مستعبدة وأغنيتها المفضلة «نعم يا زعيمى نعم» لا تعرف قول «لا». وفكر الراغبون فى تخليد أنفسهم من الرأسمالية المستغلة فى إنتاج مستهلكين والإكتفاء بالإنسان الآلى لعملية الإنتاج بالكامل. وفكر عشاق الموسيقى ومشجعوا كرة القدم إنه لإنتاج موسيقار مثل بيتهوفن أومايسترو كرة مثل ماردونا، فإن أجدادهما سلكوا الدروب التقليدية الشاقة التى تخللها تمزيق وإعادة تركيب العناصر الوراثية. وأنه من الأفضل الإنتاج الآلى لنسخ طبق الأصل فى هذه الكائنات النادرة. وبعد أن فقدت الجماعات الأصولية الإسلامية والمسيحية أملها فى إصلاح هذا المجتمع الفاسد قرروا بعث السلف الصالح. بإنتقاء الموثوق فيهم من الأئمة والأشراف والراهبات وإنتاج عباداً لله تؤمن ولا تجادل، تطيع ما تفهم وما لا تعقل. هذا هو معنى الإيمان كما يقول الأمام الشعراوى. ولأن الأمم المتحدة راعية مؤتمرى القاهرة وبكين لا تمانع فى زواج لا يثمر إلا الخزى والعار - رجل رجل وأنثى بأنثى - وتحاول فرض تقنين اللواط والسحاق بالقوة، فإنها لن تمتنع بالطبع ولن تقف موقفا رجعيا متشددا مثل موقف القائمين على تربية الخيول والكلاب - كريمة الأصول - الذين تربوا على التقاليد الراسخة العريقة ولا يسمحون بالجرى وراء البدع. ليس أى حصان أمه «كريمة» ولا أى كلب إبن كلب أمه «أصيلة». الذى يطالب به كل هؤلاء يحدث كثيرا فى الطبيعة خاصة فى دنيا النبات ويأملون أن يحدث أيضا وبسرعة فى عالم الحيوان والإنسان. فإذا انتزعت إحدى وريقات البنفسج وأعدت

زراعتها فى إحدى الأصص حصلت على نبات جديد تماما. وكذلك اللبلاب والبامبو. بل إنه يمكن تخليق جزره كاملة من الجذع حتى الزهرة، من خلية واحده يتم كشطها من أحد الجذور. وقد أكتشفت أستاذة جينات الوراثة فى جامعة لندن - هيلين سبور واى - أن عشرات الإناث من الحيوان يلدن سنويا فى مختلف بقاع الأرض دون أن يمسسهن ذكر. والمؤمنون مسيحيون ومسلمون يؤمنون أن هذا حدث لإحدى البشر، العذراء مريم سيدة نساء العالمين رغم أن لليهود رأيا آخر. وبالفعل عكف علماء الهندسة الوراثية على دراسة إمكان تطبيق الأساليب العلمية التى لجأ إليها رواد تهجين الحيوانات. إختفت تماما جظيرة الثور من الزرائب التقليدية. لم يعد «سى السيد» يستمتع بخلوته مع بقرته المفضلة بالطرقة التى تعلمها من أجداده. فقد أمكن إثارته بحافز كهربائى حتى يفرز سائله الثمين. ماء الحياة الذى يستخدم لتلقيح مئات الأبقار بالحقن لإنجاب جيل مهجن تجرى فى عروقه دماء الثور النبيل الأصل وأنجبت الأبقار بعد حمل بدون لذة ولا شبق ولا رغبة ولا مداعبة. حمل بالأكراه حرم البقرة حتى من لذة الاستمتاع. والإثارة بالامتناع وقد تم إنتاج أربعة أجيال من الأبقار والعجول من منويات مجمدة لثور واحد. فهل يمكن إنتاج البشر لا تزاوجيا؟ فى بنك - «أدانت» أى - «البويضة المجمدة» باليونانية - بولاية مانهاتن وفى غرفة الإستقبال فى نفس البنك تستقبل الواهب «راهبات العلم» بوجه حان يقنعنه أن الأبوة أكبر من مجرد قذف النطفة داخل رحم الزوجة. بل هى علاقة أعمق وأشمل تبدأ بعد قذف النطفة لا قبلها. وأنه عليه أن اتحلى بروح رياضية. فإذا لم يفلحن فى تفريغة تماما من الإنسانية وإقناعه أن هذا أفضل من التبنى ورغم أنه ينتمى بنسبة ٥٠٪ إلى أمة والصف الآخر متفق عليه بالتراضى فإنه يجب علينا عذره لأنه قد تعلم فى مدارس اللغات التى غسلت مخه وإستبعدت منه المناهج الرجعية القديمة والمفاهيم البالية عن الأبوة والبنوة ونقاء الدم الأسرى. بإيعاز من كبار المسئولين الذين يتحركون بالرموت كنترول. يتم فى «حجرة القذف» إستقبال كل واهب على وحدة بعد إثارته جنسيا وتجميع المادة الثمينة فى أنبوبة رفيعة بسمك القشة توضع داخل أنبوبة أخرى فى حجم مبسم السيجارة. يتم تجميد السائل المنوى بالنتروجين السائل تحت درجة حرارة ٣٢١ فهرنهايت ويتم شحن هذه الأنابيب فى حاويات مليئة بسائل الأكسجين إلى كل بقاع الأرض. «طائرات منوية أو المنويات الطائرة». وعلى كل أنبوبة بطاقة تحمل صفات

الواهب: طوله ووزنه وعمره ولون شعره وعينيه وسماته وقسمات وجهه إلى جانب الخلفية الدينية والتعليمية العرقية، ومواهبه الخاصة ووظيفة الحالية وحالته العصبية وطريقته فى الكتابة إذا كان أعسرا: إن أجنة الأبقار تنمو وتزدهر هذه الأيام فى أرحام الأرانب. فعلينا أن ندرس وبسرعة المضاعفات النفسية التى سيعانى منها الطفل الصغير إذا علم أنه عاش تسعة أشهر داخل رحم بقرة منطلقة فى المراعى الخضراء لا تدخن ولا تشرب الخمر بينما أمه الأصلية كانت مشغولة عنه بحفلاتها وسهراتها. لا حملت به ولا وضعته ولا أرضعته. إنها فقط باضته. أى وهبت بويضها إلى أم مرتزقة. فحملتها الأم البديلة مقابل أجر .

أنت أيها الإنسان بجلال قدرك جئت كلك من خلية واحدة. بويضة مخصبة. وفى جسمك نوعين فقط من الخلايا. خلايا جسدية لازمة لتعيش حتى تموت. وخلايا جنسية لازمة لتجديد شباب الكون. بزرع ذرية من صلبك فى رحم زوجتك. لتعيشا بعد الموت. تحت قناع آخر بأسم آخر لكما الحق فى إختياره.

الخلية الجسدية: أى خلية سواء التى فى طرف بنانك أو فى حلمه أذنك أو فى أمعاءك تحمل طاقما مزدوجا من الكروموزومات. تظل الجينات اللازمة لنمو وبقاء الكائن الحى ظاهرة دون كمون. وكأنها لازالت فى البويضة حديثة العهد باللقاح والخصوبة وتختفى باقى الجينات الخاملة خلف قناع، وتظل كامنة. الجينات التى تظل عاملة ظاهرة تختلف من خلية لأخرى حسب مكانها ووظيفتها ونوعها.

البويضة قبل الإخصاب تحتوى على نصف عدد الكروموزومات Haploid ولا تحصل على النصف الآخرDipoid إلا بعد الإخصاب. بعد إلتقاء رجل بإمرأة، قد يحدث إجتماعا على درجة كبيرة من الأهمية بين الحيوان المنوى الذى يحمل ١/٢ الحقيقة والبويضة التى تحمل النصف الآخر. لكن اليد وحدها لا تصفق أبدا، لكى تحدث الصفقه يجب أن تتم الصفقة. صفقة العمر حين يتحد نصفى الحقيقة فى خلية ملقحة واحدة ٢٣ كروموزوم أنثوى لا تعتبر حياة مثمرة أو ذات قيمة. كذلك ٢٣ كروموزوم ذكرى لا أهمية لها بالمرة وحدها المساواة بين الرجل والمرأة بدأت من هنا يساهمان معا بنفس القدر فى نشأة حياة جديدة ثم تتحمل الأم وحدها باقى التكاليف. هذه هى عظمة الأمومة الحياة لا علاقة لها بالنفخ ولا بالنفس مطلقا. الجنين يتشكل بأوامر الحاكم

بأمر الله وقلبه ينبض وجميع أعضائه وأجزائه وخلايا تنتظر حلول النفس لتكتمل المسيرة لا ضرورة لها قبل ذلك ولا استمرارية لحياة الجنين إلا إذا نزلت اليه النفس من المحل الأرفع . والبيضة المخصبة مثل البيضة التى تأكلها بها صفار وبياض. الصفار «النويسلة» هو الجزء المحتوى على الكيس الجنينى والبياض الذى يحيط بها هو البروتوبلازم. فماذا لو استبدلنا النويسلة بنواة أخرى تحمل العدد كاملا بدون زواج؟ هل يمكن أن نفعل هذا؟ نعم، بالحيلة والخداع. ندمر النويسلة بالأشعة فوق البنفسجية ثم نستبدلها بنواة خلية جسدية. يتم انتزاعها من أى جزء من جسد المرأة وليكن حلمة الأذن مثلا. ثم ندس هذه النواة فى البويضة بعد أن نثقب جدارها بإبرة. وَبمجرد إتمام ذلك يحصل رد فعل. تفاعل كيميائى متبادل بين البياض والصفار. فتصحو كافة الجينات التى كانت كامنة خاملة وتتصرف الخلية الجديدة كما لو كانت حديثة التخصيب.

وقد تم عمل نموذج حى لإثبات ذلك: بويضة الضفدع كبيرة جدا، قطرها ١/٨ بوصة يعادل ٧٥ ضعفا بالنسبة لبويضات الثدييات. بويضة المرأة بالنسبة للحيوان المنوى مثل سمكة البساريا «الهزيلة» للفرع العسلى. أجريت هذه التجربة على الضفدع أصبحت الخلية الجنسية تحمل طاقما وراثيا كاملا من الكروموزومات الذكرية والأنثوية كما لو أن عملية الإخصاب قد بدأت، وتم الفقس وخرجت إلى الحياة ضفدعة صغيرة تحمل نفس صفات واهب الخلية الجسدية وليس صفات الأم صاحبة البويضة التى تم تخصيبها صناعيا بعد تدمير نويسلتها. الإنسان ليس ضفدعة. والنفخ من الروح خاص بسيد الكائنات فقط.

والسؤال الآن. هل هذه الضفدعة حية؟ نعم! من أحياها؟ هل صنعها العالم فى معمله؟ أبدا! العالم لم يخلق هذه الضفدعة. لولا النواة ما كان خلق لولا الكتاب المكنون داخل النواة ما كانت حياة. إذن أمر الله المكنون داخل أى خلية حية هو الحياة. هو الروح. والجنين منذ لحظة الإخصاب فيه روح. كما يقول بابا روما والبابا شنودة تماما. والإعتداء عليه إعتداء على الحياة وليس على النفس لكن لايوجد نص واحد مطلقا يقول أن الروح تزهق أو الروح تموت أو تقتل أو تبعث أو تحضر أو تعذب. من هنا يتبين لنا الخطأ الجسيم الذى وقع فيه الفقهاء. المسلمون، وسوء فهمهم لمعنى النفخ. وتصورهم أن الذى ينفخ هو الروح. وأن الروح تنفخ فى الجنين بعد ١٢٠ يوما. تجاهلوا أن لفظ الروح

مذكر ومسبوق بحرف الجر «من» فهموا أنه لاحياة قبل ١٢٠ يوما. وأن الموت إزهاق للروح وقتل لها. لذلك حرموا الإجهاض بعد نفخ الروح.

﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾. الإسراء ٨٥

ظن الكثيرون أن الاجابة عن هذا السؤال مستحيلة لأن الروح أمر لا يخصهم ولا علاقة لهم به لأن معلوماتهم قليلة. واستنتج السلف أن هذا الباب من أبواب المعرفة مقفول بأمر إلهى. موقفهم هذا كان مقنعا لهم ولمعاصريهم حسب الأرضية المعرفية السائدة وقتئذ. ستعرف حالا أن الروح هو سر الحياة وأن علام الغيوب عالم الغيب والشهادة. شهادة الحاضر وغيب الماضى والمستقبل أستنسخ من كتاب العلم الأزلى «الكتاب المبين»، واختار من كتاب القدر الأعلى (الإمام المبين)، واستخرج من كتب القدر (اللوح المحفوظ) دستورا مختصرا أو برنامجا شفره حيَّة ليصور به فى الأرحام المخلوق الذى يرده كيف يشاء. رحم النواة قبل أن تصير شجرة والنطفة قبل أن تتحول إلى جنين والبيضة قبل أن تصير كتكوتا والحبة قبل أن تنمو إلى سنبلة كل هذه الأوامر الإلهية مكتوبة فى الكتاب المكنون. ماكتب فيه هو من أمر ربى. هو الروح. من أمر ربى مثل من فضل ربى. ليس كل أمره ولا كل فضله. له أوامر أخرى لشئون أخرى.

فذلكة لغوية

ما الفرق بين الإله والرب؟ ﴿قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس...﴾

الأب هو رب الأسرة. إذا كان عندك ثلاثة أولاد. الأول مؤمن يطيعك والثانى علمانى لا يطيعك ولايعصيك والثالث ملحد لايعترف بك أصلا. فهل مواقف الأولاد الثلاثة يغير من حقيقة أنك أبوهم؟ إذا كنت متزوجا من أربعة، الأولى تشتهيها والثانية تشتهيك والثالثة تكرهها وتكرهك والرابعة لا شئ يرغبك فيها أو ينفرك منها، فهل هذه المشاعر المختلفة تغير من حقيقة أنهن زوجاتك وأنك بفلهن أو بعلهن، رضين أم أبين؟ الربوبية علاقة صارمة لا تبديل فيها. ما وراء الوعى الإنسانى. قوانين الفزياء والكيمياء والجاذبية هى قوانين الربوبية. قوانين صارمة تعمل خارج الوعى الإنسانى. بالنسبة لهذه القوانين، وجود الإنسان مثل عدمه. فالله رب الناس مؤمنهم وكافرهم ورب الشجر والسموات والأرض. شاءوا أم أبوا. عرفوا أم لم يعرفوا. علاقة صارمة بين الرب وكل

مخلوقاته. أما الألوهيه فهى اعتراف من العاقل فقط بالله وبوحدانيته وبأوامره. خطاب الألوهيه فى القرآن موجه للعقل فقط. الربوبية تسبق الألوهية. ﴿قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس﴾ قبل وجود العقل والعاقل لا توجد ألوهية. لذلك لم يقل الله أبدا «أله السموات والأرض» بل قال «رب السموات والأرض» «ورب العالمين». كل أوامر الله ونواهيه جاءت فى «أم الكتاب». الرسالة. كتاب الالوهية. وكل القوانين الموضوعية الصارمة جاءت فى «القرآن». كتاب النبوة. لم يطلب من الناس أبدا أن يقولوا «لا رب إلا الله» بل طلب منهم الشهادة بأنه «لا إله إلا الله» لأن الخالق ربهم شاءوا أم أبوا. لا يستطيعوا أن يتحدوه فى ربوبيته. الله لم يطلب من أحد الإعتراف بربوبيته. كل الرسالات جاءت من أجل الألوهية لا من أجل الربوبية. من أجل أن يعترف العاقل بأن الله هو إلهه. فى خطاب الرسل إلى أقوامهم كانت الألوهيه هى العمود الفقرى للخطاب. فالله هو رب محمد ورب أبى لهب. إله محمد لكنه ليس إله أبى لهب. لأن أبى لهب إتخذ إلها غيره. والأن أنظر إلى الفرق الدقيق بين نهايتى الايتين التاليتين:

إن الذين يتلون «كتاب الله» وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور فاطر ٢٩ هذه الآية من كتاب الألوهية (كتاب الله)«وأتل ما أوحى إليك من «كتاب ربك» لا مبدل لكلماته «ولن تجد من دونه ماتحدا» الكهف ٤٧. هذه الآية من كتاب الربوبية «كتاب ربك» أنظر الفرق الكبير الآية الأولى فيها رجاء (يرجون) والثانية فيها حتمية (لن تجد).

وهذه هى ثنائيات كتاب الله المقدس. المحكم والمتشابه. كتاب الله المكنون. (الإختبار والحتمية). القرآن «نور» والقرآن «روح» كيف؟

الواو فى نور وروح ليست من صلب الكلمة

أما القصص القرآنى فهو ليس إلا تفاعل الإنسان مع قوانين الربوبية فى النبوات وأحكام الألوهية فى الرسالات. إن القصص القرآنى يتكرر فى كل زمان. ففرعون هو حاكم طغى فى الأرض. قارون هو كل من أنعم الله عليه فنسب هذه النعمة إلى نفسه وعصى الله وقصة يوسف هى قصة كل إخوة حقدوا على أخ لهم وتآمروا عليه. وقصة أهل الكهف وغيرها من القصص القرآنى كلها ما عدا قصة واحدة لم ولن تتكرر هى

حكاية العذراء مريم والمسيح عيسى عليهما السلام.

البقرة ٨٧: ﴿وآتينا عيسى أبن مريم البينات وأبدناه بروح القدس﴾.

البقرة ٢٥٣:﴿وآتينا عيسى أبن مريم البينات وأيدناه بروح القدس﴾.

النساء ١٧١: ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾.

المائدة ١١٣: ﴿أذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذا أيدتك بروح القدس﴾.

النحل ١٠٢: ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا﴾.

الشعراء ١٩٣: ﴿نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين﴾.

النحل ٢: ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده﴾.

غافر ١٥: ﴿يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق﴾.

هذه الآية معناها الصريح أنه يلقى أمرا (خاصا) على «عبد» بالذات هذا العبد حين ألقى إليه الأمر الإلهى كان حيا بفضل أمر (عام) أودعه فى كل الكائنات الحية.

المجادلة ٢٢: ﴿أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾.

المعراج ٤: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم مقداره خمسين ألف سنة﴾.

النباء ٣٨: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفا﴾.

القدر ٤: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بأذن ربهم من كل أمر﴾.

الرحمن ١٢: ﴿والحب ذو العصف والريحان﴾.

الواقعة ٨٩: ﴿فأما إن كان من المقربيين. فروح وريحان وجنة نعيم﴾.

ذكر الريحان مرة أخرى الرحمن ١٢ فى هاتين الآيتين ترجمت «الريحان» على أنها النبات الذى له رائحة جميلة. أو الجمال الرمزى لحدائق الجنة. هذا لا علاقة له مطلقا بالمعنى العميق المقصود.

النفس بالإنجليزية Soul الروح Spiri

(هناك خلط أيضاً فى كل اللغات)

من أروع الكتب التى قرأتها الصادرة سنة ٩٩ عن لفظ المخ. سمى العلماء «النفس» لفز Self Soul Spirit ولا وجود عندهم لكلمة الروح بالمعنى الذى نفهمه. والآن أنظر إلى قول النبى «والذى نفس محمد بيده» وقول مصعب أبن عمير عندما هددته والدته أن تقتل نفسها إذا لم يرجع عن دين محمد. فقال (والله لو أن لك مائة نفس فخرجت نفسا عن نفس) من الخطأ القول الفاتحة على روح النبى أو على روح المتوفى الصحيح أن تقول الفاتحة لنفس النبى أو المتوفى.

أن كلية الطب تسمى كلية الطب البشرى لأنها تدرس الإنسان من حيث كونه بشرا (شعروجلد وعيون وجهاز عصبى وهضمى وحركى وتناسلى وبولى ودموى «قلب ودورة دم») أى تدرسه كائنا حيا فقط ومن هنا يتشابه الإنسان وبقية المخلوقات الحية كالقرود والبقر والأبل. كلها كائنات حية. هناك علوم تسمى العلوم الإنسانية (الشريعة والقانون والسياسة والأخلاق والآداب والفنون والفلسفة والتاريخ) وهناك االعلوم الطبيعية (الفيزياء والكيمياء والجيولوجيا). العلوم الإنسانية هى التى تنتفى بغياب الإنسان. بدون الإنسان توجد الطبيعة والشمس والماء والهواء والبحار والمجرات والتفاعلات الكيميائية والذرة والنووية، وبدونه لا يوجد فقه ولا قانون ولا فنون ما يميز الإنسان هو وجود العقل الذى هو أعلى ملكات النفس عند العاقل والمجنون توجد فى الكتاب المكنون الحقائق العلمية مسجلة «المعرفة» وتوجد الأوامر والنواهى «التشريع» لكنه لابد أن يمتلك الأرضية العقلية حتى يستطيع أن يستوعب الأمر والنهى ويفهم الفرق بين الخير والشر.

وحدة بناء الكائن الحى

إن الخلية ليست تكوينا بسيطا بحيث يمكن الإحاطة بأسرارها بسهولة وسرعة تستطيع أن تشبه كل خلية على حدة بمدينة كبيرة محاطة بأسوار عالية تجرى فى هذه المدينة كل فعاليات البلدية والفاعلية الإدارية بنظام دقيق ودون خلل. مئات من محطات الطاقة والقوة ونظم النقل والتوصيل وغرف الإدارة وشبكات المخابرات والاتصالات ومراكز توزيع المواد الخام والأغذية وتشغيلات التنظيف ورمى الفضلات. كل هذا يعمل

معا دون أن تضايق أحدى هذه الوظائف الآخرى بل على العكس تساعدها. الدخول إلى هذه المدينة والخروج منها تحت مراقبة وسيطرة دقيقة مستمرة. فالأبواب تفتح أمام المرغوب فيه أما غير المطلوب فلا يمكنه أن يدخل. هناك قوائم إنتظار وقوائم الممنوعين من الدخول أو الخروج. هذه المدينة ليست معزولة عن العالم الخارجى والداخلى. فالخلية فى شعر رأسك لها علاقة بالخلية التى فى قدميك. قد تصنع خلية فى مكان ما بمخك أو نخاع عظامك مادة لصالح خلية أخرى فى مكان آخر بعيد، لا علاقة له بالمكان الأول. تصل المعلومة دون أن تضل طريقها أبدا. الخلية الموجودة فى الرئة تعمل لإشباع حاجة الخلية الموجودة فى عينيك التى تقرأ ورأسك الذى يفكر وفمك الذى يشرب الأن كوبا من الشاى أو فنجان من القهوة أو يدخن سيجارة أو سيجارا أو ينفث دخان شيشته معلناً غضبه على الطريقة المملة التى أكتب بها. الخلاصة أنك لست إلا ٦٠,٠٠٠ مليار (ستون ألف مليار) خلية. الخلية الواحدة مدينة يحكمها نظام فائق وعلاقات وحياة إجتماعية ممتازة باهرة بين كل الخلايا.

بواسطة المجاهر الإلكترونية يمكننا تكبير الخلية ملايين المرات ونستطيع أن نراقب الأجهزة الراقية الرائعة التى تسبح فى (البروتوبلازم، السيتوبلازم) ويمكن أن نراقب كل جهاز على حدة وهو يعمل. نفحص تكوينه وكيفية عمله. لا يزال ما نجهله عن الحلية أكثر مما نعرفه عنها.

هل الصدفة يمكن أن تنشئ هذا المجتمع المثالى؟ الجاهل مغرور لأنه يقف خلف هذا الساتر ويتصور أن ظهور الحياة مجرد حادثة سعيدة. ولا يعلم أن إستمرار الحياة ليس أقل تعقيدا من بدأ الحياة. تسريب هذه الخرافة والإيهام بها ليس إلا مثل من يعثر على حدوة حصان ويعتقد أن المسألة إنتهت، الباقى غير مهم!! لم يبق سوى ثلاث حدوات وحصان واحد، فقط لا غير!! فإذا أسكره أو أذهله ما تنجزه الهندسة الوراثية الآن يتصور أنه يمكن تركيب أجنحة لبقرته أو عند كل من يتصور أن الرجولة إنتصاب وإعتصاب فإنه يأمل فى زرع عمودا فقريا لذكره فينتصب أبدا.

عندما تقرأ هذه السطور فإن آلاف المليارات من المحركات الكهربائية الصغيرة تدور فى عينيك لا تعرف السكون والراحة، مستمرة فى عملها وفعاليتها. فهى مراكزالطاقة فى الخلية التى توفر الطاقة وتدخرها «الميتكوكوندريا». والميتوكوندرريوم الواحد يحتوى

على ١٥ آلف قسم من أقسام التفاعل الكيماوى «الأنزيم» فى هذه الأقسام يتم إنتاج الطاقة الضرورية للقراءة والتنفس والتحدث بل ولرؤية الأحلام. وعلى الرغم من تعقد تركيبه وكونه شيئا دقيقا وعجيبا فإنه ليس أكمل وأفضل جهاز من أجهزة الخلية. كل إنزيم يمكنه أن ينتج مليار جزيئة فى الثانية الواحدة. كل إنزيم يعرف أين سيعمل وكيف سيفعل والفترة الزمنية المحددة له لإنجاز المهمة الموكولة إليه.

إننا فى عصر تفنن فى تصغير المكائن، بطارية بحجم حبة. آلة حاسبة بحجم دفتر الجيب أو ساعة اليد. ولكن هل نستطيع رص ٥ آلاف محرك كهربى على شريط طوله ٢سم فقط؟ مستحيل. إن الخلية فى عينيك التى تقرأ بها هذا الكتاب تلتقط الضوء فتحوله إلى إشارات كهربائية ثم ترسلها إلى دماغك حيث مركز القيادة والتفسير. الرؤية تتم عندما يكون هناك عدد كاف من الإشارات. مقدار الكهرباء التى تستهلكها. ٢٥ مليون خلية فى كل عين ليست كمية هينة. المحركات الكهربائية موزعة على الخلايا حسب الحاجة من حيث العدد والشكل ففى كل خلية قد توجد مئات أو آلاف من هذه المولدات. والتى تقوم بحرق السكر كمادة خام منتجة الكهرباء ومخلفة الماء مع ثانى أكسيد الكربون بصورة فضلات. وتجمع هذه الفضلات بنظام دقيق وتطرح خارج الخلية التى لايسمح لها أبدا أن تكون مستودعا للفضلات. لا مكان فى الخلية للعاطلين والمتسيبين واللاهين. الكل يعمل بأقصى طاقته ولا يتجاوز الحدود المرسومة له ولا يتخلف عن إنجاز عمله وتأدية وظيفته لحظة واحدة.

إذن ما هو الروح

الرد الذى كان مستحيلا أصبح الأن ممكنا. الحديث الشريف يقول أن الملك يأتى الجنين فينفخ فيه بعد ١٢٠ يوما من بدأ تكوينه. إذا فهمنا أن هذه هى نفخة الروح أو النفخة الواهبة للحياة فهذا معناه أنه قبل ١٢٠ يوما لم تكن هناك حياة ولا روح، وبالتالى فإن الإجهاض قبل النفخ ليس حراما. وهذا يتعارض تماما مع رأى الكهنة والعلماء والذى بناء عليه تم تحريم إجهاض الأجنة وإعتباره إعتداء على الروح. ومعناة أن الحيوان المنوى الدقيق الجميل، برأسه وجسمه وذيله ليس حيا. صحيح أنك تضحى بالملايين منه فى محاولة إثر أخرى لعل واحدا منهم فقط يصبح إبنك أو ابنتك. الواقع أن نفخة الروح لا

علاقة لها مطلقا بالحياة. فالحياة كانت موجودة قبل النفخ. والنفخ ليس نفخ الروح. بل من الروح. نسيان «من» هذه أدى إلى سوء فهم خطير. هناك فرق بين المادة الحية والكائن الحى. هناك فرق بين الكائن الحى العاقل وغير العاقل. الأول مكلف ومسئول، والثانى لا لوم عليه ولا تكليف له.

نفخ السر

النفس هى السر الإلهى، هى التى أنست خليفة الله. هى الأمانة التى حملها فأصبح إنسانا. الروح هو أمر الله الذى تجسد كتابا مكنونا يقرأه الراسخون فى العلم. والقرآن هو كلام الله الذى تجسد كتابا مبينا نتلوه ونقرأه ونرتله. وهذه ليست كما قلنا مترادفات. والدليل على أن هذا التصور والإهتمام به سليم تماما هو أنك يستحيل عليك أن تعلل ما يحدث الآن فى دنياالعلم والعلماء دون الألتفات إليه وتصوره ثم تصديقه. كان للهندسة الوراثية فضل الكشف عن هذا السر الغامض. من الذى رسم الخطة وأوحى الأمر ونظم الشفرة وسجلها فى كتاب دقيق مكتوب بحروف حيرها من عناصر هذه الأرض أو ترابها؟ من الذى يترجم هذه المعلومات وينفذ هذه الأوامر، فيتجسد مخلوقا جديدا؟ نسأل الفقهاء ربما أفادونا بشىء من علمهم.

الحاكم بأمر الله (الشفرة الوراثية)

الوراثة

رجل دين مسيحى إسمه «جوهان مندل» أو الأب جريجورى هو أول من كشف عن سر قوانين الوراثة. القوانين التى رآها مجسدة فى ألوان وزهور وحبوب وأوراق البازلاء:

زاوج بين ١٢٠٠ عينة، وبالصبر والثقة وبإستخدام المعادلات رأى الصفات الكامنة المحجوبة تظهر وأمكنه التنبؤ بصفات أخرى. معلومات مكتوبة داخل أى وكل خلية حية فى قاموس «ميكروفيلم». أليس هذا تجسيدا للوحدانية ودليلا على وحدة الخلق؟

عكف (لم يعتكف!) الراهب الأسترالى مندل على دراسة القوانين العامة للوراثة فى الكائنات الحية. وخلص إلى ضرورة وجود مادة عضوية تتولى نقل صفات الأجداد للأحفاد مع تعاقب الأجيال. تصور العلماء لفترة أن المادة الناقلة «المورثات» غير قابلة

للتغيير. إلى أن نجح خبير وراثة فى إحداث تغير بإستخدام أشعة. وأخيرا تم التوصل إلى مفتاح السر الغامض. السر فى النواة. فى الجدائل. ومفتاحه جزيئات الحامض النووى المجدول. وقام أثنين من علماء البيولوجيا ببناء نموذج مصغر لهذه المادة الواهبة للحياة. بدأ كدرجات سلم حلزونى يرتفع من الأرض حتى سقف المعمل. وإستخدما فى إنشائه أسلاك قوية وشرائح معدنية طويلة وعقد. هذه الدرجات يحيط بها دارابزين مزدوج من الناحيتين. هذا هو العمود الفقرى الكيميائى المتجانس الذى يتكرر فيه تتابع السكر والفوسفات، آلاف وأحيانا ملايين المرات. السكر ليس هو السكر الذى تضعه فى كوب الشاى. وإنما هو سكر أصفر. سكر ريبوز ينقصه الأكسجين. والفوسفات ليس أحادى بل ثلاثى ويحمل شحنة سالبة «حامض». أى أن العمود القوى مكون من السكر الحامض. صنعت كل درجة من درجات السلم من مادتين كيماويتين، قاعدتين منفصلتين عند الممشى ولا يربطهما إلا رابطة لاصقة هزيلة من الهيدروجين. وعند إنشطار الخلية ينشطر السلم الحلزونى عند هذه الرابطة الضعيفة ويبدأ كل نصف فى إستكمال نصف دينه. من بين شظايا عناصر الوراثة الهائمة حولهما يُكون نصفه الآخر. أى أن السلم الحلزونى وممشاه يقوم على أربع قوائم عضوية ترمز إلى العناصر الأساسية الأربعة لقاموس الوراثة. اللغة الأبجدية الإنجليزية مكونة من ٢٦ حرفا والعربية من ٢٨ حرفا والسلم الموسيقى مكون من سبع نغمات أما قاموس الوراثة فيتألف من ٤ حروف T.A.C.C على كل درجة يقترن بإحكام رقيق زوج من القواعد. قاعدة كبيرة مع قاعدة صغيرة. بين رابطة خفيفة لكنها تجعل اللولب ثابتا إلى حد معقول. قد يبدو هذا الموضوع معقدا بالنسبة للبعض ويراه قليل الأهمية، بينما يراه غيرهم مبسط بدرجة زائدة وتعوزه معلومات وتفصيلات أكثر يراها ذات أهمية قصوى.

أرجوا من البسطاء أن يحاولوا قدر الطاقة إستيعاب هذا التوضيح البسيط لموضوع بالغ الروعة والتعقيد لأنه سيعينهم على فهم ما يليه ويترتب عليه. كما أننى ألتمس من العلماء أن يرجعوا إلى المراجع التى أستشهد بها، وفيها سيجدون ما ينشدون من حقائق مكملة وتفاصيل شارحة. وعلى كل حال، فإن الكتاب الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها كتاب مبين صممه ونفذه وطبعه وأصدره وحفظه رب العالمين. هذا الأمر الإلهى صمد للتجربة الكونية صمودا بديعا. لم تنل منه ملايين السنين ولن ينال منه الزمن مهما طال. سبحان الله.

الجزيئات العملاقـة (عائلات كبيرة)

١ ـ البروتين: الأحماض الأمينية

٢ ـ الأحماض النووية: «رنا» و«دنا»

٣ ـ السكريات المتعدده

١ ـ ما هو الفرق بين البروتين المكون من الأحماض أمينية وبين الحاكم بأمر الله ورسوله المكونان من أحماض نووية؟

جزئيات البروتين تتكون من ٢٠ سلسلة جانبية مختلفة لذلك تعتبر قابلة للتحول مقارنة بجزئيات الأحماض النووية دنا ورنا التى تحتوى على ٤ أنواع فقط من المجاميع الجانبية. ولذلك أيضا نجد أن كل الأنزيمات تصنع من البروتين. قدرة هذه الإنزيمات على إقامة أو كسر الروابط الكيميائية هو الذى يسمح للخلايا أن تؤدى وظيفتها لكى تستمر الحياة لابد من حدوث تبادل دائم للمادة والطاقة مع البيئة المحيطة مما يستلزم إنتاج وتخليق الجزيئات العملاقة Macro Molecules داخل الخلية من مكونات كيميائية بسيطة. والبروتينات جزيئات عملاقة. أنت تعرف أن البروتين يؤكل ويهضم، ولكن يجب أن تعرف أنه يبنى ويهدم. ولكنك لا تعرف أن البروتين لا يستطيع وحده ذلك فأنه لا يكفى توفر المواد الخام وإنما يلزم أيضا إنتاج الإنزيمات (المحفزات) بكميات متناهية فى الصغر لتحرك التفاعل الكيميائى على أن تبقى هى بدون أدنى تغيير. المسئول عن هذا الإنتاج، وبالتالى عن بقاء الحياة هو الحمض النووى الريبوزى اللاأكسجينى. أيا كانت ثقافتك أو خلفيتك العلمية مهما تواضعت، فلابد من محاولة قراءة هذا الكتاب المكنون والتفاهم مع الإمام!! إمام الجزيئات!!

المكتوب على الجين لازم تشوفه العين: «كتاب حياتى ياعين»

الحمض النووى المسئول عن بقاء الحياة والفرد وإستمرار النوع والتطور والذى يتحكم فى كل صغيرة وكبيرة من الوظائف الحيوية فى كل الكائنات الحية التى تقرأ وتفهم نفس اللغة ذات الحروف الأربعة لنقل البيانات الوراثية. من أبسط الكائنات الحية إلى أعقدها ومسجل فيه ماضيك وحاضرك ومستقبلك. نفس الحامض، نفس الفكرة، نفس النظام،

لكل ما هو حى. فى الكائنات الحية البسيطة التى لا تحتوى على نواه يتصل «الحاكم بأمر الله» بمادة الخلية مباشره شريط واحد يكفى. أما فى الخلية النباتية والحيوانية فهو يتدخل بشكل غير مباشر. لأنه داخل النواة يفصله عن محتوى الخلية غشاء له مواصفات خاصة. النواة مغمورة فى سائل ومحاطة بغشاء رقيق. الأوامر تسرى من الحامض النووى الموجود فى النواة. ولكن يتدفق إليه أيضا تيارا من المعلومات من السائل المحيط بها. الإتصال متبادل والمعلومات لا تسير فى إتجاه واحد. ولكن يجب ضبط تدفق البيانات الكيماوية وترجمة للغة الحمض النووى إلى لغة البروتين «الصيغة التنفيذية» كن فيكون الفرق بين النص الهندسى الذى تسجل فيه اسرار العمارة البنائية والإنشائية والكهربائية وبين النص الربانى الموجود داخل كل خلية حية «نص تنفيذى». يصدر الأمر وينفذه طول عمر الكائن الحى

الرسالة والرسول

الرسالة تنقل بالشفرة من النواة إلى السيتوبلازم. بواسطة الرسول RNA الذى يسلمها لمساعدة الناقل R. N. A Tranfer ، ثم يتحطم. إذن كميته غير ثابتة وتختلف من خلية لآخرى ويتجدد بإستمرار خلال أدائه لدور الرسول الذى يحمل المعلومات. ويتوقف إنتاجه، إذا لم يعد لدى الجينات أى رسالة تبعث بها لينقلها.

إذا كنت لم تفقد بعد القابلية للقراءة والتفكير فإنه لا يسعك إلا الإندهاش والذهول أمام الإنجازات الهائلة التى تتم داخل النواه. بفضل الجزىء الحاكم بأمر الله. آلاف الجزيئات الموجودة فى جزئ أطول من قامة الإنسان. هذا الشريط قصير للغاية فى البكتريا يقاس بالمللى، ولكن يقاس بالمتر فى الخلية الإنسانية. إذا قمنا بتفكيك جميع هذه الجزيئات من جسم إنسان واحد وربطنا بعضها على شكل شريط لكان طوله أطول من المسافة بين الأرض والشمس ٤٠ مرة. لكن بطريقة إلهة تم جدلها وطيها ولويها ورصها وحشرها فى حجوم صغيرة جدا بحيث أن خلية واحدة تحتوى على الآلاف منها شريط رفيع للغاية مغزلى لولبى مزدوج فى كل خلية مسجل عليه كل المعلومات. من خلية واحدة فى طرف أبهامك يمكننا إستخراج نسخة مطابقة تماما من الكتاب المكنون « العقل الألكترونى» الذى يحتوى على جميع المعلومات التى تخصك أيها الإنسان البالغ.

لون عينيك. ثقل أو خفة دمك. بصمات أصابعك. رنة صوتك. وفى الخلايا الجنسية تتعاون وتتكامل البويضة والحيوان المنوى. لنقل عناصر الوراثة بأدق تفاصيلها. النمش على وجه أمك والصلع فى رأس أبيك. نفس الشئ لجميع الأحياء الاخرى. شكل الزهرة الزاهية ولونها وصوت البلبل وريشه. كل شئ مدون سلفا وموروث «محكم ومتشابه». «جبرى وإختيارى». ما هى فى تصورك كمية المعلومات المخزونة فى خلية واحدة ؟ أى خلية فى أى موقع من جسمك «بلى قادرين على أن نسوى بنانة». فى خلية واحدة من طرف بنانك توجد معلومات بقدر موسوعة عملاقة مؤلفة من ٤٦ مجلدا يتألف كل مجلد من ٢٠ ألف صَفحة. أى أن قلم القدر الألهى سجل فى هذه الموسوعة الضخمة نموذجا تاما بكل التفاصيل الدقيقة. بدأً من قمة رأسك إلى أخمص قدميك.تتطلب كتابة التعليمات اللازمة لبناء جسم الإنسان مليون صفحة. لقد تم الآن حل رموز صفحة واحدة لكنها تحكى لنا الطريقة التى يمكن أن نقرأ بها باقى الصفحات. إن أكبر موسوعة فى العالم، الموسوعة البريطانية تحتوى سنة ١٩٩٥ على أكثر من ٤٠ ألف صفحة. وتستطيع أن تجد فيها الخطوط العامة للمعلومات التى ترغب فى الحصول عليها فى أى فرع من فروع المعرفة. بينما الموسوعة التى فى أى خلية إنسانية يقرب عدد صفحاتها من المليون. لذلك فإن ترتيب المعلومات وتناسبها لا يمكن أن يحدث صدفة وتكوينها بهذا الشكل أبعد وأعمق بكثير من إحتمال ترتيب المعلومات فى الموسوعة البريطانية عن طريق الصدفة.

هناك بالفعل كنيسة فى كاليفورنيا تتلى فيها الشفرة الوراثية صباح كل أحد يقرأ من الكتاب المكنون، وفيه مخطط بناء الكائن البالغ. أى مجمل التعليمات اللازمة لصنع كافة بنياتة الجزيئية وفق برنامج صارم فى الزمان والمكان. غير أن الكيفية التى يتم بها تشغيل هذا البرنامج لا تزال مجهولة كلية. فى الغرب يتصورون أن «جنى لابلاس» Laplace هو وحده الذى ربما يستطيع أن يقرأ ما فى الكتاب المكنون ويستمع إلى أوامر الحاكم بأمر الله ونحن هنا نتصور أن هذا يستحيل إلا على الذى عنده علم الكتاب. هو وحده الذى سيكون قادرا إذا فحص البيضة الملقحة وتعضيها وبنياتها الجزئية، على وصف الكائن البالغ، أيا كان فرخة أو بقرة أو آدمى. غير أننا نجهل تماما أى الجزيئات يجب أن يفحصها إضافة إلى الجزئ الحاكم بأمر الله DNA وكذلك نجهل نوع الحساب الذى

سيستخدمه. ليكشف عن العلاقة بين الرسالة الوراثية Message genetique والبنيات الأولية والكود والسلاسل (البروتينات والأحماض الأمنية) وحلقات التنظيم، أى بإختصار كل منطق الوراثة Genome لأن كل هذا يعمل ببعد واحد فإن المعلومات التى نستطيع أن نقرأها هى فقط المكتوبة بسلاسل خطية (تحت وحدات «بالأسس» Sous unite. bases) هذا هو كل ما يستطيع الباحثون فى البيولوجيا الجزيئية أن يعرفوه. عالم ذى بعد واحد. عبر أن الجنين ينمو ويتطور فى عالم لا يعد ببساطة خطيا. فبنية المورثات ذات البعد الواحد تحدد إنتاج الطبقات الخلوية ذات البعدين، وهذه بدورها تنثنى بطريقة محددة الشكل خلايا الأعضاء بثلاثة أبعاد. وهذه الأجنة تعطى المتعضى شكله وخصائصه وسلوكه ذات الأبعاد الأربعة. الطريقة التى يحدث بها كل هذا لازالت لغزا. إن البيولوجيون يعرفون تفصيليا التشريح الجزيئى ليد الإنسان لكنهم يجهلون تماما الطريقة التى يملى بها المتعضى على نفسه التعليمات اللازمة لبناء هذه اليد واللغة التى يتكلمها من أجل تصميم إصبع والنهج الذى يستخدمه لنحت ظفر. وعدد المورثات التى تشترك فى هذا العمل والأفعال المتبادلة. إننا نجهل الأدوات التى يقدمها نمو وتطور الجنين على طريقة الحرفى الهاوى. وأشك أن أحدا سينتظر فى العالم الإسلامى بعد صلاة الجمعة ليسمع هذه «التلاوة المجردة» من «الكتاب المكنون» أو يجد فيها ما يثير إهتمامه.

نظام الحكم

يوجد عدد هائل من هذه الجزيئات المذهلة. الأئمة الحية. نوع لكل فرد. ولا غرابة فى إختلاف أنواعه بإختلاف الكائنات الحية. الأمام فى جسمى يختلف عن أمام جسم أخى إلا إذا كنا توأم متطابق. هذا الجزئ الوراثى الحلزونى العظيم من صفاته النظام والصمود. يدور حول نفسه ليستقيم. سلم ينقسم إلى شطرين TA. GC تندفع السينات والجيمات والثاءات إلى الألتفاف حول أنصاف الأزواج المنفصلة فإذا بالأنصاف تكتمل وإذا بالأزواج تتضاعف ويصبح الزوج زوجان والشريط شريطان دون خلل أو خطأ رغم الطوفان الهائل من بلايين الجزيئات المتفاعلة. بعد ذلك تلتف الأشرطة لتصبح حلزونية مرة أخرى «نظم خفية مطوية».

القواعد كلها يمينية. هذا البناء الذرى العجيب، ضفيرة كيميائية دقيقة يدور حول نفسه فى إتجاه واحد ثابت وموحد بالنسبة لكل المخلوقات. هكذا صُمم، لينطوى وليدور حول نفسه فى إتجاه واحد. يكتب حروف لغته وكلماته من اليمين إلى اليسار دليلا على عظمة من صممه. القواعد كلها يمينية. الأزواج اليسارية إختفت إلى الأبد من أكثر من ألفى مليون عام هذا الحامض النووى ليس موجودا فقط فى الكروموزومات أنه موجود أيضا فى الميتوكوندريا ومكونات خلوية أخرى. ولكن ما هو دور الحامض غير الكروموزومى؟ وكيف تنتقل المعلومات؟ كيف يتم نقل المعلومات وتنفيذ التعليمات وقراءة الشفرة؟ ولماذا كان هذا الجزئ مثاليا للنسخ؟

لأنه يمكن فصل السلسلتين بسهولة بطريقة بسيطة. فالروابط داخل كل سلسلة روابط قوية تحفظ تماسكها ومحصنة ضد الحرارة. بينما تلتصق السلسلتين سويا بروابط خفيفة يمكن فصلها دون كسر العمود الفقرى. زوج من القواعد كل زوج يتألف من قاعدة كبيرة مقترنة بإحكام مع قاعدة أصغر، الرابطة بين الأزواج ضعيفة فى حد ذاتها. الإثارة «تباعد بين السلسلتن فينفصل الزوجان ويفترقان. وبما أن السلسلتسن تتوافقان سويا بدقة فمن الممكن أن تعتبر كل منهما قالب للأخر ويتم النسخ بآلية مباشرة. تنفصل السلسلتان يتم الطلاق. ثم يحدث زواج فورى بدون إنتظار فترة العدة. وتعمل كل منهما كقالب تجمع سلسلة جديدة مستخدمة فى ذلك الخامات الأربعة. وعندما تتم العملية يصبح لدينا زوجان من السلاسل بدلا من زوج واحد وننتهى بلولبين بدلا من لوب واحد كل من هذين اللولبين يتألف من سلسلة قديمة وسلسلة حديثة التخلق. القديمة متوافقة تماما مع ضُرتها

لكى يكون الجزئ مثاليا للنسج. فإن زوجا من السلاسل يرقدان سويا متجاورين يلتف كل منهما حول الآخر لتكوين لولب مزدوج ويرتبطان عن طريق القواعد. يمكن تشبيه سلسلتى الحامض بعاشقين فى عناق حار يمكن فصلهما. لأن أيا كان عنف عناقهما فإن لكل منهما كيانا مستقلا ذاتيا أقوى من الروابط التى تضمهما معا للزوجة العربية ذمة مالية مستقلة ويلازمها اسم والدها حتى النهاية. ولأن طبيعة التفاعلات الكيماوية تجعل التوافق بين الجزيئات المتكاملة أسهل منه بين الجزئيات المتطابقة فلابد أن تكون المكونات غير منتظمة حتى تتوافق القواعد. توافق لا تطابق، تصور آلية بسيطة يقترن

فيها الشبيه بشبيهه بحيث يتم التطابق. تجد أن هذا مخالف لطبيعة التفاعلات الحيوية ويمكن تمثله بصورة فوتوغرافية مصحوبة بسالبها. تنتج الصورة السالبة صورة موجبة والعكس صحيح.

قاعدتى الإقتران: النظام والإنتظام

مجموعات الفوسفات «تحمل شحنة سلبية والفوسفات ليس أحادى بل ثلاثى ينفصل من هذه المجموعة إثنان فقط أثناء عملية البلمرة لتوفير طاقة التخليق. إذا عرفت تتابع القواعد على طول كل واحدة من السلسلتين يمكنك أن تعرف التتابع على السلسلة القرينة بإستخدام قاعدتى الإقتران A.T-GC أى أن البيانات مسجلة مرتين فإذا فسدت إحدى السلسلتين أمكن عندئذ إصلاحها. لا يمكن أصلاح ساعة دقيقة بإستخدام مطرقة الحداد وسندانه. لايمكن إجراء عملية جراحية دقيقة بسكين الجزار وساطوره، النظام واحد فى كل الكائنات أما الإنتظام أى الترتيب والتتابع فهو الذى يتحكم فيه هذا الجزئ، الإختلاف فى الترتيب هو الذى يحدد الفوارق بين الأنواع المختلفة. التتابعات المختلفة للقواعد الأربع تؤدى إلى إنتقاء إتحادات مختلفة مع الأحماض الأمنية العشرين التى تكون البروتينات. البروتينات تتباين تباينا عظيما فى العدد والنوع. لكل فصيلة من فصائل النبات والحيوان بروتيناتها الخاصة بها . ولكل بروتين جزيئاتة الخاصة به والمميزة له. أبسط الأحياء يحتاج إلى ٢٣٩ نوعا من البروتينات لكى يعيش. أبسط بكتريا Mycoplasma Hominis تحتوى على ٦ أنواع من البروتينات.

النسخ والطباعة

نقارن الآن آلية طباعة هذا الكتاب الذى نقرأه الآن مع آلية نسخ الكتاب المبين. كل فقرة من الكتاب الموجود فى أى خلية جسدية أو جنسية تتألف من عدة سطور مجهزة للطباعة.كل حرف من مجموعة الحروف فى المطبعة مكون من، جزء قياسى (موجود فى كل الحروف) داخل أخدود يبقيه فى مكانه. ومن جزء آخر خاص به يميزه عن غيره. بعد هذا لا يوجد أى فرق بين النسخ والطباعة. الحروف المطبوعة على الورقة هى «صورة المرآة» لحروف المطبعة وليست «الصورة المكملة» لها. والأهم من ذلك أن السطر الناتج فى المطبعة لا يمكن إعادته ثانية إلى نفس الماكينة لينتج حروف المطبعة. إن المطابع تنتج

آلاف من نسخ الجرائد ولكن لا يعاد نسخها إلى حروف طباعة. نسخ الحاكم بأمر الله ليس كذلك. إنه أشبه بقطعة من النحت الباز صنعت بإستخدام قوالب. يمكن أن تستخدم القطعة المنسوخة نفسها فى إنتاج قوالب أخرى. النسخ يتطلب عشر شروط:

١ ـ لولب مزدوج يمكن فصل سلسلتيه.

٢ ـ مصدر للمواد الخام. جزئ سكر ريبوز ملتصق بجزئ فوسفات حامض. والقواعد الأربعة المتصلة بالسكر. هذا الجزئ الثلاثى يسمى «النواتيده». مكون من سكر + فوسفات + قواعد. أى (حامض + قاعدة)

٣ ـ إنزيم حافز يقوم بأسراع التخليق ويجعله أكثر دقة.

٤ ـ طول البيانات الوراثية يتطلب الثبات. اللوح المحفوظ. يقوم بمهمة الناسخ الدقيق.

٥ ـ ألا تكون العملية بطيئة جدا.

٦ ـ الجزئ الحافظ المعلومات لابد أن يكون كبيرا. حتى يمكن أن يتضمن المعلومات بإستخدام المبدأ التوافقى.

٧ ـ لابد أن يكون الجزئ فى حالة صلبة وفى صورة مصغرة جدا ويسبح فى سائل. ولأن ذرة الكربون تتفوق على الذرات كلها فى الترابط مع غيرها ولأن جزئ الماء هو أكثر الجزيئات الكونية وجودا فى الحالة السائلة فليس من المستغرب أن يكون «محلول الحياة» مركب من الماء والكربون.

٨ ـ لابد أن تكون البيانات ميسرة للنسخ الدقيق. عملية النسخ ستكون أصعب لو كان الحاكم بأمر الله والمنفذ لإرادته ليس خيوطا طويلة بل لوحة منبسطة أو تراكيبا ثلاثية الأبعاد، قواعد الجزئ لها تتابع مكمل. إذا حاولنا تجنب إستخدام هذا القدر الضئيل من التوافقات الرباعية ستصبح آلية النسخ أكثر صعوبة. كما هو الحال فى طباعة اللغة الصينية التى تحوى آلاف الوحدات المختلفة.

٩ ـ التخليق يجرى فى إتجاه واحد ولأن السلسلتان تجريان فى إتجاهين متضادين فإن التخليق يوجه إلى الأمام فى سلسلة وإلى الخلف فى الأخرى.

١٠ - الشئ الحاسم فى النسخ هو كون الجزئ لولبا مزدوجا كضمان ضد التلف لأن المادة الوراثية ليست أحيانا إلا مجرد خيط واحد قصير لا يحتاج لسلسلة أخرى (الفيروسات) إنما سر النسخ يكمن فى الهندسة الأنيقة التى أساسها «قاعدتى الإقتران» A مع Tمع G مع C

إن آلية التخليق البيولوجية صعبة الفهم. لكن ليس هناك ما يمنعك من تصور هذا الكمال وهذه الدقة. تتم فى بعض الأجزاء عملية التخليق قبل أن تبدأ عملية الفصل فى الأجزاء البعيدة. هناك إنزيمات وظيفتها فك اللولب المزدوج وأخرى تصنع ثلما فى العمود لتسمح للسلسلة أن تدور حول الأخرى، ثم تلحم السلسلة المكسورة مرة أخرى.

لا يلزم أن يجهد القارئ نفسه ليعرف أن بكل خلية حية «أدوات وعدة» تشكل وتعيد تشكيل الجزيئات العضوية لكى توفر المادة الخام لخطوط التجميع. وتوفر أيضا الجزيئات المطلوبة لبناء هيكل المصنع ولتزويده بالطاقة ولتخليصه من النفايات ومهام أخرى كثيرة معقدة. كل هذا التعقيد تطور عن شئ أكثر بساطة. هل هذا «الكمبيوتر الحى» خلق بالصدفة؟ أجب يا من كلما زاد علمه ضاق صدره وتاه عقله.

لابد من شفرة وراثية. لتربط الأحماض النووية ذات الحروف الأربعة بلغة البروتينات ذات الحروف العشرين حل الشفرة الوراثية كان واحدا من أهم الكشوف البيولوجية. وهى تشبه من ناحية المبدأ شفرة «مورس» المستخدمة فى إرسال البرقيات. وقد آثرت أن يحتوى كتابى على هذا الجدول البسيط النموذجى الذى ربما إحتاج فهمه إلى لحظة أو إلى وقت طويل لن تضيعه أبدا، إذا ثابرت وصبرت .

كل حمض من الأحماض الأمنية العشرين يشار إليه بالأحرف الأولى. وهذه هى أسماؤها أبجديا

Ala. Arg. Asn. Asp. Cys. Gln. Glu. Gly. His. Ileu. Aeu. Lys. Met. Pre. Pro. Ser. Thr. Trp. Tyr. Pel. Val.

أمر واحد نفس الأمر أنتج كل أشكال الحياة من نبات وحيوان وإنسان. ومهما طالت حيوات هذه الكائنات أو قصرت فإن الأمر لا يفنى أبداً يعود إلى الأرض لتطيعه لخلق آخر أو نشأة أخرى.

القواعد الأربعة « لدنا » يشار إليها بالحروف الأولى: GACT

U: Uracil - C: Cytosine- A: Adenine- G: Guanine.t.lhymine.

ما معنى كودون؟

كل ثلاثية من ثلاثيات القواعد تقابل حمضا أمنيا فيما عدا ٣ ثلاثيات تشيران إلى إنتهاء السلسلة البوليببتيدية. الثلاثيات التى تستطيع أن تنتهى السلسلة هى الأحماض الأمينية UGA–UAA–UAG طالق بالثلاثة

The three treplets that can Terminate the polypeptide chain

الأولى ↓ / الثانية →	U□ ↓	CΔ ↓	AO ↓	G● ↓	الثالثة
□ U	١١١	SER SER SER SER	Ø Ø	Ø	U□ CΔ AO G●
Δ C	LEU LEU LEU LEU	PRO PRO PRO PRO	٢٢٢ ←	ARG ARG ARG ARG	U□ CΔ AO G●
O A		THR THR THR THR	٣٣٣		U□ CΔ AO G●
● G	VAL VAL VAL VAL	ALA ALA ALA ALA	٤٤٤ ←	GLY GLY GLY GLY	U□ CΔ AO G●

ليس من المتوقع أن تهتم بمثل هذا الجدول لكنك بالقطع تريد أن تعرف كيف أن أمراً واحداً «كن» أحال الجماد إلى الحياة. أحال الصخر إلى «ناقة صالح». كيف أن «نوره» كلمة من ٤ حروف استحال إلى أمر من ٤ حروف TAGC وأصبح هو الحاكم بأمره المتربع على عرش النواة فى كل خلية حية.

ما معنى ١١١ □□□ ؟.. ٣ مرات بوراسيل.

- ما معنى ٢٢٢ △△△ ؟.. ٣ مرات سيتوزين.

- ما معنى ٣٣٣ OOO ؟.. ٣ مرات أدينين.

- ما معنى ٤٤٤ ●●● ؟.. ٣ مرات جوانين.

- ما معنى Ø؟.. هذه هى الأحماض الأمينية الآمرة بالتوقف. إلى هنا قف أو من هنا ابدأ.

٢ - ما العلاقة بين الحاكم بأمر الله وبين رسوله الأمين الصديق؟

٣ - كيف يصدر الحاكم تعليماته وكيف ينقلها رسوله إلى الجهة المختصة؟

فى كل خلية حية إذا فتحنا القاموس الوراثى تجد أن الرسول يشبه الحاكم مع الفروق التالية.

١ - جزئ الرسول شريط ذو خيط واحد ليس مزدوجا. جزيئات رنا النموذجية وحيدة اللولب لكن يمكن للرسول أن يشكل لولبا مزدوجا يشابه ولا يطابق اللرلب المزدوج للحاكم كما يمكنه أيضا أن يشكل لولبا مزدوجا هجينا أحد سلسلتيه حاكم والأخرى رسول.

٢ - الرسول يستخدم لغة الحاكم دائما ولكن بلهجة مختلفة.

(أ) السكر فى الرسول، ريبوزى عادى H وليس OH

(ب) ٣ من القواعد الأربع مطابقة. أما الرابعة وهى اليوراسيل UCACIL فهى قريبة لصيقة. فلها مجموعة H بدلا من CH3

إذن القاعدة A التى لابد أن تقترن مع القاعدة T يمكن أن تقترن أيضا بالقاعدة U

النسخ والتخليق: نسخ الحكم وتنفيذه

يمكن نسخ أجزاء قصيرة من الحكم. جملة. فقرة. كلمة، فى أى وقت بعينه على جزيئات الرسول ذات الخيط الواحد لتستخدمها الخلية كنسج عاملة. بعضها يستخدم لأغراض بنائية لكن معظمها يستخدم كرسول لنقل تعليمات تخليق البروتين. عملية النسخ «مباشرة» لا تحتاج إلا إلى أنزيم. لكن عملية تخليق البروتين. أكثر صعوبة لأنها غير مباشرة!

تقتضى ترجمة لغة الرسول ذات الحروف الأربعة إلى لغة البروتين ذات العشرين حرفا.

جزئ البروتين ٢٠ سلسلة جانبية مختلفة، بعضها نشيط نسبيا من الناحية الكميائية وهى تقوم بكل العمل لكنها لا تنسخ نفسها. جزيئا الحامض النووى «دنا ورنا» يستطيعان أن يفعلا ما لا تستطيعه البروتينات. أنهما جزيئان قليلا الفائدة بالنسبة للأعمال القياسية الملحة إنهما مهيئان أصلا للتكاثر ولذلك يسميا الشقراران الصامتان فى عالم الجزيئات.

الأمر العجيب أن كل خلية حيوانية أو نباتية أو ميكروبيية تحتوى على تكوينات جزيئية معقدة تسمى ريبوزمات. يقفز الريبوزوم فوق الرسول ويتجول فوقه ويقرأ تتابع قواعده فينظم الأحماض الأمينية فى شكل خيطى. سلسلة بوليبتيدية تطوى على نفسها عندما تتم وتصبح بروتينا. إذن خط التجمع كان موجودا قبل هنرى فورد ببضعة ملاين من السنين.

إن الذى يصنع نموذجا أو آله تخلق مثلها أو افضل منها لهو أحذق وأقدر وأحكم من الذى يصنع آلة تقتصر على العمل المقصود منها ولاتتعداه.

الخط الريانى لا ينتج نوعا واحدا. موديلا واحدا. بل كثيرا من البروتينات والمختلفة عالية التخصص فى ذات الوقت بسرعة البرق.

والآن إذا أردت أن تفهم التطور وتستوعب قضيته لابد أن تسأل ما هى الكروموزمات؟ ولماذا سميت الصبغات؟ لأنها تتلون أى تصبغ فى اللحظة التى تبدأ الخلية فيها بالإنقسام. فى الكائنات التى لديها جهاز تناسلى تكون مرتبة فى أزواج مرقمة، الأكبر

فالأصغر. فى الإنسان: الأكبر هو رقم ١ والأصغر هو رقم ٢٢ هذا التوزيع بالغ الأهمية لأنه يحفظ العدد وبالتالى النوع. نفس العدد فى النوع الواحد. من الممكن أحيانا أن يختلف العدد داخل النوع الواحد. بعض القوارض (الجربوع) JARBOAE فى السنغال للذكر ٣٧ والأنثى ٣٦ وأحيانا الذكر ٢٣ والأنثى ٢٢ والمجموعتان متشابهتان تماما تحملان نفس الجينات، إلا أنها لا تتناسل فيما بينها. الجر بوع يحترم أصله. نفسه عزيزة عليه.

وزن المادة الوراثية التى تعطى الأوامر بالتشكيل أقل من وزن نقطة فوق الحرف نون ومع ذلك فستحمل ٨٠٠٠ مليون شفرة لو ترجمت بلغتنا لأعطتنا مكتبة يُفنى المرء عمره لو إستمر فى قراءتها آناء الليل وأطراف النهار.

أما من ناحية الجنس فهناك واحد منها فقط له دور فى تحديد المراد، ذكر أم أنثى؟ وهو موجود عند الذكر XY والأنثى XX. أى أن الذكر هو المسئول عن تحديد جنس خلقته. فالحيوان المنوى قسمان قسم ذكر وقسم انثى متساويان تماما وهذا هو السبب أن عدد البنين هو نفس عدد البنات. وقد حفظت هذا التوازن منذ البداية. والآن بدأ الحمقى يتلاعبون بالتوازن.

لماذا تصيب بعض الأمراض الذكور دون الإناث مع أن الخطأ الوراثى تحمله الإناث أيضا؟ لأن هذه الطفرة المؤذية مرتبطة بالجنس وتؤثر فى الكروزوم X والأنثى يحميها ال ـ X الثانى وأنت لا تحمل إلا X وحيدة.

هل يمكن تصور أشكال مهجنة من نوعين مختلفين؟ أمكن تهجين الكرنب caddish Cabbage. الشكل الجديد يضم كروموزومات كلا النباتين. معظم الأشكال المهجنة عقيم. كالبغل من تزاوج الحصان بالحمار. فهل يمكن إنتاج «فاروتة» حيوان أليف جديد أبوه فار وأمه قطة؟

جزئ الحامض النووى مقسم إلى قطع دائرية رقائق هى الجينات. والجين هو أصغر جزء فى الجزئ له القدرة على الحفز أو إحداث صفات دائمة. وتؤدى الجينات عدة وظائف مختلفة. تعديل خواص الجزيئات: تحميض اللبن ـ تعفن الخشب ـ إحتراق الفحم ـ أمثلة لأنواع جديدة من الجزيئات المتكونة من جزيئات قديمة. هو النشاط

البيوكيميائى الذى يؤثر فى الطريقة التى تعمل بها الخلية. الجزيئات المكونة للطعام الذى نأكله تتحول إلى أنواع أخرى لإطلاق الطاقة. الهواء الذ نتنفسه يحتوى على جزيئات أكسجين أكثر مما يحتويه هواء الزفير، أين ذهب هذا الأكسجين؟ الزفير يحمل جزيئات ثانى أكسيد أكثر مما يحتويه الهواء الذى نستنشقه، من أين هذا الكربون؟

وظائف الجينات

منذ النشأة الأولى، والجينات مسئولة عن الوظائف الأساسية التى تميز «الشعبة». هذه الجينات بعينها كانت ومازال تعمل من البداية وحتى الأن. ومع سير التطور، ظهرت «الطائفة». «الرتبة». الفصيلة. «الجنس». فالنوع. تدخلت الجينات بشكل متتابع ومحدد لإيجاد كل واحدة من خصائص أوالصفات الأساسية التى تميز الأطوار المختلفة. هل الجينات التى أوجدت أعضاء كاملة النمو ثم لعبت دورا فى تطور نوعها لازالت موجودة حتى اليوم رغم أن الأعضاء البدائية أصبحت آثارا؟ نعم، لازالت موجودة ولا يعنى هذا أنها قادرة على إن تثير أو تحفر تكوين العضو بالكامل. مجرد ذكريات فقط داخلك كل من خلق قبلك ومن أجلك دليل حى على أصلك. الفيروس فى لعاب كلب مسعور يوقظ الكلب الكامن فيك فتصاب بداء الكلب وتنبح. والفكر الجارح قد يوقظ فيك كل صفات الحيوانات المؤذية. فحيح الأفعى عواء الذئب غدر النمر ويصبح فكك مفترساً.

نشوء الطفرات Mutagenesis ما معنى الطفرة؟

أى تغيير فى تركيب الحامض النووى لخلايا التكاثر يسبب تغيير فى الشفرة الوراثية فتظهر صفة جديدة فى الفرد تنتقل منه إلى خلفه «سلالته» سواء كان حيوانا أو نباتا أو حتى أدنى شكل من أشكال الحياة البدائية. هذه التغيرات الطفرات mutations يكمن فيها سر وجود هذه الأنواع الهائلة من الكائنات الحية ظهرت متعاقبة وبشكل متتابع محدد وبتناسق زمنى دقيق.

دور الجينات فى التطور

علماء الوراثة يلاحظون التباين بين سكان العالم فى الوقت الحاضر (الإختلافات الوراثية). علماء الإحاثة يولون وجههم شطر الماضى ويدرسون أحداثه وآثاره. لماذا أنا

مختلف عن كل الناس؟ لماذا أنا أقل أو أكثر شبها بوالدى أو أجدادى؟ لماذا تنتقل الملامح الأسرية عبر الأجيال؟ لأن الطفرة المحايدة «غير المرضية» هى التى أمدتنى بهذه الإختلافات التى ميزتنى دون أن أتجاوز النوع وأظل محتفظا بصفاته. قد تبدو ظاهرة الطفرة للوهلة الأولى بسيطة تماما. وقد ينسب إليها كل التغيرات الوراثية التى تراكمت عبر الأجيال المتتالية مما أدى إلى تطور الكائنات الحية.

التطور هو إضطراد التحول على نطاق واسع جدا وبطئ جدا وبنظام صارم جدا ملايين السنين تلزم لتتخلص بعض الزواحف التى تحولت إلى ثدييات من ملامحها وبعض وظائفها. هل هذه التغييرات تحدث عفوية؟ أم أنها تحدث وفق تتابع زمنى منضبط؟ إنها تحدث فى اللحظة المناسبة تماما مما يمكن أن يؤدى إلى إضافة أو ضمور أعضاء أو أحداث تغير فى وظائف بعينها. إذا كان للتطفر دور فعال فى عملية التطور فلماذا بقيت «أنواع كل العصور» PANchronic مثل الأبوسوم وبعض ملوك السراطين King Crabs? هل لأنها تعيش فى بيئات مغلقة فى أعماق البحار أو الكهوف؟ لكن الصرصور موجود فى كل مكان. منذ الحقبة الأولى Primary Era فلماذا لم يتطور؟ ما معنى الصدفة؟

السبب الذى يدفع الناس إلى. إعتبار هذا التغيير عفويا أى بالصدفة هو أنه لا يمكن التنبؤ به كما لا يعرف المكان الذى يصيبه ولا يعرف أين ومتى ولماذا حدث.

أولاً: هل يستطيع بليون قرد يدقون على بليون آلة كاتبة طول عمر الكون من يوم الخلق الأول وحتى الآن أن يكتبوا غير هراء؟ رغم إنك لم تطلب منهم إلا إعادة كتابة فقرة نمطية مكتوبة باللغة العربية بإستخدام ٣٢ رمزا (الحروف الأبجدة كلها بجانب علامات الترقيم كالنقطة والفصلة)، بالطبع لن يكتبوا أبدا شعرا موزونا مقفى لأن لصناعة الشعر من الأحرف مسارا آخر.

ثانياً: هناك تمرين سهل فى التوافق. أقصر بروتين يتكون من سلسلة بها ٢٠٠ حامض أمينى أى - ٢٠٠ موقع - ولأن لدينا ٢٠ إحتمالا فقط فى كل موقع (هو عدد الأحماض الأمينية) ما هو عدد البروتينات المحتمل تكوينها بالصدفة؟ الرقم ٢٠ مضروبا فى نفسه ٢٠ مرة ٢٠ أى واحد على يمينه ٢٦٠صفرا أى ٢٦٠ وهو رقم جسيم بالنسبة للرقم التافه

جدا المعبر عن عدد الجسيمات الأساسية فى الكون كله ببلايين مجرانه وهو ٨٠

هذه هى قائمة التساهلات، التى إذا قبلناها حتى من أجل عيون دارون فإنه يستحيل تصور خلق بروتين واحد بالصدفة.

١ - لنفرض أن الغلاف الجوى كان البداية كما يصوره التطوريون تماما.

٢ - لنفرض أن الأنواع العشرين من الأحماض الأمينية التى تشكل وحدات بناء البروتين كانت موجودة بالصدفة وبالنسب المطلوبة.

٣ - أنت تعلم أن الحامض لابد أن يكون أشولا. لنفرض أن جميع هذه الأحماض الأمينية قد شكلت من النوع الأعسر.

٤ - وبما أن أبسط كائن يحتاج إلى ٢٣٩ نوعا من البروتين لكى يعيش. ولأن جزيئ البروتين الواحد يحتوى فى المتوسط على ٤٠٠ حامض أمينى.

٥ - لنفرض أن جميع ما على الكرة الأرضية فى اليابسة والماء والهواء من ذرات كربون ونتروجين وأكسجين وهيدروجين وكبريت أستعملت فى صنع الأحماض الأمينية.

٦ - ونفرض أن الأحماض التى صنعت تواجدت بالعدد والنسبة المطلوبة لعمل البروتين.

٧ - ولنفرض أن هذه المجاميع مصانة من التأثير المميت للأشعة فوق البنفسجية وأتحدت بالشكل الذى يحتاجه الكائن الحى.

٨ - فلنفرض أن عمر الأرض وعمر الكون والسرعة التى يتم بها صناعة البروتين كان مساعدا لتحقيق هذا الخيال.

والآن تعال نحسب عدد السلاسل التى يمكن أن تكون كل سلسلة بها ٤٠٠ حامض أمينى مستخدما ٢٠ نوعا منها أرفع الرقم ٢٠ إلى قوة ٤٠٠ وهذا يعنى واحد أمامه ٥٢٠ صفرا. كم سلسلة يمكن الحصول عليها من هذا الرقم الهائل؟ هذه مسألة صعبة على الفكر البسيط وتتعذر الإجابة الحلسمة على السؤال. لكن لماذا كل هذا الجحود؟

ثالثاً: تعالى نلعب لعبة الأبجدية الإنجليزية البالغ عددها ٢٦ حرفا. تمت هذه اللعبة فى مركز بحوث الإحتمالات البيولوجية. سحبت الحروف عشوائيا وكرر ذلك ٣٠ ألف

مرة. ورتبت فى جداول وتم حساب عدد الكلمات التى لها معنى المكونه من حرفين (٤٨٩٠) ومن ثلاثة (١١١٣) ومن أربعة (١٣٩) ومن خمسة (١٧) وستة (٣). وكانت النتيجة أن عدد الكلمات المكونة من ٧ حروف ولها معنى كانت كلمة واحدة فقط «المهيمن». وبذلك نرى إن إحتمال ظهور كلمة ذات معنى يبدأ فى النقصان بسرعة كلما أضيف حرفا. فما هو إحتمال تراص ٤٠٠ حرف بشكل عشوائى لتكوين حامض أمينى ذو فائدة؟

رابعاً: لنتصور إننا هدمنا قصر المنتزة أو قصر عابدين وحولناه إلى كومة من الأحجار. صحيح أن هذا البناء الفخم يتكون أصلا من هذه الحجارة لكن لا يمكن النظر إلى هذا القصر بإعتباره متكونا من هذه الحجارة، فلكى تشيدة فنحن فى حاجة إلى معمارى عبقرى. لا يستطيع مجنون واحد تخيل أنه يمكن إلا يوجد مهندس أبدع تصميمه. أليس من السخافة أن يبذل أى عالم قصارى جهده قديما وحديثا للعثور على دليل لإثبات أن الكائنات الحية تكونت دون صانع أو معمارى أو مصمم؟ هناك فرق بين مصمم الأزياء والترزى. بين الحضارة والحجارة، بين القصر والصخور، بين البناء والبناء إذا كان من الصعب اثبات وجود الله فإنه من المستحيل اثبات عدم وجوده.

الجينات وتجدد الأنسجة

١ ـ أى جراح يمكن أن يشرح لك القدرة العظمية لأنسجة الجسم على النمو والتجديد. إلتئام الجروح بعد رتقها: عن الجلد وتضخم الأعضاء بعد إستئصال أجزاء منها، الكبد، الأمعاء شواهد حية. وجبر الكسور. وتجدد الدم بعد فترة. دمك يتغير باستمرار فى كل ثانية تموت ٣ مليون خلية حمراء ويتكون العدد نفسه بالمعدل ذاته من خلايا النخاع والكبد. كل جزئ فى أجسامنا فى تغير دائم وبسرعة. وإليك بعض الأمثلة الحية.

٢ ـ بوق الماء Triton شأنه شأن البرمائيات Batrachians إذا قطع خصمه (أنفه وفمه) أو عُرفه أو ذيله أو أطرافه أو حتى عينيه. يتم من جديد ظهور العضو المقطوع بالكامل بعد أن يكون قد أختفى.

٣ ـ إذا قطعت الجزء الإمامى من دودة الأرض بما فيه الرأس، حل محله جزء جديد

ورأس جديدة بشرط إلا يتعدى القطع جزءا محددا بوضوح على الجسم.

٤ ـ الهيدرا: يتكون عدد من الحيوانات مساو تماما لعدد القطع التى قطعت إليها الهيدرا الأصلية.

٥ ـ المستورقات Planarians. ديدان مسطحه طولها ١ ـ ٢ سم يمكن قطعها إلى ٣ اجزاء بقطعين وبعد عشرة أيام يكون لدينا ٣ ديدان. يظهر أولا برعم فى الجزء الذى تعرض للقطع Regenerative Bud وتظهر فى البرعم عضلات وأنسجة هضمية وغدد وأعصاب بالتدريج لتحل محل الأعضاء المفقودة، ويشمل ذلك أيضا المخ والعيون لكن الأكثر غرابة هو:

٦ ـ الديدان الساحلية Nemertians ديدان طولها ٢٠ ـ ١٠ سم ولها قناة هضمية،تفعل كما تفعله المستورقات لكنها تقطع نفسها بنفسها. القطع الذاتى Autotomy. هذا التقطع حيلة دفاعية يستخدمها الحوان إذا تعرض إلى هجوم. يفصل الحيوان نفسه عن الجزء الذى يمسك به مهاجمة. يقطع نفسه. السحلية تترك ذيلها لتهرب بنفسها والسرطان البحرى يتخلى عن كَلاّبه. وبعد ذلك يتم إصلاح العضو المفقود. أما الديدان الساحلية فتذهب أبعد. إذا تعرضت إلى صدمة قوية قاسية ومفاجئة، مثلا إذا حرمت من الطعام تماما فبمقدورها البقاء بطريقة غريبة Process Of Involution. تتكمش، تبدأ خلاياها فى إلتهام بعضها البعض، تأكل نفسها، تتقلص حتى لايبقى إلا عدد من الخلايا ومع ذلك تظل قادرة على إعادة تكوين دودة كاملة من كل جزئ مقطوع. لابد أن فى جسم هذا الحيوان من أوله لآخره تتوزع خلايا مختلفة وظيفتها هى التجدد Neoblastic Cells تمثل إحتياطيا مجمعا من الخلايا الجينية التى تقوم بأنشاء كل أنسجة الدودة الجينات التى تحرك عملية إعادة البناء كانت خامدة فى الأحوال العادية كانت Inoperative. لابد أيضا من وجود جينات أخرى تجعل التكيف مع البيئة ممكنا Adaptive.

الجينات والسلوك

إذا أطلقت سراح شمبانزى لم يعش فى الغابة أبدا من يوم مولده فإنه يعرف بدقة كيف يبنى لنفسه مآوى ليلاً فى الأشجار ويصنع مستوطنة مطابقة تماما كالتى تصنعها الحيوانات التى عاشت طوال عمرها فى البيئة الطبيعية لنوعها.

الغوريلا يصيبها الهلع لمجرد رؤية الحيات فى موطنها بالغابات. لماذا نجد نفس رد الفعل عند صغارها حين تواجه منظر حية ميتة. حتى وإن لم تر الحية ولا مرة فى حياتها؟

كل ما تراه هو أنت كبشر. أما أنت كإنسان فشىء آخر. العقل لا يظهر فى الصورة. ربما تفصح عنه ابتسامة حانية أو نظرة ودودة «نحن» أشباع فى أرواح. وأنت بالنفس لا بالروح إنسان. فها هى النفس.

لماذا تنصاع أنثى البعوضة بشكل ثابت لنبضات من داخلها حين تشم الحشرة رائحة الحـــامض الزبدى Butyric Acid الذى يوجد بكميات متناهية فى الصغر على سطح البشرة؟ كل الإجابات عن أى «لماذا» وأى «كيف» تجدها فى القاموس الوراثى.

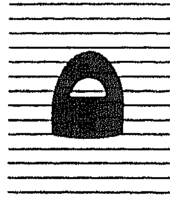
المعلومات فى كل هذه الأحوال مسجلة فى الشفرة الوراثية للنوع حتى لوبدالك أن هذا السلوك غـريزى Automatic Behavior. أو أن الحيوان قادر على التفكير ويتصرف بصورة منطقية. والحيوانات الأرقى Higher Mamals تختزن الموقف فى بنك الذاكرة Memory Bank حيث يتم ترتيب الشروط اللازمة للإستجابة اللاحقة حتى فى الإنسان ورتبه الرئيسـيات Primates فإن الأستجابة الآلية موجودة لكنها تضعف ولا تختفى بالكامل.

المخ البشرى هو كالعقل الإلكترونى، ولكن لا يوجد عقل الكترونى كالمخ البـشرى الخالق ليس كمثله شئ؟ كيف يتطور مخ الإنسان الفرد خلال عمره القصير؟ ما الذى ينمو حين يكبر العقل؟ العشرة بلايين خلية الموجودة فى قشرة المخ تخلق قبل الولادة بأربعة أشهر. كيف يتطور المخ إذا كانت كل وحداته الأساسية موجودة عند الميلاد؟. السر فى الألياف!! التى تصل الخلايا بالمراكز العصبية والتى لم تبدأ فى العمل بعد. الطفل البشرى يكون حيوانا أدنى عند ولادته. معظم الألياف الموجودة بين قشرة مخ هذا الطفل ومراكز العقل السفلى لا تنقل الرسائل لكن بما أنه من الضرورى أن ينبض قلبه ويتنفس ويبلع ويرضع ويُخرج فهذا يعنى أن بعض الخلايا تكون متصلة. كما أن الإنعكاسات الأتوماتيكية تعنى وجود ممرات عصيبة شغالة. ومعنى ذلك أن بعض ال ـ ٢٠٠٠ جينه التى ورثناها عن والدينا تعمل بالتدريج.

مساحات كبيرة من عقولنا لا تبدأ عملها إلا بالخبرة وتتغير بسرعة وبإستمرار تحت تأثير الدراية المتزايدة. كما أن هناك شبكات منظمة مرنة تغير أشكالاً مدى الحياة تختص بالتعليم والتخيل والأكتشاف.

والآن أنظر فى المرآة ترى شكلك الحالى. افتح ألبوم الذكريات وتابع تغير صورك من البيبى إلى الطفل إلى المراهق إلى الشاب ثم الرجل ثم تخيل شكلك بعد أن تصبح كهلاً أحدب أصلع. كل ما تراه هو الروح. الأمر التنفيذى الديناميكى الذى يشكلك منذ البداية ويرعاك حتى النهاية.

كل ما تَراه هو صورتك كبشر. أما أنت كإنسان فأمر آخر. العقل لا يظهر فى الصورة. ربما تُفصح عنه ابتسامة حانية أو نظرة ودودة أو تكشيرة عابسة. نحن أشباح فى أرواح وأنت بالنفس لا بالروح إنسان. فما هى النفس؟



مولد آدم

النفس

النفس = الذات +الصفات

من يملك كل شئ يفقد لذة الكسب، ومن يعرف كل شئ يفقد لذة الكشف.

ما لا نعرفه هو فقط ما نحتاج إلى معرفته ومانعرفه لا نستطيع الإستفادة منه

إننى أرجوكم قبل كل شئ أن تقرأوا دون إنفعال ما أود أن أقدمه لكم حول موضوع النفس. وعندما أقول دون أنفعال أقصد بهذا أنكم حين تقرأون أو تسمعون شيئا يبدولكم جديدا أو غير معقول أو مروعا فلا ينبغى عليكم أن تحتجوا فى الحال قائلين «لا يمكن أن يحدث هذا» مستحيل أن تكون هذه هى حقيقتنا. أو أن تقيسوه بأفكاركم المسبقة وما سمعتوه من العلماء والفقهاء. بل ينبغى عليكم بالأحرى أن تفكروا بهدوء وأن تمتحنوا ما أقوله. كيف؟ «ربنا ما شافوهوش لكن عرفوه بالعقل» أليس كذلك؟ هل يمكن تطبيق هذا المفهوم على ما تؤمنون به بدون تفكير وتؤكدون أنه حقيقة؟ هل رأيتم الملائكة والجن والشياطين؟ ما الفرق بين النوم والموت ؟ أليس هو إنفصال النفس عن الجسد مؤقتاً أو نهائياً؟ هل رأيت نفسك؟ إذن عليك أن تحرر نفسك من تجاهل وجود كل ما هو غير منظور أو غير قابل للإدراك أو حتى ما هو غير طبيعى.

كلنا يعرف حق المعرفة أن حواسنا غير كافية: ١ ـ لرؤية الأشعة تحت الحمراء in-frared والأشعة فوق البنفسيجية uitraviolet مع أنك تسمع عنها فى عيادات الأطباء وتستمتع بها على شواطئ البحار. ٢ ـ ولا سماع الأصوات فوق السمعية ultrasonic مع أنها هى التى يفحص الطبيب بها زوجتك ويحدد لكما عمر وجنس الجنين الذى فى بطنها، هذه الأمواج التى لا يمكن إدراكها تحيط بنا وتخترقنا ولا يحس بها أحد. وسيكون

منافياً للعقل أن تنكر وجودها لأنك لا تراها أو لا تسمعها. فماذا عن السموات والأرض وما بينهما؟ دعنا الآن من السماء. وسنهمل فى الوقت الحالى مرحلة الانتقال من الأرض الى السماء (ما بينهما) ونسألك يا خليفة اللى فى أرضه ما هو الإنسان؟

العلمـــــاء:

١ ـ أما أنهم يناقضون المذهب الإحداثى، الذى يقول بأن كل نوع من أنواع المخلوقات خلق على حدة.

٢ ـ أو أنهم فقط مهتمون بتطور جسمنا وأعضائه . لأنهم لا يميزون بين سائق المركبة وبين المركبة نفسها. لكن على أى الأحوال لا يجوز لهم الالتفات عن القوانين الكونية.

أولاً : قانون الغفلـــة

المشرع الجنائى يؤكد أن الجهل بالقانون لا يحمى من العقوبة. ولا يعفى من المسئولية. أى أن من يخالف مبادئ الدستور، عليه أن يتحمل النتائج. إن الخطأ خطاء لأنه لم يجشم نفسه عناء الاطلاع على القوانين. إن الجهل بالقوانين لا يحمينا من النتائج ولكن التبصر فى الخطأ يأتينا بسهولة أكثر إذا لم ترتكبه متعمدين إننا احرار فى اتخاذ القرارات ولكننا مقيدون بنتائجها عندما نرخص لشخص بقيادة مركبة نطلب منه أن يجتاز إمتحاناً ليثبت معرفته بالقوانين المعنية وإلا سيكون مصدر خطر على نفسه وعلى الآخرين . فى هذه الامور نحن واعون وحكماء . ألا يخطر ببالنا أن الخالق أيضاً يمكن ان يكون حكيماً مثلنا وأن المبدأ نفسه يمكن ان ينطبق علينا فما يتعلق بقوانين الكون. لكننا مع الأسف تركنا العلماء وحدهم يشغلوا أنفسهم بهذه القوانين لأننا اعتبرناها قوانين الطبيعة، ولا تهتم بها فى أفضل الأحوال إلا بقدر استفادتنا منها وأغفلنا تماماً أننا كمخلوقات روحية أيضاً ان نأخذ منها دروساً. لم ندرك الاجابات الميتافيزيقية المخفية وراء قوانين الطبيعة. العالم يرى الحقيقة ولكنه لا يميز مغزاها الفعلى .

ثانياً: التوبة عن الغفلة

كل شئ فى هذا الكون المتسع الهائل يؤدى دوره المخصص له فكيف نفترض أن الإنسان وحده لا وظيفة له فى هذا النظام؟ إن الطالب الذى لا يصل الى المعدل المطلوب

لا يُسمح له بدخول الامتحان وإذا انتهت الفرص الممنوحة له ولم يعرف كيف يستغلها ويصل الى الهدف الموضوع فى وقت محدد يحرم منه، ولو لم يكن الامر كذلك لشجعنا الجميع على الكسل وعدم السرعة فى التعلم. من الذى وضع هذه الشروط؟ نحن الذين ليس فى وسعنا إلا أن نقلد، فهل نعتبر الخالق أقل حكمة منا ؟ رغم انه منحنا كل الفرص للتكفير عن الاخطاء التى ارتكبناها من أجل أن نواصل وجودنا بعد الموت بشكل أفضل.

ثالثاً: قانون الضبط التلقائى

إنك تستطيع أن تضبط مُسبقاً درجة الحرارة المرغوبة فى ثلاجتك أو جهاز التدفئة المركزى وتستطيع ان تختار برنامجاً محدداً لغسالة ملابسك أو غسالة أطباقك. الدماغ الالكترونى لهذه الاجهزة عبارة عن كتلة من المعلومات وُضعت لتحقق هدفاً منظماً مبرمجاً مسبقاً وفقاً لارادة الصانع فمن هو مُلقم البرنامج الذى بموجبه يحدث كل شئ فى الكون بآلية وانضباط صارم؟ إن ملقم البرنامج الكونى يُلقم ارادته فى شكل برنامج أن إرادة الله تظهر لنا كقانون طبيعى. قانون الضبط التلقائى فإذا كنا قد نجحنا فى صناعة بعض آليات الضبط التلقائى فإذا كنا ألا يجب أن نستنتج أن ذلك أيضاً ممكن بالنسبة للخالق؟ لأن هذه القوانين تفصح عن كمال الله لأنه ما هو كامل لا يمكن تحسينه.

رابعاً: قانون العمل التبادلى

أحد أعمق وأهم قوانين الكون هو قانون العمل التبادلى بين كل ما فى الكون حياً أو جماداً، تنظيم ذاتى، صيانة «ترتيب غير قابل للتغيير». كل ما يبدو لك متماسكا نشأ من الإشعاع. هناك عملية لا تتوقف أبدا. عملية تغيير دائرة. تحول الإشعاع إلى جسيمات والجسيمات إلى إشعاع. إن مجرد إقرارك بالنظرية النسبية والفيزياء النووية وعلم الأحياء الجزئية وعلم الفلك الإشعاعى يجعلك مثار سخرية أمام من لا يفهمك وكأن ما تقوله ثمرة من ثمرات الخيال والإيمان بالقوى الخفية والخرافية. ولن يفهمك الناس إذا قلت أن الحبل السرى هو الذى يربط الجنين بالأم والحبل السرى هو الذى يربط النفس بالروح. والروح هو الجسد الحى. بدون الروح يصبح الكائن جثة هامدة.

من أنت؟ مادة جسمك (الجسم الأرضى) ونفسك (الجسم الاثيرى). الجسم الأرضى له قرين، نسخة طبق الأصل منه (الجسم النجمى)، والجسم الاثيرى لها أضا قرين. الله

نفسه قد صرح أنه خلق من كل شئ زوجين إثنين. أدق أحجار البناء «نترونات، باروتونات والكترونات) هذه الجسيمات الذرية، هذه الدقائق الأولية لها قرين طبق الأصل غير مادى القوام. كيف يمكن أن يجتمعا ويندمجا وقوامها مختلف؟ القوة الهائلة التى تربط الجسيمات الإبتدائية على نحو سحرى هى التى تجمع كل شئ فى الكون من أكبر الأشياء إلى أصغرها.

كل شئ يصدر إشعاعا. يرى أبرز ممثلى الفيزياء الحديثة بوهر Bohr وهايزنبرج Heisenberg وباولى Pauli الذين يقرون (المبدأ المتمم) أن أدق جسيمات المادة تتصرف أحانا كالأجسام الصلبة ولكنها أحيانا أخرى تتصرف كالأمواج. أى أن للمادة جسيمات وأجسام «طبيعية ثنائية». أى أن احجار بناء الكون وكذلك الكائنات الحية والإنسان لهم شكل منظور ملموس وشكل أو كيان غر منظور.

كيف بدأت الحياة؟ مذاهب مختلفة

1 ـــ الداروينيون

أتباع تشارلز داروين عالم الأحياء الانجليزى الشهير (١٨,٩ - ١٨٨٢) وأشهر كتبه هى «أصل النواع» ١٨٥٩ «نسب الإنسان» ١٨٧١ «التعبير عن الانفعالات فى الانسان والحيوان» ١٨٧٢ وللداروينية معنيان:

المعنى الأول: ضيق، «الدراوينية البيولوجية» ويشير الى نظرية الارتقاء التى صاغها داروين وطورها أتباعه ويحتوى على ثلاث مقولات هى:

١ - الاصطفاء الطبيعى.

٢ - الاصطفاء الجنسى.

٣ - إكتساب الصفات الموروثة.

المعنى الثانى: واسع، وهو الذى الهم عدداً من النظريات العلمية والاجتماعية والدينية والفلسفية وكلها تقوم اساساً على المقولات الثلاثة للمعنى الأول وكان سيجموند فرويد عالم النفس الشهير (١٨٥٦ - ١٩٣٩) من الذين تأثروا بالداروينية كثيراً سواء بمعناها الضيق أو بمعناها الواسع.

الدارونيون الجُدد

أتبـاع النظرية الداروينيـة المحـدثة التى تقـول بأن الاصطفـاء الطبـيـعى هو العـامل الأسـاسى فى التطور وتنكر إمكان وراثة الصفات المكتسبة.

السلوكيون

أتبـاع المدرسـة السلوكيـة التى راجت بين الحـربين العـالميتين الأولى والثـانيـة. وتدرس الواقع. ولا تؤمن إلا بالإستجابات التى يمكن ملاحظتها وتجربتها. ولا تقـول باللاشعور كدافع من دوافع السلوك أى أن هذه النظرية فـرع من العلم الطبيعى، تجـريبى موضـوعى بحث، هدفه التنبؤ بالسلوك والسيطرة عليه.

النشوئيون

أتباع المذهب النشوئى. نشأت الانواع العضوية من أنواع أقل تنظيماً من خلال سلسلة من التطورات. وهذا يناقض مفهوم الخلق عند مفسرى آيات الله.

لم يقل كل هؤلاء إلا أنصـاف الحقـائق. أى أن آرائهم صـحـيحـة وخـاطئـة فى الوقت نفسه. لا يميزون الانسـان الفعلى الكامن فى داخلنا فكما ان للجسم أعضاء ولكل عضو وظيفـة فإن للنفس أجزاء ولكل جزء وظيفـة، أسمـاها العقل. شئ فى داخلنـا يميزنا للتو عن الحيوان، وظيفته الذكاء والفكر والمعرفة المكتسبة، يدرك حدسياً الفرح والحزن الحب والكراهيـة الحق والبـاطل الخـيـر والشـر. ليس هذا فـقط بل وظيفـته، الادراك الحـسى (الإحساس) والحدسى (المعاناة) .

الروح شئ مختلف تماماً

قفزة الكيف، قفزة الكم وقفزة النوم

أن أقصى ما يفعله العقل هو أن يستنتج، بربط الخبـرات والمعلومات المقدمة اليه وهذا يمكن أن يتم على نحو أفضل بالحاسبات الإلكترونية أن الفكر العميق الراقى الرفيع ليس إلا مـجرد أداة مشـدود الى الجسم كـالأوتار الى الجيتـار أو العـود. عند كمال ضـبط الآله عند الكائن «رفـيع الفكر» «جلى البصـر» تعزف النفس لحن الوجـود. لحن الخلود. فتسمع صوتاً حانياً يتدفق فيك غير مُعتمد أبداً على كل المنبهات الحسية ولا يستطيع الفكر ابداً

ان يشوشه وتسمع لغة تنساب تلقائياً من أعمق أعماق وجدانك. بهذه الاحاسيس الداخلية العميقة تصبح «غنى النفس» الروح ليس له أى شأن مطلقاً بالفكر الغيبى.إنه المهندس الحى الكامن داخل جسم الانسان والذى يبقيه حياً. أنه صوت الله متى تسمعه؟ إنه أمر الله. كيف تنقذه ؟ كيف يتم الشهود؟ حين تتم القفزة من الملك الى الملكوت. هذه هى «قفزة الكيف» ينعم الله بها على المقربين . فتحدث الرؤية ليس فى الطبيعة قفزات مفاجئة القفزة الوحيدة التى يعرفها فقط علماء الفيزياء النووية هى قفزة «الكم» أو الكوانتم الكم هو أصفر مقدار من الطاقة يمكن أن يوجد مستقلاً؟ هذا المقدار لا يصدر ولا يمتص على نحو متواصل بل على مراحل. أما القفزة الثالثة فهى تحدث فى اللحظة التى ترتفع فيها النفس خارجة من الجسم عند النوم. بعض الأشخاص النائمين وقبل الوصول الى النوم العميق يشعرون بأنهم يسقطون . فيقفزون ربما أن القرآن يقرر أن المسيح هو كلمه الله وروح منه.

فتعالى إلى استراحة قصيرة فى كنيسة القيامة مع السيد المسيح

نقرأ فى العهد الجديد

١ ـ ولأنه جزء من الحقيقة الكامنة فى القوانين الراسخة فلم يقل فقط «أنا.. الحقيقة والحياة» بل قال أيضاً «إن من لا يقف معى هو ضدى» لماذا ؟ لأن القوانين التى وصفها الله هى الأفضل بالنسبة لنا وكل شئ لا يتناسب مع هذه القوانين يعوق سير «برنامج هذا الكون» المستمر المستقر. لا يمكن أن أقول لا تبالوا بصاحب الكلمة بل بالكلمة. ماذا ستفيدكم معرفة محمداً أو المسيح إن البرهان على صدق راعى الغنم فى مكه أو النجار البسيط فى الناصرة ليس سوى رساليتهما. والذين ابتعوهما يميزوهما عن طريق أهم التعليم التى أتيا بها أن محمداً والمسيح جزء من الحقيقة. الرسالة والرسول شئ واحد.

٢ ـ ظهر المسيح لمريم المجدلية بعد أن كان قد دفن، وظهر عدة مرات لتلامذته . مش بقربهم وتحدثوا معه ولكنهم لم يُمبزوه.دخل غرفاً مقفلة الابواب ولم يدركوا انه المسيح إلا عندما قسم الخبز معهم على المائدة يُثبت هذا وبوضوح شديد أنه جاء اليهم فى شكل جسدى متغير ومختلف غير منظور ومع ذلك أمكنهم أنه يشاهدوه بسبب المعاناة الشديدة

التى هزته والتى نجمت عن أحداث الايام السابقة. ولو لم يكن الامر كذلك لميزوه حتماً وفى الحال وبذلك ثبت عند الحواريين أن نهض (إنى متوفيك ورافعك الى) وثبت أيضاً أن الحياة تستمر ليس فقط بعد يوم القيامة النائى، بل فى الحال بعد الموت على الأرض.

﴿يا أيها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فأدخلى فى عبادى وأدخلى جنتى﴾.

٣ ـ معجزة نهوض الموتى

لا يمكن أن يحدث فى هذا الكون شىء لا يتفق مع قوانينه . نظرة الى السماء المليئة بالنجوم، مجرد نظرة تعلمنا أن الكواكب تجرى فى أفلاكها وفقاً لقوانين ثابتة لا تتغير هذه القوانين الطبيعية نستطيع اكتشافها وملاحظتها والتحقق منها لكن لا نستطيع تغييرها.

التقارير الانجيلية عن نهوض الموتى يمكن تمييز المسافة المتزايدة بين النفس والجسد:

أ) فى حالة رينه بايرس التى كانت قد فارقت الحياة يقول المسيح ببساطة حسب انجيل لوقا (٨ ـ ٥٤) «يا حبيبة قومى».

ب) بينما فى حالة الشاب (نابين) الذى كان على وشك أن يدفن يصبح المسيح أكثر الحاحاً لوقا (٧ ـ ١٤) «لك أقول قم».

ج) بينما فى حالة العازر الذى كان مستلقياً فى القبر منذ ٤ أيام فهذا يحتاج الى قوة من نوع الهى. يصلى المسيح قبل ان يصبح بصوت عظيم يوحنا «٤١ ـ ٤٣» «هلم خارجاً» لهذا السبب الوجيه تشترط بعض الطقوس لاسيما فى السلالات البدائية وجود حد من الفاصل الزمنى بين الموت وبين الجنازة أو حرق الجثة. من المهم لدرجة بالغة أن يعرف المرء هذه الحقائق. إن موقفك من مسألة الموت يكشف مدى الأذى الذى قد يصيبك من فقدان المعرفة. «لاتدرى نفسى ماذا تكسب غداً ولا تدرى نفس بأى أرض تموت» فلنفرض أنك لسبب أو لآخر نقلت الى المستشفى وأبدت المستشفى رغبتها لأسباب جنائية أو قانونية أو علمية فى أن تقوم بتشريح الجثة بعد الوفاة . ستنفذ المشرحة هذه الرغبة بدون أدنى تفكير فيك. وتقطع حثتك بدقة بل هناك ما هو أسوأ من ذلك. بعد نجاح عمليات زرع الاعضاء فإن المحتضر لس إلا مخزناً لقطع الغيار الآدمية. هذه هى النظرة

الجديدة لمؤسسات كثيرة فى الحياة العصرية المتحضرة. نزع الاعضاء من الجسم المنبوذ «فرز ثانى» أصبح واجباً إنسانياً. الهاربون من الظلم الفارين من العدالة والمسجونون فى ظل قانون الطوارىء والمعتقلون المعارضون والفقراء. كل هؤلاء يمكن أن يتعرضوا فجأة لحوادث مؤسفة. وتباع اعضاؤهم واجراؤهم بالجملة والقطاعى، لمن يدفع أكثر. يجب الاحتياط تماماً عند نزع الأجزاء والأعضاء، التوقيت مهم جداً. الاستئصال يجب أن يحدث فوراً بعد «الموت المفترض» أما إذا كان الضحية أو الواهب أو المتبرع ميتاً فعلاً فلن تكون أجزاءه مناسبة للإستعمال . «فرز ثالث». هل تُدرك مدى حماقة وخطورة أن تتناسى كل شىء مرتبط بالموت وكأن أكثر الأشياء حتمية فى الحياة الأرضية لا شأن لك بها . هل سيسبب لك عدم إيمانك بحياة أخرى بعد الموت وارتباطك الوثيق بالحياة الأرضية. آلامها بالغة؟ هل تعرف لحظة الموت أن ما يحدث يعتمد كلية على ما يحدث فى الطبيعة الروحية للكائن الحى الفرد ودرجة ايمانه؟ إذن موقفك من مسألة الموت ومعرفتك بتفاصيل ما يحدث لك من تساعدك على أن تقرر كم هو سهل أو كم هو صعب بالنسبة لك ذات يوم حين تنفصل نفسك نهائياً عن جسدها «وهل يضير الشاة سلخها بعد ذبحها» أنت لم تمت بعد. هل مت فعلاً؟ كيف ومتى سيتم دفنك ؟ هل أنت مت عندما يتوقف نفسك تار الهواء أم عند توقف قلبك تيار الدم أم عندما يتوقف كهرباء المخ تيار الدماغ؟ اقتربت الساعة. وانشق الصدر لينزعوا قلبك. أو يبقروا بظنك لنزع كبدك. أو قلع عينيك وقطع لسانك وأعضاء أخرى بالغة الأهمية والندرة.

فأين تكمن النهاية فعلاً؟ هل يمكن لمن هو «ميت طبياً» لدى الفحص السريرى أن يكون قادراً على العودة الى الحياة؟ هل يشعر المحتضر بالألم وهو يصارع الموت؟ أنه يسمع أقاربه ينتحبون ويود أن يصرخ فيهم قائلاً لهم . ماذا حدث لا أزال حياً. إنه يرى الاطباء يعالجون جسمه ويود ان ينحيهم جانباً ولكن لا يلحظه أحد. إنه يرى خزائنه تفتح وأسراره تفضح والكل مشغول بغيره. ولا يستطيع ان يفعل شيئاً. لم يكن يعلم أنه إذا طالت عملية الإحتضار فإنه سيعانى قبل عذاب القبر عذاباً أشد . عذاب الضمير وعذاب المصير. بصره اليوم حديد. وعذابه شديد.

ماذا يحدث فى الجنازة قبل أن يدفن ؟ وأنت فى طريقك الى قبرك يتبع بعض المشيعون النعش . كم هو قليل عدد من يذكرونه بالمحبة. كم هى كثيرة الاحاديث الشريرة

أو التافهة لو كان هؤلاء يعرفون ان الميت لا يزال قريباً وأنه يسمعهم لتعرفوا على نحو مختلف. هذه الخبرة الموجعة تشعر النفس بأنها منبوذة من جميع الاحياء. فتعانى الوحدة المريعة. وتأسف لهذه الولادة الجديدة. فمصيرها اليوم لن يكون أبداً فى المحل الأرفع. لن تعود الى حيث هبطت من جنة الله.

«الموت» باللغة الاغريقية ثاناتوس Thanatos أشتق منه «علم الموت» ثاناتولوجى Thanatology أصبح الموت علما منفصلا تستخدم فيه وسائل علمية دقيقة ولأن الناس متلهفون عل الحياة فقد أصبحت أكثر الكتب رواجا هى «الحياة بعد الحياة» «الحياة بعد الموت» «الموت بإعتباره بداية ولِادة جديدة»

كيف يمكن أن يحدث على الإطلاق إستمرارنا فى الحياة بعد الموت؟ دعنا نلقى نظرة فى الإتجاه المعاكس. متى تبدأ الحياة البشرية؟ هذا سؤال هام جدا يتعلق بقضية الإجهاض أما نحن العرب والمسلمون منَّا على وجه خاص فلا تشغلنا الحياة بعد الموت بل إن أكثر الكتب الدينية رواجا هى كتب عذاب القبر وكتب عالم الجن. شغلنا الجن عن الإنس والموت عن الحياة لتدرك أسرار الموت والحياة لابد أن تسأل ما هى علاقة النفس بالجسد؟ وما هى علاقة الروح بالنفس؟

أولا نضرب مثلا

الراديو جهاز إستقبال. يؤلف أمواجا مختلفة متوسط، قصيرة، شديدة القصر. حين تتم المؤالفة يصبح الجهاز فجأة قادرا عل إستقبال ترددات أعلى وبالتالى إهتزازات أوضح. كلما زادت الإهتزازات التى ينتجها التيار الذى نشحن به كابلاً زاد من المحادثات التى ننقلها على طوله فى الوقت نفسه كلما تردد الضوء الذى تآخذ بواسطته لقطة فوتوغرافية أظهرت الصورة المزيد من التفاصيل. وأدق الصور هى المأخوذة بالليزر.

علاقة النفس بالجسم

الجسم والنفس شيئان منفصلان ولاستمرار الحياة ويجب الإبقاء عليهما معا. من الضرورى تماسك الجسم المادى وتحقيق هذا يتطلب ببساطة سد حاجاته الغذائية. إذا لم يتلق الجسم المادى هذه التغذية انتابته الأمراض ثم ضعف. وهذا يعنى بالضرورة أن قوة إشعاعه تضعف. يتحتم على النفس أن تفصل نفسها عن جسم أتلف على نحو قسرى أو عن جسم خَّربه المرض أو أضعفته الشيخوخة. الجسم لم يعد قادرا على إنتاج قوة الأشعاع التى

تسبب قوة الجذب ليساهم بنصيبه فى الإتحاد الديناميكى بين النفس والجسد.

متى تبدأ الحياة الإنسانية؟ عبر الإشعاع المتزايد للجسم أثناء تكوينه وتطوره يحدث جذب تدريجى للنفس حتى تحكم النفس قبضتها وتصبح قادرة على تحريكه، والعلامة المؤكدة عند تمام الإتحاد هو تحركات الطفل فى رحم أمه تحول الحميل إلى جنين.

هناك قوانين راسخة تحكم إتحاد ضرين مختلفين وهناك قوانين تحكم إنشاء شركة مساهمة (شريك متضامن وشريك موصى) ولكنهما لا يستطيعان الإندماج أبدا عندما لا يعود أى من العضوين المختلفين قادرا على المشاركة على المساهمة بنصيبه فى المشاركة فى الإتصال الإشعاعى بالجسم عادة هو الذى يبلى نفسه وهو الذى ينقص إشعاعه ولكن يمكن أيضا أن يتم الإنفصال وينعدم الإتصال لان النفس لم تصدر إشعاعا إلى الجسم بالقوة الضرورية. عندما يرحل ببساطة كائن بشرى لا يعانى من أى مرض فهذا يعنى فقط أنه لم يعد لديه أية إرادة فى العيش. لم يعد هو نفسه. ليس بكامل قواه العقلية. فيرتخى التماسك الضرورى. أليس النوم هو الأخ الأصغر للموت؟. هنا فى الواقع تكمن تجربة يستطيع كل منا أن يقوم بها كل ليلة. أن الإنسان ينفق ثلث حياته فى السرير نائماً. وأثناء اليقظة تحدث فى المخ عمليات كهربائية دقيقة للغاية ويمكن قياسها كتيار دماغى فى راسم المخ الكهربائى ٣٠٠ دورة فى الثانية فى حالة اليقظة. ويهبط الرقم إلى نصف دورة فى النوم العميق. ولكن فى الوقت نفسه تنقص ضربات القلب والتنفس وضغط الدم ودرجة حرارة الجسم. ويتم المحافظة على إقتصاد الجسم عن طريق الشعلة الدائمة (شعلة صغيرة دائمة الأضطرام تستعمل فى بعض الأفران لإشعال الغاز فى الموقد) جميع الوظائف الحيوية تضعف. يضعف بالتالى إشعال الجسم الذى يعتمد على هذه الوظائف الحيوية هذا الإشعاع المتناقص يجعل إرتخاء النفس ممكنا والجسم يستلقى متحرراً من التوتر كالغلاف الخارجى لكرة فرغ منها الهواء. جميع الكائنات البشرية تحلم كل ليلة. ولا يبدأ الحلم إلا بعد الوصول إلى النوم العميق، لا يمكن رؤية شئ عبر الجفون المسدلة ومع ذلك فإن العينان فى الوقت نفسه تتحركان جيئة وذهابا خلف الجفنين بسرعة إرتجاجية حركة «اللنى» السريعة هذه يكن قياسها REM. هذا برهان أكبر أن ذاتنا أو نفسنا هى شئ آخر غير جسمنا. إن هذا الجسم المادى يمتلك أعضاء الحس المتطابقة مع قوامها، العينين وأعضاء السمع، كذلك تمتلك النفس

التجهيزات المتجانسة المتطابقة مع طبيعتها، ولكنها النفس دائما هى الت ترى وتسمع من خلال تجهيزات الجسم. بين الحلم واليقظة نحن عاجزين عن تحريك الجسم، النفس ببساطة لا تستطيع أن تحكم قبضتها عليه، تسيطر عليه وتسيره (تعشيق الدبرياج فى المور) لكن عند اليقظة والتفكير الواعى تصبح النفس قادرة على تحريك الجسم. بالسرعة التى تريدها ويستطيعها. 5 vites motor. العالم الذى ترحل إليه النفس ذو إهتزازات أسرع لأن كل شئ يتسارع حينما تنفصل النفس عن (العباءة الفانية)

علاقة النفس بالروح

الروح هو الكتاب المكنون الذى يتحكم فى كل خلية حية. الأمر والآمر. الحاكم والمنفذ. ما يلفظ من قول إلا ولديه رقيب عتيد. سائق وشهديد. إرادة الله مسجلة سلفا. وإرادة الإنسان مُسجلة آبدا. كتاب إنتقل إليك من أسلافك، عبرك إلى الأجيال بعدك.

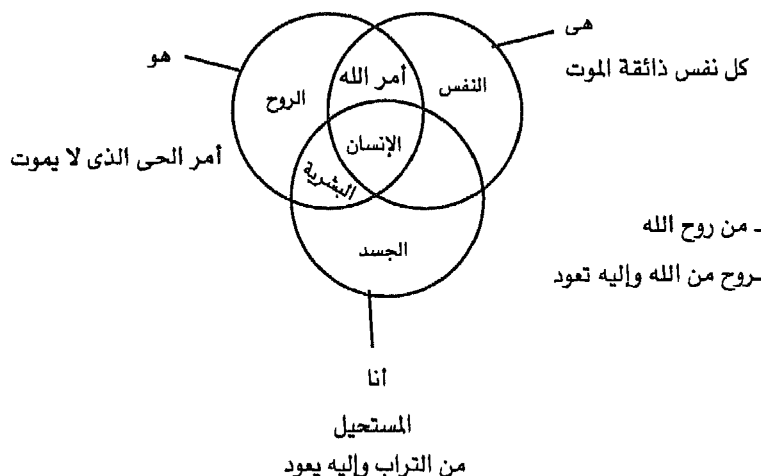
قضية منطقية

١ ـ كل نفس ذئقة الموت.

٢ ـ الروح «من أمر» الحى الذى لا يموت.

٣ ـ الروح لا يموت إذن النفس غير الروح.

ستعرف حالا لماذا جاء هذا الكلام عن الروح فى باب النفس.



ما هو الموت: الموت انتقال النفس واستحالة الجسد ليس فناءه. أمرك انتهى، ولكن المدار الذى كتب به يتحول إلى خلق آخر.

- الجسد بدون النفس نائم لا قدره له على فعل شئ.

- النفس بدون الروح ميتة بالنسبة لعالم الشهادة لا قدره لها عل فعل أى شئ.

فى كتابى الأول الإعتقاد قضية علمية قلت أن الإنسان إتحاد ثلاثية: كل رجل عاقل سرعان ما يدرك هذا السر إذا ما خاطر بفتح مغاليق أبوابه الإنسانية: إتحاد .

١ - الجسد الفانى الميت Inviable.

٢ - بالكائن غير المنظور (النفس) Invisible التى خلقت قبله وستظل موجودة وحية بعده. بعد أن تموت تظل نفسك حية.

٣ - بفضل الروح Immortal أمر الحى الذى لايموت. الأمر ينتهى ولا يموت. انتهى أمرك لكن أمر الله لا ينتهى. لماذا؟ لأنه من نفس عناصر الأمر الذى تحلت نشأت أمور أخرى وكائنات أخرى من رفاتك.

الإنسان جسد ونور، والنور (ن+ ر) ن و ر وليس ن - واو - ر. نفس وروح، الروح هو أمر الله الذى تجسد فى الكتاب المكنون داخل كل خلية حية. الحيوان المنوى فيه أمر الله. البويضة فيها أمر الله. لكنك لن تصبح إنسانا أبدا بعد إخصاب البويضة إلا بحلول النفس فيك: النفس مُستقلة عنك. تحل بك وتخرج منك عند الموت وعند النوم. لكن الروح لا يتخلى عنك أبدا ولا يترك جسدك الحى أبدا، الموت ليس طلوع الروح بل إمساك النفس، وهذا هو جوهر كتابى الأول الأعتقاد قضية علمية حين يطوى كتاب حاتك. تموت إنتهى أمرك. تبقى نفسك. المطمئنة حية ترزق عند ربها. والملعونة تذوق عذاب القبر وما بين ذلك تظل الأنفس فى المستودع «البرزخ».

﴿الذى خلقكم من نفس واحده وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرة ونساءا﴾

Lord, who created you from a single person, created, of like nature, His mate and from them twain Scattered (like seeds) countless men and woman

ما معنى نفس واحده؟ بناء على هذه الترجمة فإنها إذا كانت - a Single person تشير إلى آدم فلماذا لم يقل خلق منه؟ أو من ضلعه؟ لماذا قال خلق منها؟ كما تقول التوراة

لأنه خلق الأنفس كلها من نفس واحدة.

﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾.

﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة أسجدوا لآدم﴾. الأعراف ٤٧.

ما معنى هذا؟ خلقنا أولا. ثم صورنا. ثم أمر الملائكة بالسجود لآدم. أليس هذا أقوى دليل على أن الخلق الأول كان خلق أنفس؟ خلقنا كلنا= خلق الأنفس كلها فى عالم الذر عالم الغيب. أما عالم الشهادة الأجساد تخلق إلا تباعا. هذا يولد وهذا يموت. عالم الشهادة.

سورة الأعراف الآية ١٧٢

﴿وإذا أخذ ربك من بنى ءادم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾

When thy Lord drew forth the Children of Adam From their loins their descendats, and made them Testify concerning themselves, (saying) "Am I not your Lord (Who cherishes and sustains you)? "They said: "yea! We do testify! " (This), lest ye should say on the Day Of Judgment : "Of this we were never mindful":

عالم الذرة. كل الأنفس شهدت بوحدانيته. وكل الأنفس قبلت حمل الأمانة. والأمانة هى الحلول المؤقت فى الجسد الحى مع كل ما يترتب عليه.

الزمر ٤٢: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها. والتى لم تمت فى منامها. فيمسك التى قضى عليها الموت. ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى. إن فى ذلك لأيات لقوم يتفكرون﴾.

إذن الوفاة ليست قبض روح. ملك الموت لا يقبض الروح بل يمسك النفس، فلا تعود أبدا إلى الجسد. الروح لا يموت ولا يزهق ولا يفنى ولا يقبض ولا يحضُر. الروح هو الكتاب المكنون. جفت الأقلام طويت الصفحات، كطى السجل للكتب. إنتهت الحياة على الأرض. وبدأت الحياة الأخرى. الموت أعقبه ولاده جديدة.

النوم هو ـ بمعنى ما ـ الموت النسبى، بالنسبة للفرد

والموت هو ـ بمعنى ما ـ النوم النسبى، بالنسبة للنوع

الروح هو من أمر الله تجسد كلاما = قرآن

أمر الله تجسد خلقا= الكتاب المكنون فى كل خلية حية

أمر الله تجسد بشرا= الرسول جبريل

الروح هو أمر الله. الجزئ الحى الذى يعيد إنتاج ذاته وينفذ أمر خالقه.

سورة مريم ١٧: ﴿فاتخذ من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا﴾.

سورة مريم ١٩: ﴿قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا﴾.

لأهب لك معناها أن فعلا حصل. هذا الفعل هو النفخ وبما أنها أحصنت فرجها فإن النفخ كان فى فمها «فيه» من الأسماء الخمسة ولوقصد نفخ فمها لقال نفخنا فاها لكنه تعالى يوضح أنه قد تم نفخ شئ من روحه فى فمها لذلك قال فيها. إيجازاً وإعجازاً بدلا من «فى فيها».

سورة الأنبياء ٩١:﴿والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وأبنها اية للعالمين﴾.

المرة الأولى النفخ كان «فيها» أمر التكوين. كن يا عيسى. بلا أب. نفحه خاصة. كلمة منه روح الله.

سورة التحريم ١٢: ﴿ومريم آبنت عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾.

أما فى المرة الثانية النفخ كان «فيه» لتحويله من بشر إلى إنسان. نقمة عامة لكل البشر من روح الله.

يقول مؤلف كتاب آدم من الجن والشياطين أن الإيمان بالوجود الشبحى للجن والشياطين على أنها مخلوقات مغايرة للبشر يستلزم وجود تناقض واختلاف كثير فى القرآن الكريم (محمد منير)! وأنا أسألة هل يمكن له أن تفسر الآية ٤٢ من سورة الزمر:

﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فيه منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الآخرى إلى أجل غير مسمى﴾ هل هناك معنى آخر لهذه الآية غير أنها تقرر:

١ ـ أن النفس «الكائن غير منظور» تترك الجسد عند الموت ولا تعود إليه أما عند النوم فإنها تعود إليه إلى نهاية أجله.

٢ ـ أن الموت ليس قبض روح. وأنه لا مخلوق لله حتى لو كان إسمه عزرائيل قادر على أن يقبض على أمر الله. الموت إمساك للنفس. وآيات الأخرى تؤكد أن الأنفس كائنات نورانية خلقت قبل الأجسام فى عالم الذر وأشهدهم الخالق، وسألهم ألست بربكم، فقالت كل الأنفس «بلى». وأن النفس باقية بعد الموت. عائدة إلى ربها راضية مرضية أو تبقى فى مستقر ومستودع «البرزخ» أو شاهدة لعذاب القبر. لكنها خالدة لا تموت إلا يوم القيامة. فكل نفس ذائقة الموت فى البدء كان الله ولا شئ معه وفى النهاية كل شئ هالك إلا وجهه.

ليس معنى أنك ترى المادة ولا ترى نقيضها، وترى الجسد ولا ترى النفس، وترى الخلق رلا ترى الخالق، ليس معنى هذا أبدا أنه لا توجد مخلوقات غير مرئية، بل معناه أن كل ما تراه بعينيك فإن وما لا تراه هو الخالد الباقى. فى كتابى الأول كانت النفس والروح معا فى باب واحد. أنهما الآن منقسمان فى الباب الخامس الروح أمر الله نوره الذى تجسد فى الباب الخامس والنفس فى الباب السادس كائن غير منظور شبحى لا تراه مثل الملائكة والجن والشياطين. أنت موجود بالنسبة لهم وهم موجودون أبيت أم رضيت. فهمت أو لم تفهم.

وسائل منع الحمل ما هى إلا انتصار للفاجر على العاجز

بداية المشكلة

الإجهاض ضرورة قومية لماذا؟ وكيف؟

١ ـ أولاد السفاح فى إسرائيل ممنوعين من الزواج وضعت وزارة الشئون الدينية فى إسرائيل قائمة تضم أسماء عشرة آلاف إسرائيلى ممنوعين من الزواج لأنهم يعتبرون أولادا غير شرعيين ولا يجوز الأقتران بهم ذكرت ذلك إذاعة إسرائيلية وقالت أن المحاكم الحاخامية لديها هذه القوائم وترفض منح إذن بالزواج إلا للمدرج نسبه.

٢ ـ إن وسائل منع الحمل ليست إلا إنتصاراً الفاجر على العاجز وتحديد النسل جريمة إجتماعية سياسية. قد يبدو هذا مخالفاً لسياسة الدولة. لكن الأيام دُوَلٌ. حكام

اليوم يتصورون أن المحكومين «أفواه وأرانب» أما حكام الغد فسيبصرون الحقيقة الجلية. الإنجاب نعمة وليس نقمة. كل طفل له مخ والمخ كمبيوتر حى هدية السماء إلى البلهاء من الحكام فيستثمرون العقول ويصدرونها.

ليس هناك ما يعادل خطر ثقتك بانك على حق

إن نسبة المعتوهين والأشرار ثابتة فى جميع عينات المجتمع. عند رجال العالم كما عند أئمة توظيف الأموال. عند الكُتّاب كما عند الفلاحين. عند رجال الدين كما عند رجال السياسة. لكن الحقيقة هى أن كوارث التاريخ هى من صنع رجال الدين ورجال السياسة، أكثر مما هى صنع رجال العلم. كل جرائم التاريخ هى عواقب التعصب باسم القتال ضد الشيطان. المتعصب لا يعرف دين غيره. والمتطرف لا يعرف دينه. كل المذابح نُفذت بمقتضى الفضيلة بأسم الدين والحق، أو القومية الشرعية. أو الايديولوجيا العادلة. بإختصار ضد حقيقة آخر. ليست أفكار العلم هى التى تولد الأهواء وأنما الأهواء هى التى تستخدم العلم من أجل دعم قدسيتها. لا صوت يعلو صوت المعركة كان الشعار الذى أدى إلى النكسة. لأنه لا صوت إلا صوت الزعيم وكان لابد من تكميم الأفواه وأرنبة الرعايا.

للطلاق عشر فوائد

أيرلندا تُطلق حرية الطلاق وتلغى نصا دستوريا عمره سبعمائة عام. نقلت وكالة رويتر للأنباء من العاصمة دبلن خبرا مفاده أن أيرلندا ستوافق على إنهاء حظر الطلاق فى إستفتاء عام يتم يوم ٢٤/١٠/ ١٩٩٥. وهذا معناه تراجع سلطة الكنيسة الكاثوليكية الأيرلندية. وسيكون من حق الأزواج المنفصلين أن يتزوجوا مرة أخرى وهو الحق الذى يحظره نص دستورى بشأن الطلاق، يطبق منذ إنشاء الدولة قبل سبعمائة سنة وسيكون كذلك إشارة واضحة إلى تراجع سطوة الكنيسة التى منيت أخيرا بسلسلة من الفضائح تتعلق بإنتهاكات جنسية، إنتهكها قساوسة أيرلندا البالغ عددهم ٧٨٠٠ قسيس ضد أطفال.

(الأخبار١٣/ ١٠/ ١٩٩٥)

حقوق الأم وليس حقوق المراة:

هذه حرب بين الإنسان الأنوى والحيوان المنوى. بين الدين والديوان. بين التخلف والإنحلال. بين الشعوذة والشذوذ. بين الخنوع والعجرفة. بين الضعيف والقوى. أما لماذا

نحن مستضعفون فلأن الفريضة الغائبة هى الشورى. ولأننا اتبعنا النصيحة الخائبة أنه لا إجتهاد مع النص الشورى جهاد بالإجتهاد ولأننا إتبعنا شعار عبدالناصر «لا صوت يعلوا على صوت المعركة» فقد هزمنا وانتكسنا واتوكسنا حين قمت بمغامرة عقلية فريدة وصلت إلى ما يحسم الخلاف بين فقهاء المسلمين، بعضهم البعض، وبينهم وبين فقهاء المسيحين، بعضهم مع بعض. حين يكون الله وشرائعه هو الموضوع فالأدب واجب ؟؟ وحين يزول التناقض الصورى، يخشع البصر ونتكاتف جميعا رسل مختلفة لإله واحد وشرائع تبدو مختلفة لكنها متكاملة. سنتبين كلنا وفورا أن الإجهاض جريمة فى حق الله وحق كل من وما خلق، ولكنه فى الوقت نفسه ضرورة قومية. كيف؟ وسندرك حتما أن وسائل منع الحمل ما هى إلا إنتصار الفاجر على العاجز؟؟ كيف؟ لتطمئن على شرف المجتمع وبيتك يجب أن يقتصر إستعمال وسائل منع الحمل على المتزوجات ويجب على الجمعيات النسائية أن تطالب بحقوق الأم وليس المرأة. قد يصل المتشاورون، وهم جميعا وفى الأصل أولاد رجل واحد أسمه آدم، إلى الحل العادل العاقل الشريف. الغريب أننا لا نخجل من أنفسنا ولا نستشعر خطورة ما يحمله لنا المستقبل من نذر شر مستطير. ومن العبث مهما ظننا غير ذلك، أن يكون للشعب العربى دور فى صنع مستقبله أو المشاركة فى صنع مستقبل البشرية، لماذا؟ لأن معظمنا يغوص فى وحل الأمية والتخلف والجهل والباقى يحلق فى أوهام الأدعاء والتظاهر وإستهلاك ما يجود به علينا العالم المتحضر. لا يمكن أبدا أن تؤيد أو تعارض إلا إذا فهمت، ولن تفهم إلا إذا أمنت، ولن تؤمن إلا إذا أسلمت، ليس مسلما من ينكر حرفا من كتاب الله أو يعصى أمره. لن تؤمن إذا عاديت الله ولن تأمن إذا خالفت القانون. الله نخافه لأننا نحبه. أما القانون فنخافه ولا نحترمه

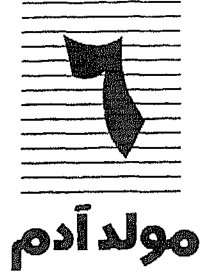
ما علاقة الإجهاض بالنفس

فما هو سر الإختلاف بين القمم الدينية الشامخة؟ بابا روما يُحرم وسائل منع الحمل والإجهاض. ومجمع البحوث الإسلامية لا يعترض على منع الحمل ويُحرِّم الأجهاض حتى الزانية والمغتصبة، والإمام الشعراوى أباح الإجهاض بشروط، وقال أن عدداً من علماء الإسلام أجاز الإجهاض لأى سبب إذا لم يبلغ الجنين عمرا قدره مائة وعشرون يوما، لأن الرسول قال « أن أحدكم يكون فى بطن أمه نطفة أربعون يوما ثم علقة بمقدار ذلك ثم

مضغة بمقدار ذلك وبعد مائة وعشرون يوما يأتيه الملك لينفخ فيه الروح. وقال أن هذه المدة لا تكفى أن تتحول المضغة إلى إنسان فهى ليست إلا «كنامية النبات». وقال أن دراً المفاسد مقدم على جلب المصالح »أما مفتى الديار فقد على صوته وأحتدت نبراته وقال لى وهو يتهدج حزنا ويثور غضبا «حلال». نعم إنه أفتى بالإجهاض فى حالة الإغتصاب. وذكر الحالة التى عرضتها عليه فى مكتبه فى حضور عميد كلية أصول الدين. وأفتى فى «الأهرام ويكلى» بالإجهاض فى بعض الحالات التى تعانى من ضائقة إقتصادية شديدة الأمر الذى يخالف فيه تماماً الشيخ الشعراوى. وقال المفتى أن الضرورات تبيح المحظورات وأن الذى يستطيع تقييم هذه الضرورة هو الطبيب. وقال أسامة سرايا أن هذه القضية تعتبر من الموضوعات التى تحظى بدرجة كبيرة من الإهتمام الدينى. وقال أن معظم الفقهاد يتركون هذا القرار للمعنيين به وليس للدولة أن تتدخل فى هذا الشأن. لا يستطيع أحد أن ينكر أن الإجهاض يحدث. وأنه فى تلك الأماكن التى يتم فيها الإجهاض تحدث مخاطر بالغة تهدد جياة المرأة وصحتها. لذلك يرى البعض أن عدم تجريم القيام بعمليات الإجهاض يعتبر بمثابة الحد الأدنى لحماية المرأة. ولكنه يرى أنه لا يمكن فرض وجهة النظر على الآخرين لمخالفتها للأحكام الدينية». وإحتار سرايا بين التحريم والتجريم. ونُشِرتْ أحدث رسالة علمية تدافع عن الجنين، للفتاة المثالية الباحثة «رشا محمود منصور» تحت إشراف أستاذ ورئيس القسم الجنائى بحقوق عين شمس فطالبت المشرع بوضع تعريف صريح لجريمة الإسقاط لكى تُحدّد أركانها ويمنع الجدل والخلاف الفقهى حولها. وطالبت أيضا بتحديد بداية الحمل ونهايته لكى يمكن السيطرة على الفترة الزمنية، لان المادة ٢٦٤ من قانون العقوبات تقضى بأنه لا عقاب على الشروع فى الإسقاط، وأن هذا النص الصريح يمثل أحجافا بحقوق المرأة من خيث عدم التجريم على الإسقاط وكأنه على الشرع أن يساوى بين الشروع فى القتل والشروع فى الإجهاض فكلاهما فعل إجرامى، وأوصت بأن العقوبة يجب أن تتفاوت شدة وفقا للفترة التى تم فيها الإعتداء على الجنين فلا يمكن تصور أن نساوى بين الإعتداء عليه فى الأشهر الأولى والأخيرة، وقالت أن القانون الكنسى يعتبر الإجهاض صورة من صور القتل العمد وأن الشريعة الإسلامية الغراء قد حرمت هذا الفعل الآثم لأنه قتل نفس. ومن البوتقة

التى انصهرت فيها كافة الآراء المؤيدة والمعارضة لمؤتمر السكان والتنمية. أشرقت هذه الفكرة الجديدة. والفكرة الجديدة ليست هى الفكرة التى لم تخطر ببال أحد من قبل ولكنها الفكرة التى خطرت ببال الناس جميعا وعبر عنها واحد منهم. واللفظ الجيد ليس إلا لأنه يقول الشئ الذى نفكر فيه جميعا بدقة ولطافة وبساطة. لماذا تعارضت آراء الفقهاء؟ وأين الحقيقة؟؟ إنطلق الفكر فى الأجواء العاصفة ليفسر سر الإختلاف فعثرت فى كتاب الله على الحل الأكيد لهذه المشكلة الصعبة. هذه هى الكلمة التى لم ينطق بها الآخرون. هذا هو الفعل الذى لم يجرء على إعلانه أحد قبلى. حين فسر إبن عباس آية غروب الشمس فى عين حمئة أن الشمس تغرب فى ماء وطين، نجد له عذرا ولا نقول أخطأ، وندرك فى الوقت نفسه أن التفسير الحديث هو الأصح. وحين يصرخ الفقيه: آمن أيها الضال، لكن إذا سرقت سنبتر يدك. أسلم أيها الجاهل، لكن إياك أن تتزوج لأن المحصن أو الذى كان محصنا سنرجمه بالحجارة حتى الموت لوزنى. أيها الكافر آه لو فكرت أن ترتد بعد أن أسلمت، سنقتلك. محمد الهادى البشير، الرحمة المهداة، هل تشدد ورفع القطع إلى البتر؟ ونسخ آية الجلد إلى الرجم؟ ولم يقبل سلبية أنه لا إكراه فى الدين فأمر بقتل المرتد؟. هذا الإسلام الدموى هو الذى فهمه الفقهاء. تحجر فكرهم عند أبن عباس. التفكير الذى كان فريضة إسلامية أصبح حراما والإجتهاد أصبح مكروها. نعم لا إجتهاد مع النص. لكن إذا قال الله إقطع يد السارق فلابد أن نقطعها لكن بعد أن نسأل أولا، ما معنى القطع؟ الحل البسيط لاختلاف رجال الدين والقانون حول الإجهاض هو الآية ٤٢ من سورة الزمر التى تفرق بوضوح شديد بين النفس والروح. الروح أيها السادة لفظ مفرد مذكر. «أرسلنا إليها روحنا فتمثل بشرا سويا». والنفس لفظ مؤنث. ﴿يا أيتها النفس﴾. ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾. ﴿حتى إذا بلغت الحاقوم﴾ لا يوجد شئ أسمه روحى وروحك ولا روحه طلعت ولا بال على روحه؟؟ لا يجوز مطلقا جمع لفظ الروح أو إضافة أى ضمير إليه لأنه أمر يخص ذو الجلالة وحده (أمر. من أمره) لا يجوز أن نقول الأرواح الشريرة ولا أن نتصور أنه يمكن تحضير الروح، ولا أنه يزهق. الموت ليس قبض الروح ولا يستطيع مخلوق لله حتى لو كان أسمه عزرائيل أن يقبض على الروح الذى هو من أمر الله. الروح لفظ مقدس نبيل لا يجوز إلا السجود له.

الموت أيها السادة هو إمساك النفس، راجع تفسير الآية ٤٢ من سورة الزمر. فى البداية، كان الشيخ الشعراوى يقول أن النفس إلتقاء الروح بالجسد، ثم غير رأيه وقال أن النفس غير الروح ثم استقر رأيه أخيرا على أن النفس روح الروح أقول له هذا غير صحيح. وحين يتكلم مؤخرا عن «الروح الإنسانية» أقول له إن هذا غير صحيح أيضا فالروح أمر إلهى يجوز له فقط أن يقول النفس الإنسانية وحين يقول المفتى أن أقل الحمل ستة أشهر أقول له هذا غير صحيح، لأنه أخطأ فى الحساب. وإذا فسروا الظلمات الثلاث بإنها جدر فى البطن، أقول لهم هذا غير صحيح وأنها تعبر عن الزمان وليس المكان. والصحيح أيضا أن الله خلق الأنفس أولا وأشهدها عليهم النفس كائن غير منظور، تماما كالجن والملائكة، هل تراهم؟ هذا المخلوق الخفى هبط إلى الكائن الميت «كنتم أمواتا فأحياكم». «يحيكم ثم يميتكم». هذا الكائن الخفى يقود سيارتك (جسدك). هذا هو التفسير الصحيح لعذاب القبر، وللإسرا ء والمعراج، ولكل عجائب وغرائب لآيات غامضة.. لا يمكن أبدا أن تنشر الإسلام فى العصر الحديث حين تقول أن مُحمدا إخترق الفضاء وصعد إلى السموات العلا راكبا دابة فوق الحمار ودون البغل. عيب. الإسراء تم والمعراج تم. لكن محمدا بالذات ليس فى حاجة إلى معجزة حسية. لا لإحياء الموتى ولا الإبراء الأبرص ولا لفلق البحر ولا لدحرجة الحجر. هذه آيات للناظرين الذين حضروا هذه الأحداث. لكن معجزة محمد هى آيات للعالمين. «القرآن الكريم». الذى يجب أن يعاد تفسيره ولا يمكن أن يظل تفسيره حكراً على فقهاء الدين فهناك آيات يستحيل أن يُفسرها إلا فقهاء العلم. بالعقل والنقل ستتحد المعرفة وتتجدد وتتعالى على التخلف والجمود.



مولد آدم

العلم والإيمان

كل فكرة خالية من الحياة، جثة طافية

الإعتقاد قضية علمية. الأسطورة والخرافة. الدجل والشعوذة. الناسخ والمنسوخ.

الموقف العلمى يلعب دورا محددا تماما بين الممكن والمستحيل. بين الغيب والواقع. فى القرن السابع عشر كان من الحكمة إعتبار العقل أداة ضرورية لمعالجة شئون البشر. أما فى عصر النهضة الأنوار القرن التاسع عشر، فقد كان من الجنون إعتبار العقل كافيا لحل جميع المشاكل. فى يومنا هذا قد نكون أكثر جنونا إذا قررنا، كما يريد البعض، أن العقل لم يعد ضروريا، متذرعين بأنه غير كاف. لا شك أن العلم يحاول جاهدا وصف الطبيعة وتمييز الحلم عن الواقع. لكن يجب ألا ننسى أن الكائن البشرى ربما يحتاج إلى الحلم كما يحتاج إلى الواقع. الإيمان هو الذى يمنح للحياة معناها. الإيمان معناه إمكانية تحويل العالم الحالى فى يوم من الأيام إلى عالم ممكن يبدو أفضل. سواء أثناء الحياة أو فى العالم الآخر. العلمانية: لفظ مزدوج يعبر عن (علم+ إيمان) العلم هو التفكير لا التقميش. المبادأه لا الإجترار. وليس كما يفهم الكثيرون أنه موقف ضد الدين أو أنه يستبعده.

الإعتقاد قضية علمية

«إن العقل ميزان الله فى أرضه ولا تعارض بين العلم بالمخلوقات والعلم بالخالق».

الإمام الغزالى

«كلما كانت معرفتنا بالمصنوعات أتم كان معرفتنا بالصانع سبحانه وتعالى أتم وأكمل»

إبن رشد

لولا إختلاف الأذواق لبارت السلع. ولولا أختلاف الفقهاء لضاعت الحقيقة.

منذ القرن التاسع عشر فى الغرب كان الدين والعلم فى موقف التعارض. وكانت الحجة وراء ذلك تكمن فى التناقض بين ما جاء فى النص التوراتى وبين المعلومات العلمية. هذا التعارض لم يعد له وجود منذ اللحظة التى تقرر فيها «المصدر البشرى» لهذا النص. ومن المهم أن نضع فى إعتبارنا أن المفسرين المسيحيين أنفسهم يعتبرون واضعى النصوص التوراتية ملهمين من الله. وأنه من المحتمل أن يخطئوا.

رحلة عالم ونزهة فقيه: لا العالم كافر ولا الفقيه فاجر

1 ـ رحلة دارون

هذه لقطة شعرية من كتاب أصل الإنسان الذى ألفه العالم الصليبى الكافر داروين بعد أن أتم رحلته الإستكشافية حول العالم لمدة خمس سنوات.

«إنه لمن الممتع أن نرقب ضفة يكسوها العديد من النباتات من كل الأنواع تصدح فيها الطيور، وتزحف فيها الديدان مخترقة التربة الرطبة، ثم نتأمل كيف أن تلك الصور الحية

المبنية أحسن بنيان. نشأت كلها بقوانين تعمل حولنا، وهكذا فإن أسمى هدف فى هذا العالم، هو نشوء الحيوانات الراقية. ليتحقق مباشرة من حرب الطبيعة، ومن الموت.

إن هناك جمالا وجلالا، فى هذه النظرة عن الحياة. بقواها العديدة، التى نفخها الخالق لأول مرة، فى عدد قليل من الصور، أو فى صورة واحدة. وإنه بينما ظل هذا الكوكب يدور طبقا لقوانين الجاذبية الثابتة كانت وما زالت تتطور من مثل تلك البدايات البسيطة صور لا نهائية من الحياة غاية فى الجمال، وغاية فى العجب».

أما آنيشتين الفيزيائى العبقرى اليهودى فقد قال «إينما أتوجه بعينى فى السماء لا أجد إلا البساطة. إلا الجمال. إلا الله».

لقد حرمت الكنيسة أيام زمان تدريس مذهب النشوء.وهذا هو التحقيق الذى جرى مع الأستاذ الذى خالف قانون التحريم.

١ ـ هل تقرر أن كل ما ورد فى التوارة ينبغى أن يقبل بتفسيره حرفيا؟

ـ أنا أقرر أن كل ماورد فى التوراة ينبغى أن يقبل كما ورد فيها. وبعض ما جاء فى التوراة

قد ورد على سبيل التشبيه، كقوله - إنكم ملح الأرض - فلا أستلزم من ذلك أن الإنسان كان ملحا أو إنه كان له دم من الملح ولكننى أفهمها كما أفهم معنى شعب الله المختار.

٢ - هل لك أن تخبرنى يا «مستر برايان» كم عمر الكرة الأرضية؟

- كلا ياسيدى، لست أدرى.

٣ - ولا على وجه التقريب؟

- لعلى أحاول ولعلى أقترب من تقدير العلماء، ولكننى أحب أن أدقق كثيرا قبل الجواب.

٤ - إنك لاتعبأ كثيرا بالعلماء، أتعبأ بهم حقا؟

- نعم ياسيدى.

٥ - أتعتقد أن الكرة الأرضية صُنعت فى ستة أيام؟

- ستة أيام! نعم، ولكنها ليس أيام الأربعة والعشرين ساعة.

واحتدم الجدل أثناء الاستجواب واندفع الدفاع الى التشهير بالعقائد واندفع ممثل الاتهام للتنديد بالمذاهب العلمية وكانت حصيلة هذا أن قانون التحريم سقط بالاهمال ثم بالإلغاء.

2 - نزهــة فقيـــه:

وهذه لقطة نثرية لبعض ماكتبه علماء المسلمين.

جاء فى كتاب «الجنس وعلماء الإسلام». كلام فى محرمات التطرف ورجال الدين. حول بعضهم الجنة الى مرتع خصب لخيالاتهم الجنسية ومحيط للذة والعشق والشبق فغرق فيه من غرق بالكتابة عن الغلمان المولدين والحور العين ونساء الجنة ووطء الحسان. هذه النزهة المرحة فى شرح المقامات لابن عبد المؤمن قال «اقبل رجل على علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين إن لى إمرأة كلما غشيتها تقول «قتلتنى قتلتنى» فقال له «اقتلها وعلىّ إثمها».

وقد كتب العارف أبى عبد الله محمد النفزاوى قاضى الأنكحة فى تونس بعد أيام من التقائه بابن بطوطة حين وصل إلى طنجة سنة ١٣٢٤ فى بدء رحلته الشهيرة كتابا اسماه

«الروض العاطر فى نزهة الخاطر» استمد مادته من روايات ومؤلفات ومصنفات الذين سبقوه من العلماء والمحدثين وصنفها وبوبها على نحو منسق متسلسل بدءا باللغة فالأحاديث والآثار فالأخبار فالأشعار، وقال فى مقدمته. هذا كتاب جليل ألفته بعد كتابى الصغير المسمى «تنوير الوقائع فى أسرار الجماع». والواقع أن هذا الكتاب أشهر من كاتبه. هل سمعت به؟ قطعا أو طبعا أو ربما لا لكنه أشهر كتاب إسلامى فى الجنس ولا يلمس الجنس أو لامسه أو يتكلم عنه أو يقترب من أنفاسه أو يحكى لهثاته بل هو كتاب مغرق فى الجنس يفنده، يحلله، يشرحه، يعيد النظر اليه ويمعن الرؤية فيه. يتغلغل فى تفاصيله ويتسلل إلى منمنماته. وقال فيه. إعلم يرحمك الله أن النساء على أصناف شتى أما المحمودة منهن عند الرجال فهى المرأة الكاملة القد، خصيبة اللحم، كحيلة الشعر، واسعة الجبين، ظريفة الأنف، ضيقة الفم، محمرة الشفاة واللسان، طيبة الرائحة، طويلة الرقبة، غليظة العنق، عريضة الأكتاف، واسعة المحزم، كبيرة الترمتين، واقفة النهدين، سرتها واسعة غارقة، ضيقة الفرج ليس فيه نوه، رطبٌ، سخون تكاد النار تخرج منه. إن أقبلت فتنت وإن أدبرت قتلت وإن جلست.. وإن رقدت.. وإن وقفت... بصراحة أخجل أن أستمر.

أما العالم الجليل جلال السيوطى الفقيه الورع الذى كتب، «الاتقان فى علوم القرآن،» الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، «أسرار التنزيل » ـ هو نفسه الذى كتب. نزهة العمر فى التفضيل بين البيض والسمر:

طوق الحمامة

أما الإمام بن حزم فلا أعرف رجلا أحب وكتب عن الحب أعذب وأرق وأصفى وأجمل وأنبل وأبلغ وأحلى وأروع وأعظم من هذا الفقيه، أحد أهم فقهاء الدين الإسلامى وأحد أشهر تسعة فقهاء، فإذا قرأت له ـ طوق الحمامة فستدرك أن العالم داروين ليس كافرا والفقيه المسلم ليس فاجرا.

إن الاختصاص فى فرع من العلوم، الدينية أو الطبيعية أو القانون، لا يعصم صاحبه من الوقوع فى الخطأ أو الدفاع عن الأفكار الخاطئة فى ذلك الفرع. وهناك أمثلة كثيرة نستطيع مشاهدتها فى حياتنا اليومية، فمثلا هناك الكثيرون ممن تبحروا فى القانون

وحصلوا على درجات علمية عالية فيه ولكنهم لا يترددون مطلقا فى إعطاء فتاوى جائرة فى أكثر القضايا ظلما دون أن يرف لهم طرف وذلك تبعا لانتمائهم الحزبى أو لعقائدهم السياسية كما حدث من الدكتورة التى كانت وراء صدور القانون ٩٥/٩٣ الخاص بجرائم النشر والسيدات اللاتى كن وراء مشروع وثيقة الزواج الجديدة «الزواج ضار جدا بالصحة»، والقوانين سيئة السمعة التى صدرت فى عهد الرئيس الراحل. وحيرة المسلمين بين فضيلة شيخ الأزهر السابق ومفتى الديار السابق أيضاً فى اختلافهما حول تحليل الحرام وتحريم الحلال. لذا فما المانع أن يتكرر الخطأ الذى يقع فيه الفقه والتشريع فى ساحات العلوم الأخرى؟

١ ـ فمثلا المحامى «شارلز داوسون» وهو أحد رواد التنقيب عن آثار البشر خدع كبار العلماء بالتزوير. فقد قام بمهارة المحترف، بوضع فك قرد بجمجمة إنسان فأعلنوا مخدوعين أن تاريخ التطور يجب أن يكتب من جديد مما أكد شكوك علماء الدين فى أن موضوع التطور لاعلاقة له بالعلم. وأنه فقط البديل الوحيد لتدمير فكرة الخلق. وأنه التفسير البليد لنشأة الحياة بدون الحاجة إلى خالق «كون بلا خالق» و«خلق بلا مسئولية». «من العدم وإلى العدم».

٢ ـ وعملية تزوير صور الأجنة بمعرفة العالم الألمانى «إرنست هاكل» الذى قدم الصور المزورة واعترف بذلك، محاولا اقناع الناس بأى ثمن وبأية وسيلة بنظرية دارون، وإن كان عن طريق جعل العلم أداة للتزوير والغش. تلك النظرية التى استفاد منها روكفلر الأمريكى فى تثبيت الرأسمالية، وماركس الشيوعى فى هدم الدين، وهتلر النازى فى حرق اليهود.

ظل الإنسان آلاف السنين يتأمل فى نشأته وأحواله ومصيره إلا أن مصدر تفكيره الوحيد كان إلى عهد قريب أفكاره المستقاة من التعاليم الدينية والأنظمة الفلسفية العديدة. لكن بعد أن توصل الإنسان إلى معلومات من نوع مختلف أصبح فى إمكانه أن يتناول الآن قضية أصله من زاوية جديدة.

١ ـ «يقول الفلكى» العظيم ـ جينز» إذا فرضنا أن عمر الكرة الأرضية يبلغ مائة سنة فإن عمر النوع البشرى لايزيد على أربعة أيام من هذه السنوات المائة أما عمر حضارته

ومعارفه كلها فلا يزيد على بضع دقائق».

٢ ـ ويقول العالم الشهير «جورج جاموف» لقد سار الكون بضع ساعات فتخلقت الذرات وبضع مئات من ملايين السنين لتكوين النجوم والكواكب ولكنه سار ثلاثة آلاف مليون عام ليظهر الإنسان.

هل من المعقول أن يخلق الله الكون فى آلاف الملايين من السنين ثم يخلق الإنسان خليفته فى اللحظة الأخيرة فقط؟ الواقع أن كل هذا الزمن الذى يبدو لك سحيقا كان لازما لخلق الإنسان. وهذا معنى أنه خلق من تراب ساذج كل من يتصور أنه جمع ترابا ونفخ فيه فانتصب آدم. تجاهلك لشَعاع الزمن وكيفية الخلق يهدر الحكمة والقدرة الإلهية الجبارة ويهدر أيضا تقديرك لعقلك الذى أبدعه أحسن الخالقين. نحن نعيش فى عصر يزعم فيه العلم القدرة على الإجابة المنطقية على كل الأسئلة المهمة التى يطرحها العقل الإنسانى وقد حقق داروين نجاحا هائلا على مستوى شعبى حين أصدر كتابه أصل الانواع والذى صدر فى انجلترا سنة ١٨٥٩. لماذا هذا الأثر الكبير لنظرية ساقت فقط بعض الافتراضات التى تتعلق بأصل الإنسان؟ لأنه كانت هناك فى الغرب كراهية متأصلة للتعاليم الدينية. حدث إنقلاب فكرى مرتبطا بالفتح السياسى للكرة الأرضية. إنقلاب كان الرجل الغربى يجدد به التصور الذى كان يكونه لنفسه عن العالم منذ القرن الثامن عشر حتى العصر الكلاسيكى لم تكتف أوروبا بإحلال التمثيل التصويرى محل الترميز بل أحلت التاريخ محل السيرة والفعل محل الصلاة والدراما محل السر المقدس والرواية محل السرد، وتعدد الأصوات محل الصوت الواحد والنظرية العلمية محل الأسطورة. فشعر الإنسان بالحرية وذهب الناس أبعد مما ذهبت إليه نظرية داروين ذاتها التى وزعم أن الإنسان سليل القرود بل سليل نوع مختلف، سابق فى الوجود. وأنه على الأرض نتيجة تطور سلسلة من سلاسل مملكة الحيوان. وصدق زعمه.

لايحتاج المرء لأن يكون حقوقيا لكى يستطيع أن يعرف أن جملة وحيدة مضافة لاحقا إلى نص ما يمكن أن تغير معنى النص أو لربما تحوله إلى نقيضه. لذلك أصيب الذين يتمسكون بتعاليم العهد القديم بصدمة لأن التوراة قررت بوضوح كامل أن الأنواع ثابتة وأنها غير قابلة للتغير والتحول أما وقد ثبت خطأ التوراة التى كانت تعتبر حتى ذلك

الحين كلمة الله فإن الشك بدأ يتسرب إلى بعض النصوص. بل إن الأمر بالنسبة للكثيرين أصبح يعنى رفض النص الكامل لإنجيل والتوارة. ونتيجة لذلك أدت النظرية إلى تأكيد مقولة أن المعارف العلمية قد قوضت الإيمان بالله. للوهلة الأولى تبدو هذه المقولة منطقية. فى العالم الغربى إنهارت الفكرة القائلة «بكتاب وحى» يقبل جملة وتفصيلا. وحل محلها تصور كتاب يُلهم الله كاتبيه. ومن ثم كتب رجال من البشر الكتاب المستلهم فى أزمنة مختلفة، وأشتقت أفكاره من أفكار عصره كما تضمن أيضاً التقاليد والأساطير والمعتقدات التى سادت وقت تسيطره. التوراة كتبها أحبار اليهود فى المنفى أثناء سبى بابل بعد ٦٠٠ سنة من وفاة موسى. لذلك أتفق على أن الأخطاء العلمية التى فى التوراة إنما هى أخطاء بشرية لأن الإنسان فى الأزمان التى خلت كان كالطفل لجهله آنئذ بالعلم. هذا الكلام منقول عن أعمال المفكر المسيحى المبرز جان جوتيون Jean Guitton عام ١٩٧٨ الذى أعلن أنه يجب أن ننظر إلى نصوص التوراة من زاوية تختلف جدا عما كانت عليه القاعدة. وفى الواقع كان الناس يعتقدون أن قصة خلق الكون والإنسان قد كتبها موسى بنفسه. إلا أنه فى واقع الأمر، نجد أن أطول أجزاء سفر التكوين، «النص الكهنوتى» قد كتبها قساوسة فى القرن السادس قبل الميلاد. وهناك رواية أخرى «النص اليهودى» قد يعود تاريخها إلى القرن التاسع أو العاشر قبل الميلاد. وفى ضوء ذلك نجد أنه من الصعب أن نأخذ الأفكار القديمة مأخذ الجد. أما بالنسبة للعهد القديم فقد عدلت المعلومات التى توفرت عن مؤلفى التوراة الأفكار القديمة والآراء العلمية كما أعانتنا تلك المعلومات على تمييز العامل البشرى فى النصوص. فالنسخة اليهودية القصيرة أجتزئ منها ما أجتزئ منذ زمن قديم فى القرن التاسع والعاشر قبل الميلاد. أما النسخة الكهنونية الأطول والأكثر شيوعا فهى من وضع القساوسة فى القرن السادس قبل الميلاد والفصل الذى يتناول الخلق يتصدر سفر التكوين. ثم بعد ذلك تبنت المسيحية ما ورد فى الكتاب المقدس من أقوال.

أشد الفقرات تعارضنا مع العلم هى التى تقول أن الإنسان ظهر على وجه الأرض من حوالى ٦٠٠٠ سنة. لانعلم ديانة من الديانات الكبرى التى يؤمن بها أبناء الحضارة عرضت لتاريخ الإنسان غير الديانتين البرهمية واليهودية، لم يوجب القرآن على المسلم مقدارا محدودا من السنين لخلق الكون أو لخلق الإنسان. الديانة البرهمية تقول «بالدورة الأبدية»

التى تتكرر فيها حياة الإنسان مع حياة الكون بغير أجل معروف فى البداية أو النهاية وعند البرهميين أن الكون فلك كبير يتم دورته المتكررة كل ٣٦٠ سنة وكلما انتهت دورة بدأت دورة أخرى من دورات الوجود السرمدى. عودا على بدء إلى غير انتهاء. أما المصادر اليهودية فهى على حسب تحقيق الفقيه الكبير جيمس بوشر المتوفى سنة ١٩٥٦ تدل على ابتداء الخليفة فى شهر أكتوبر سنة ٤٠٠٤ قبل الميلاد وقد سطر أسانيده التى بنى عليها هذا التقدير فى كتاب ضخم أسماه «السجلات القديمة والعهد الجديد Annales Veteris Novi testamen . وأضيف هذا التاريخ إلى نسخة التوراة التى ترجمت على عهد الملك جيمس وبهامشها تواريخ الأحداث المذكورة فى متونها. وظل هذا التاريخ معتمدا فى طبعات التوراة المنقولة عن هذه النسخة إلى العهد الأخير ثم أجمع شراح الكتاب العصريون يهوداً ومسيحيين على تقدير السنين والأيام التى وردت فى صدد الكلام عن الخليقة بمقادير غير مقادير السنين والأيام الشمسية واستندوا الى ان اليوم الشمس وأن السنة الشمسية تساوى مدة دوران الأرض حول الشمس مرة واحدة فلا يمكن أن يكون اليوم من أيام الخليقة يوما شمسيا لأن الشمس نفسها خلقت فى اليوم الرابع كما جاء فى الإصحاح الأول من سفر التكوين وأضافت فى العهد الجديد معلومات تتعلق بالفترة الزمنية التى قضايا الإنسان على الأرض وظلت هذه المعلومات تتكرر بإخلاص ودقة فى نسخ الكتب المقدسة.
ومن أمثلة التعاليم الدينية التى كان يتلقاها الجيل الصاعد من النشئ المسيحى أن ظهور الإنسان على وجه الأرض يمكن أن يقدر على وجه التقريب بسنة ٤٠٠٤ قبل الميلاد. اما عن القرآن وما ورد فيه من حقائق عن أصل الإنسان فسوف يثير دهشة الناس لأن التفاصيل التى أمدتنا بها التوراة فى وصف الخلق، وهى غير مقبوله علميا، لا يوجو لها مثيل فى القرآن، الذى يحوى فعلا آيات بينات تدعو الى العجب وإعمال العقل. وإذا وضعنا فى اعتبارنا مستوى المعارف التى كانت سائدة وقت نزول القرآن فإنه يستحيل تفسير وجود هذه الآيات بالمنطق البشرى. ولم تشرق شمس الحقيقة على العرب إلا فى ٧٦/١١/٩ حين قدم موريس بوكاى إلى الأكاديمية الطبية الوطنية الفرنسية بحثا عن معطيات علم وظائف الأعضاء فى كل الكتب المقدسة. قال فيه إن وجود هذه الأخطاء العلمية لايثير العجب بل إن الذى يثير العجب حقا من وجهة نظر منطقية، هو عدم وجود أخطاء على الإطلاق. وتعترف أكثر الدوائر اليهودية استتارة بأن الرواية الكهنوتية لسفر التكوين بها أخطاء علمية، وتبرر

ذلك بأن أهم ما كان يشغل الكهنة أساسا فى القرن السادس قبل الميلاد هو توجيه المؤمنين وإرشادهم إلى قدرة الله العزيز. وفى سبيل ذلك فإنهم قصوا حكاية شاعت فى ذلك الوقت عن وصف أهل السموات والأرض والمخلوقات الحية والإنسان ونشأتهم جميعا وصيغت القضية بكلمات وصور يمكن أن يفهمها معاصرو الكهنة ومن عاشوا أيامهم. ويستطرد قائلا أن آيات علم الأجنة الذى عرض له القرآن منذ نحو أربعة عشر قرنا سبقت الإكتشافات العلمية الحديثة. وهذه نقطة مهمة لايدركها فقهاء المسلمين. إن المعطيات العلمية الأكيدة الثابتة تتفق لأول مرة مع كتاب مقدس. وطبقا للوثيقة التى أقرها المجلس المسكونى الثانى للفاتيكان. The second Vatican Can Council 1962-1965 فإن كتب العهد القديم تحتوى على مادة تفتقر إلى الكمال. ولم تحدد الوثيقة أى مادة تقصد. ومع ذلك لازال كثير من العلماء يحتقر أو على الأقل لايبالى بأى تعليق يتناول أمور ما وراء الطبيعة أو الميتافيزيقا أو الدين، باعتبار أن العلم هو مفتاح كل شئ ويفصلون فصلا تاما بين معارفهم العلمية ومعتقداتهم الدينية.

ملحوظة: «استشعرت» هذا الاتجاه فى مقابلتى مع عالمنا الكبير الدكتور أحمد مستجير. ويرفضون إقحام الكتب المقدسة للديانات التوحيدية فى البحث والمناقشة. هذا الإنفصام بين العلم والدين مرض يصيب بعض المؤمنين بالله ويخفون فى أنفسهم خوفا دفينا أن يثير العلم تساؤلات عن عقيدتهم عن طريق مقارنة بين ما جاء فى القرآن المنزل وما جاء فى الكتب المؤلفة المقدسة الأخرى واستقر فى نفوسهم أن هذه المناظرة خطيرة. وهناك أسباب أخرى عديدة ليس أقلها عدم الإدراك بل إن الذين يعرفون القليل عن الديانات الأخرى غالبا ما يعلمون قليلا عن كتبهم المقدسة. يلزم أيضا أن نكون على وعى أن الديانات التوحيدية حسب ترتيبها الزمنى، اليهودية تتبعها النصرانية ثم الإسلام تمثل المعتقدات الدينية لأكثر من ثلث البشر. وقد يؤدى التعرف على نظرة الدين لأصل الإنسان إلى نظرة أكثر إمتاعا وإلى ظهور أفكار جديدة لايتطرق إليها الشك لدى كثير من الناس تؤدى إلى نبذ العداء القديم بين الدين والعلم وبين الأديان المختلفة.

لاشك أن جميع المستويات المعرفية مؤقتة. وهذا ينطبق أيضا على الآراء حول التقدم الذى ستستطيع العلوم تحقيقه مستقبلا والذى تحقق فعلا. لذلك فإن من يتمسك مبدئيا بلا إمكانية تفسير ظواهر طبيعية معينة عليه أن يتحمل المخاطرة بأن العلم سينقضه

مبكرا أو متأخرا عاجلا أو آجلا. هذه هى التجربة المرة التى عاناها اللاهوتيون فى القرون الأخيرة إذ أرغمهم إصرار العلماء وصمودهم على التخلى عن حصونهم واحداً تلو الآخر. كلما فسر العلماء ظاهرة طبيعية تصدى لهم اللاوتيون بقولهم لابأس، معكم حق، يبدو أن الظاهرة الجزئية التى فسرتموها قابلة فعلا للتفسير بطريقة منطقية علمية. لكن أنظروا كم هو كبير هذا العالم كله. هناك عدد كبير من الظواهر والعلاقات التى لن نستطيع نحن البشر رغم كل التقدم العلمى أن نفسرها أبدا. لأن الكون ككل يفوق قدرتنا على الاستيعاب. هذه الحجة صحيحة إلى حد معين. وهو أن الكون لايمكن استيعابه كاملا على الإطلاق من قبل أى كائن أيا كان، فى أى مكان وأى زمان، لكن اللاهوتيون يقعون دائما، مرارا وتكرارا فى الخطأ حين يدعون أن هناك ظواهر غير قابلة للتفسير ويقدموها على أنها براهين على الحقيقة الإلهية. يستخدمون عجائب الطبيعة غير القابلة للتفسير كبراهين على وجود الله. هذه الطريقة فى البرهان لا تستطيع الصمود أبدا. بدأت هذه الإنزلاقات اللاهوتية بالإدعاء بان «السماء» هى بكل المعنى الحرفى للكلمة، المقر الذى يقوم فيه العرش الإلهى. أصدر اللاهوتى الفرنسى الليبرالى عضو الأكاديمية الفرنسية فرانسوا فينلون نشره بعنوان «دلائل الطبيعة على وجود الله»، وغائية جمع ظواهر الطبيعة». تحركات النجوم ومااينتج عنها من تتابع الليل والنهار، بنية الكائنات الحية التى تكيفت مع شروط الحياة حتى أقصى تفاصيلها ودقائقها بصورة مذهلة، نقمة المطر كماء هاطل من السماء، مهارة النباتات فى التكيف مع تبدل الفصول وتتابعها. كل هذا كان ليس له تفسير طبيعى على الإطلاق، وبدا عجيبا ومليئا بالعبر. وكان يسأل قراءه دائما، أليست هذه دلائل قاطعة على وجود الإله؟. هل تستطيع تصور معجزات أكثر إعجازا؟. ورغم أن كل ما قاله يبدو معقولا حتى اليوم لكن علوم الطبيعة كشفت وفسرت كل هذه العجائب الواحدة تلو الأخرى. إذن المعجزة ليست مرتبطة بما لايفسر من قبل العلم. والبرهان على وجود اله لايتوقف على مثل هذه المعجزات. هذا الموقف اللاهوتى جعلت عالم الحيوان إرنست هاكل المعادى للكنيسة يطلق تعبيرا جارحا عن «أزمة السكن الالهية» لأن الإله لا يتواجد إلا فى الجزء غير المفسر من العالم أو غير القابل للتفسير. ما هى حجة هاكل؟ إن العقيدة الدينية تقوم على الخوارق والمعجزات. وأنه لاسبيل إلى التوفيق بين «عقيدة» تقوم على خرق قوانين الطبيعة وبين «علم» يقوم

على تفسير الكائنات بما تقتضيه هذه القوانين. المعجزة الخارقة قائمة على مناقضة، ينقطع الرجاء فى التوفيق بينها وبين عقيدة العقل الطبيعة. كيف نتفاهم مع أناس يستطيعون أن يصدقوا كل التصديق أن الشياطين تتلبس بأجسام الخنازير وأن اله خلف ولد من أمه مريم Mere de-Dieu؟. نفى رائد الفضاء الأول الروسى جاجارين أنه رأى الله. غسلت الشيوعية مخه وأعدمت ضميره.

الاتجاه المعاكس

بين الفلكيون أنه لايوجد فى السماء مكان نستطيع أن نتوقع وجود الإله فيه. أما الكيمائيون فقد بدأوا فى تحضير مواد عضوية أكثر تعقيدا فى مخابرهم. وأخيرا تمكن التطوريون وعلى رأسهم داروين من تفسير غائية التكيف الطبيعى للكائنات الحية مع الوسط الذى تعيش فيه بمساعدة قوى بسيطة، للإصطفاء الطبيعى الإنتقائى والطفرات. وبقدر ما، كانت الكنسية خاطئة فقد انتقلت العدوى الى علماء الطبيعة حيث وقع كثيرون منهم بخطأ مماثل ولكن فى الاتجاه المعاكس. إذ كانوا كلما أحرزوا تقدما وكلما حصلوا على معرفة جديدة يتضاءل لديهم الاعتقاد بوجود إله، أو بوجود حقيقة فوق الطبيعة أو ما وراء الطبيعة تختبئ خلف واجهة المرئيات. ألم يؤكد لهم اللاهوتيون بأن على المرء أن يعتقد بوجود الإله لأن عجائب الطبيعة تتجاوز حدود العقل البشرى؟ ألم يشيروا الى ظواهر ملموسة معينة يؤكد عدم قبولها للتفسير على وجود كائن متفوق طبيعى؟ لذلك فإنه عندما تخضع جميع هذه الظواهر للتفسير العلمى التحليلى فينتج عن هذا منطقيا أن وجود الإله لم يعد ضروريا لتفسيرها.

أجاب العالم «لابلاس» بكل فخر«نابليون»، عندما سأله لماذا لم يذكر الله مطلقا فى كتابه الشهير حول «نشوء المنظومة الكوكبية». سيدى، لا أحتاج إلى هذه الفرضية!. تكمن أهمية هذا الجواب فى معناه المزدوج. لقد كان لابلاس محقا تماما فى قصده بأن بحث الظواهر الطبيعية سيكون لا علميا وخاطئا إذا فى تفسيرها على تدخل فوق طبيعى اعتمد بدلا من البحث بجلد عن الترابطات السببية التى تقوم عليها أى أنه كان يريد أن يقول لنابليون إن العلم يستطيع أن يفسر الظاهرة دون افتراض تدخل فوق طبيعى. اعتزازه بعلمه كان محقا ومشروعا. غير أن لابلاس كان يعنى بجوابه أكثر من ذلك،

ولهذا السبب نال الجواب كل هذه الشهرة وتناقلته الأجيال غير المؤمنة. كان يعتقد شأنه شأن معظم علماء عصره أن الكون بكامله قابل للتفسير ولذلك لم يعد يعتقد بوجود الإله. لقد نجح اللاهوتيون باقناعه واقناع زملائه أن العلم ضد الدين بل وبأكثر من ذلك أن الواحد منهما ينفى الآخر.

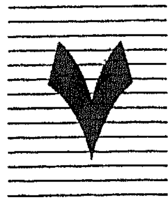
قدمت السينما هذا المشهد السينمائى رائع كدليل على جهل هؤلاء وهؤلاء: قبل ربع قرن انتج المخرج الأمريكى العبقرى «اورسون ويلز» فيلم مغامرات أنهاه بمشهد مثير لم أر أفضل منه فى أى فيلم آخر من هذا النوع. وضع البطل فى المرمى المريح بالنسبة لعدوه. المسافة قريبة والإنارة كاملة وبدون أى تغطية ورغم ذلك بقى البطل عمليا خارج الخطر. حصل المشهد فى مينة ملاهى. وتقوم الخديعة على أن البطل نجح فى استدراج خصمه الى صالة مليئة بالمرايا. هنا ظهر البطل أمام عدوه بوضوح كامل دون أى خوف لكن لم يكن ظهورا واحدا وإنما عشرات الصور المتشابهة التى عكستها جدران الصالة المغطاة بالمرايا والمصممة بطريقة ذكية وخادعة. انتهى الصراع كما يجب أن ينتهى فى مثل هذه الظروف. أطلق «الجاهل»، بغضب عارم يائس، العيارات النارية على الصور العديدة لعدوه وأحدث كومة من شظايا الزجاج وفرغ مسدسه قبل أن يصيب الحقيقة الكبرى. لاشك أن الفكرة عظيمة وذكية إذ من الصعب أن نتصور طريقة للتمويه أكثر ذكاء ودهاء. «ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين». عندما لا تكون لديك رغبة فى الظهور المباشر أمام عدوك فإن أفضل وسيلة هى المكر. بتعدد الأهداف الوهمية التى يُتصور دائما أنه موجو فيها. هذا مايفعله المحاربون منذ القدم حين يحاول كل طرف تحويل نيران العدو عن الأهداف الحقيقية إلى أهداف وهمية ويتم ذلك ببناء مطارات هيكلية أو دبابات ورقية وغير ذلك. أينما وكلما ضُللت بمثل هذه الخدع افترض فورا وجود عقل ذكى مدبر «خفى سره وظهر أثره».

الغش الإيجابى والغش السلبى

إن قاعدة اللعبة فى العلم هى عدم الغش، لا فى الأفكار ولا فى الأفعال، وهذا تعهد منطقى وأخلاقى على حد سواء. ببساطة من يغش يخطى هدفه، يضمن إخفاقه. وينتحر . إن الخدع فى العلم مدهشة ومثيرة للإهتمام. مدهشة لأنه من الصبيانية ونحن إزاء مسائل مهمة أن نفكر أن الغش سيستمر طويلا دون أن يفطن إليَّ أحد. الغشاش يؤمن

بصلابة ليس فقط بإمكانية تحقيق النتيجة التى يقصد إظهارها بخداعه، بل بصحتها. الكذاب يصدق نفسه. هذه الخدع مثيرة للاهتمام لأنها تشكل جزءا من تاريخ العلم والدين وتقف عقبة فى وجه التطور العلمى والإيمان الحق. رواية «عناق الضفدع» لأرثر كويستلر خير مثال على سلسلة من أعمال التزوير أجراها علماء يريدون فرض رغباتهم على الواقع. هذا غش إيجابى. وسكوت الفقهاء عن مئات الألوف من الأحاديث المدسوسة المكذوبة والموضوعة وغير المعقولة، فرض الإسرائيات على الواقع. هذا غش سلبى.

العلم لايهدف إلى إرساء حقائق ثابتة وعقائد أبدية هدف العلم هو الإقتراب من الحقيقة تدريجيا دون أن يدعى فى أى مرحلة أنه قد وصل إلى الحقيقة النهائية الكاملة. من الحقائق الغريبة أنه كلما تقدم الفكر فإن دعواه فى القدرة على إثبات الحقائق تضعف وتضعف. الحيوانات والأطفال يميلون ميلا رهيبا الى الإستنتاج. الحصان يندهش دهشة لاحد لها إذا استدرت به استدارة غير مألوفة إنه يتوقع أنك سوف تدور به الدورة التى اعتاد عليها.



مولد آدم

سيرورة التوحيد

البداية. السيرورة (التغير والتطور) النهاية

افتح عينيك لتقرأ، لتنظر، ثم أغلق عينيك لتفهم لتبصر، وحدة الوجود.

«بنيت على التوحيد وهو حقيقة نادى بها سقراط والحكماء»

(احمد شوقى)

كل من وما قيل له كن (BE) له بداية ونهاية E=end B=beginning وبينهما السيرورة Becoming **السيرورة هى ما بين الكاف والنون.**

beginning → Becoming → End.

نغم من الشرق:

«هتف شذا البرعم قائلا: أواه، إن النهار السعيد، نهار الربيع يمضى، وأنا حبيس الأفق.

- أيها الشئ الصغير البسيط، أستمسك بشجاعتك.

إن كل صله لك سوف تنبت، سيتنور البرعم ورده، وحين يخترم الموت حاتك الملأى، فأن الربيع نفسه سوف يبعثك من جديد وتململ الشذا قلقا فى البرعم وصرخ: آه، إن الساعات تمضى، ولا أدر حتى الآن أين أتجه، وأى شئ أبغى.

- أيها الشئ الصغير البسيط، إستمسك بشجاعتك.

إن نسيم الربيع قد سبق رغبتك، ولن ينقضى النهار قبل أن تتمم وجودك.

وتراءى المستقبل للشذا عامضا فصرخ يائسا:آه، إن تبدت حياتى خالية من أى معنى فمن المسئول عن هذا الخطأ؟ من يقدر أن يقول لى علام وجدت؟.

- أيها الشئ الصغير البسيط، إستمسك بشجاعتك.

إن الفجر المكتمل قريب، حيث تمزج حياتك بالحياة الأبدية، وحيث تدرك أخيرا تفسير وجودك» - طاغور.

«سألتقى بالحياة فى كيانى، يوما ما، بالفرحة التى تختبئ فى حيات، رغم أن الأيام تعفر دربى بغبارها التافه.

لقد إستجليتها فى البروق، وأقبل على لهائها المتردد فعطر أفكارى لحظة.

سألتقى يوما، بالفرحة، خارج كيانى. بالفرحة التى تكمن وراء حاجز النور، وسأنتبذ مكانا فى الوحدة الغامرة، حيث تتبدى الأشياء كلها كما سوَّاها خالقها» - طاغور.

«لقد لثمت هذا الكون بعنى وجسمى كله، وأدخلته قلبى بطياته التى لا حصر لها، وسفحت فوق أيامه ولياليه شتى الأفكار، حتى إلتأم الكون مع حياتى فى كل واحد. وإننى لأكلف بحيات لأننى أعبد نور السماء الكامن فى نفسى - طاغور.

«إننى أشعر بأن النجوم كلها تتلألأ فى كيانى.

والكون يجيش فى حياتى كأنه السيل.

والورود تتنور فى وجدانى.

إن شباب الأرض والماء، يسمو فى قلبى كأنه بخور المجامر.

ولهاث الوجود كله يتردد ضمن أفكارى، كما يتردد فى ثقوب الناى» - طاغور.

نشأة العناصر الكيماوية

١ - بعضنا يوحد ربه الخالق ويتجاهل المخلوق أو بالعكس، يعدد الخالق ويوحد نفسه. يتصور أنه سيد الكون وكل ما عداه عبيد له.

٢ - وبعضنا يوحد القوى «مملكة الطاقة» ويتجاهل المادة. قصر مسألة التوحيد على القوى الأربع الأساسية: الكهرومغناطيسية - النووية الخفيفه - اللونية أو القوية - والجاذبية. وكأنها تختلف جوهريا عن المادة «مملكة الكتلة» - الكترون بروتون ونيوترون - كواركات ليبتونات

٣ - وبعضهم له فى التوحيد وجهة نظر أخرى: التوحيد ما هو إلا ربط المعلومات وإختزال اللغة النظرية اللازمة لوصف أحداث الطبيعة إلى أدنى عدد ممكن من القضايا والمبادئ وإضفاء طابع من التناسق والجمال على النظرية العلمية. التوحيد إذن لا يضيف شيئا إلى مضمون المعرفة فهو ليس إلا مجرد تعبير عن «رغبة ذاتية» فى الإستمتاع بالإختصار والتبسيط. هذا ما يقوله إرنست ماخ رغم إبادته العلمية والحيادية. إن نظرته الفلسفية تضيق الخناق على العلم وتسطحه وتحشره فى قوالب منطقية ضيقة قبلية Apriori Moulds. هذا التصور الخاطئ سرى سريان النار فى الهشيم فكشف عن تناقضات خطيرة. المدهش والمثير أن تسود هذه النظرية شرائح واسعة من العشيرة العلمية حتى أواخر القرن العشرين والرد عليه هو:

أولا: النظرية Theory تظل dogmatic تجريدية hypothotical إفتراضية ما ظلت بمنأى عن أرض الواقع.

ثانيا: نعم، البعد الذاتى لا يضيف شيئا إلى علاقة النظرية العلمية بالواقع المادى. هذا صحيح مؤلفوا التوراة قد أدخلوا أشياء غير صحيحة فى نص الكتب دون إخلال أو خيانة لإلهامهم المقدس. فعدم الدقة هذه قد تنشأ من لغة العصر أو من طريق الإشارة إلى ما كان متعارفا غليه وموقورا فى هذه الحقبة من الزمن.

ثالثا: لكن البسيط ليس بالضرورة سهلا. لا من حيث قدرة العقل على إستيعابه ولا من حيث المضمون.

رابعا: إن التوحيد عملية معقدة تتضمن التحويل والدمج الجدلى وحل التناقضات. إن صهر الأشكال والعناصر والمعلومات المختلفة فى بوتقة واحدة يغير بناها بصورة جذرية ويؤدى إلى ظهور نظره جديدة. ونظرية جيدة. وعلاقات مع الواقع وقفزة جديدة إلى الباطن حيث تتوحد الأضداد عمق جديد من أعماق الوجود ويؤدى إلى ظهور الكامن، حل التناقض، خلق الجديد ونمو الحقيقة.

الجدل أو الإزدواجية التناحرية. أختلاف تناقضى يثير الحيرة. لابد من توحيد الطاقة مع المادة لتوحيد الأرض مع السما لابد من إلقاء الشك على التقسيم المادى للوجود. لابد من استخلاص التوحيد من بنية الفكر ثم إعادة تنظيم هذا الفكر بدلالة التوحيد. هذا هو الجدل .

التوحيد هو: الكيفية التى ينبثق بها مفهوم العدم من مفهوم الوجود. الكيفية التى ينحل بها التناقض بينهما فى مفهوم السيرورة BCOMING . التوحيد هو: النسق الجدلى بين التغيير والتطور ، هل قرأت التاريخ؟ وعرفت الكيفية التى تتطور بها التشكيلات الاجتماعيةSOCIAL FORMATIONS أى التى تخلق بها هذه التشكيلات قوى نقيضه لمبدأ وجودها تؤدى إما إلى تدميرها والقضاء عليها أو الى تطورها ورفعتها. التوحيد هو: الوسيلة العملية التى تقفز بها النظرية العلمية من مستوى الى آخر دونما قطع الصلة بالمستوى الابتدائى.

وكان الإنسان أكثر شئ جدلا » ما معنى هذه الآية الكريمة

الجدل هو التغيير. هو التطور. هو الهدم والبناء: بدون هاتين العملتين المتناقضتين لن تكون أكوان. ولن تكون حياة، لولا الصراع بين النقيضين فى العالم المادى الخفى وفى النفس البشرية لتهاوت المخلوقات وبادت. الحقيقة تاريخية وجدلية: الجدل هو بنية الحقيقة، هو سبب نموها وتناميها. هو تاريخها. النظريات لا تبنى ولا تنشأ بمعزل عن بعضها ، العلاقة بينها علاقة جدلية بحيث أن بعضها يتخطى بعضها الآخر إلى مستويات أعمق وأرحب أو أعلى وأشمل، من دون أن يلغى ذلك النظريات الابتدائية التى تظل حية معبرة عن لحظة أساسية من لحظات نمو الحقيقة وتطورها . ظلت الخلية الأولى المنقسمة لا تزواجيا هى الوحيدة، الحرة، الحية أبداً، موجودة رغم تطور بعضها الى كائنات أخرى حتى إرتفعت إلى الكائن الأجمل والأكمل الذى جعله الله سيداً عل مخلوقاته وسخرهم له:

عندما تسقط العصابة، يصبح الإيمان إقتناعا

هذه ملاحظة جيدة تماما فى أمور الإيمان. كلمة عصابة لها معنيان، العصابة التى تحجب عينيك رغما عنك، لأنك لا تستطيع أن تفهم. هذا هو المعنى الأبسط، المعنى البرئ. أما المعنى الأهم والأخطر فهو العصابة التى تحجب الحقيقة عنك عمدا لأنها لا تريدك أن تفهم. أو لأنه يجب الا تفهم أو لأن العصابة نفسها لا تفهم أو لا تريد أن تفهم لا تستطيع أن تفهم. العصابة الأولى وضعتها بإختيارك أما الثانية فقد فرضتها عليك وسائل الإعلام

إن طواحين الله تطحن ببطء، لكنها تطحن بشكل ناعم جدا

المقصود بالطواحين هنا هى القوانن الغير قابلة للألغاء أو التغيير. هذه القوانين ليست مجموعة معقدة من الأفكار كتلك التى تقدمها لنا الفلسفة واللاهوت. بل هى واقع حى راسخ لا جدال فيه. عبر هذه القوانين يستطيع ما يسمى بغموض مضمون الإيمان، أن يصبح إقتناعا بالنسبة لنا. لأن هذا الإيمان يتم تأكيده يوميا لكل من يحاول أن يفهم روعة قوانين هذا الكون ليدرك جلال خالقه. يجب أن تكون آذاننا متقبلة وعقولنا متفتحة فى هذا الزمن بالذات. هذا الزمن الصعب الذى تغيرت فيه أحوالنا وإنقلبت أوضاعنا بسبب إفتقارنا إلى الفهم. إذا كنت متقينا أنك «كائن» فى «كون» إذن إعمل جزء منه تفتقر إليه ويفتقر إليك داخل نفسك بحماس شديد، أقم الجسور، أزل الأنقاض، لا تطفئ الشمس، شمس المعرفة والحقيقة، وإعمل أيضا خارج نفسك، شارك على قدر إستطاعتك فى أحداث العالم الصغيرة والعظيمة.

هذه فلسفة، هذا لاهوت وهذا دين

لا خلق من عدم، فى البداية كان الله ولا شئ معه، وفى النهاية كل شئ هالك إلا وجهه. نحن منه وإليه. إنا لله وإنا إليه راجعون. إليه المصير. هذه لآيات الكونية ما تفسيرها؟ وما الدليل عليه؟ هذا هو لدليل. من الذى قدمه؟ علماء الطبيعة والفيزياء النووية وعلم النفس.. كل ما تخيله الفلاسفة وقال به الأنبياء صحيح تماما. الكون والكائنات، كل الأجسام والجسيمات، الجامدة والحية، الغازية والسائلة والصلبة، كل شئ خلق من الطاقة، من النور، «من نور الله». إذا كنت تجهل أن جسدك الذى هو من نور الله يبقيه حيا شئ من أمر الله مُسجل فى الكتاب المكنون الموجود فى كل حية ومهيمن على كل أنشتطها، وأنسنة شئ «من روح الله»، النفس، إذا كنت يا خليفة الله تتصور أنك حيوان ناطق، تكونت بالصدفة، وإن حياتك مؤقتة، وأنك خلقت لحكمة لا تدركها. ولا تعرف ولا تتصور أنك أنت بالذات، مهما كان شأنك، يجب أن تكون موجودا لتحقق هدفا مرسوما لك وتؤدى بحرية دورك على مسرح الحياة. وأنك أنت وكل من حولك من أحياء وما تحتك وفوقك وفيك من جماد، خلق لغاية. كل مخلوق له وظيفة يشارك بها فى تحقيق الهدف من خلق الكون والكائنات ليس فقط الإنسان. إذا لم تكن تعرف كل هذا فما عرفت قيمة نفسك وما قدرت

الله حق قدره. وليس مهما بعدئذ كم يمكن أن تكون ذكيا أو مثقفا فكريا. لأنك فى الحقيقة أعمى وأصم، أعمى القلب والبصيرة، حتى إذا كنت عرضت نفسك للإختيار داخليا وخارجيا، ﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾، أنظر حولك لترى وتسمع أن كل شئ يسبح بحمد الله ﴿أفلا تنظرون﴾، ﴿أفلا تبصرون﴾، (أفلا تتفكرون)، (أفلا تتدبرون). إذا لم تدرك أن مهمتك تمتد إلى ما وراء الحياة الأرضية، فأنت الجانى على نفسك. أما بالنسبة للمتغطرسين، وأولئك الذين إحتكروا تفسير آيات الله ولم يقدروا إلا على التفسير الحرفى السطحى، ويخاطبونك على قدر عقولهم وعقلك، فإن الحقيقة ستبقى أبدا مكنونة فى كتاب الله، أمور يستحيل فهمها عليهم.

ما الفرق بين الفن والأسطورة والخرافة والعلم والخيال؟

١ ـ الفــن: تمثل فردى، للعالم بوسائل متباينة وأساليب مختلفة.

﴿كالحمار يحمل أسفارا﴾، ﴿كالكلب إن تحمل عليه يلهث وإن تتركه يلهث﴾. ﴿كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء﴾

٢ ـ الأسطورة: تكامل نُتفٍ من المعلومات، فى تصور عام له بعض التجانس.

عذاب القبر والثعبان الأقرع. إختراع الأقانيم الثلاثة كحل لمشكلة صعبة. الإسراء والمعراج، هذا الحدث الجليل تم على دابة دون البغل وفوق الحمار أو هكذا فهموا.

٣ ـــ العلـــم: نظرة إلى الواقع أكثر دقة كيمياء الإيمان، جغرافيا الحب، الأمراض النفسية أمراض عضوية، الفساد فى البيانو وليس فى العازفه.

٤ ـــ التخيل: إعادة تجميع وتنسيق أجزاء الواقع من أجل خلق بنيات جديدة، وأوضاع جديدة، وأفكار جديدة.

هل يجب تنقية كتب العلم والدين من الخرافات والأساطير أم الإستفادة من هذا الخيال الخصب؟ إن كتب الخرافة والأساطير لا تقل أهمية عن كتب الخيال العلمى.

الأسطورة والخرافة

ما من شخص إلا وتخيل مرة، أو يستطيع أن يتخيل، كيف ستكون الأمور لو غرق العالم بكامله فى شلل تام، أى لو توقف الزمن وكان هو وحده يقظا ومتحركا.عندئذ

ستكون الشوارع ووسائل المواصلات والبيوت مليئة بالتماثيل الحية.: بشر تجمدوا فى الوضعية التى هاجمهم النوم فيها لا حول لهم ولا قوة. إن تكرار هذه الصور دائما فى الأساطير والملاحم التى أبدعها العقل البشرى يؤكد عمق جذور مثل هذه التخيلات فى أذهاننا.

العقل والغريزة

الأساطير لابد أن تدرس فى جميع الأحوال، لإنها مما يصح أن تعتبر مسودات للإدراك الإنسانى. وهى تنفعنا الآن أكثر مما تنفعنا حقائق تلك الكتب لأنها البقية الباقية لنا من تلك الأوهام التى تسلطت على العقل البشرى فى أزمانه الخالية، لا تزال معلقة بين الشك واليقين، بين الوهم والصدق، فى إنتظار التصحيح والتنقيح. وهى المفتاح الذى ليس لدينا مفتاح سواه لخزينة المخيلة، وما أكنته من تصورات الإنسان ووجدانه وما إنطبع منذ البداية فى الذاكرة العميقة المتغلغلة التى عودتنا أن تنطق بالأحاجى والألغاز، وتبهم حتى على صاحبها وهو الذى أوجدها وصورها. كتب الأساطير مملؤة بتفصيل أنواع الحيوانات وما يتشكل منها فى البر والبحر. فمنها كلب الماء وفرس الماء التى زعموا أنها تلد من خيل الأرض، ومنها إنسان الماء ويشبه الإنسان إلا أن له ذنبا. وقد جاء شخص بواحد منه - على قول القزوينى - إلى بغداد فعرضه على الناس، وذكر أنه فى بحر الشام ببعض الأوقات يطلع من الماء إلى الحاضرة، إنسان له لحية بيضاء يسمونه شيخ البحر ويبقى أياما ثم ينزل، فإذا رآه الناس يستبشرون بالخصب. وحكى أن بعض الملوك حمل إليه إنسان مائى فأراد الملك أن يعرف حاله، فزوجه إمرأة فجاء منها بولد يفهم كلام الأبوين، فقيل للولد: ماذا يقول أبوك؟ قال: أذناب الحيوان كلها على أسفلها فما بال هؤلاء أذنابهم على وجوههم. ونقل عن يعقوب بن إسحاق السراج أن رجل ركب البحر فألقته الريح إلى جزيرة.. فأتى قوم وجوههم كوجوه الكلاب وسائر أبدانهم كالناس..» الكثير من أساطير الماضى التى إعتبرها أجدادنا حقائق حية قد تحطمت. غير أن معظم الناس مايزالون ينعمون بجهلهم. هذه الأساطير وما شاكلها قد تدرس على أنها أوهام مع أنها ترجمان للوعى الباطن الذى إستقر فى أعماق بديهة الإنسان وغرائزه الوراثية.

الأسطورة الدينية

هى بدون شك التى جعلت العلم الحديث ممكنا لأن العلم الغربى مؤسس على المذهب الرهبانى لكون منظم من صنع إله خارج الطبيعة ويحكمها بقوانين يتوصل إليها العقل البشرى بيسر. المرجح أنه ضرورى للنفس البشرية أن يكون لديها تصور موحد ومتماسك عن العلم وإلا ظهر القلق والفصام. وهنا لابد من الإعتراف بأن الشرح الأسطورى يتغلب على الشرح العلمى فى ميدان الوحدة والتماسك. لأن العلم لا يهدف إلى شرح كامل ونهائى للكون العلمى دفعة واحدة. إنه يقوم بإختيار موضوع مفصل عن ظواهر يتوصل إلى حصرها وتعريفها. ويكتفى بأجوبة جزئية مؤقتة. أما منظومات الشرح الأخرى، سحرية أو أسطورية أو دينية فإنها على العكس تشمل كل شئ. إنها تطبق فى كل الميادين وتجيب على كافة الأسئلة. إنها تحلل أصل الكون وحاضره وحتى مستقبله وتذلل كل صعوبة بحجة بسيطة وفريدة سابقة على كل تجربة. قدرة الله. حلت الأسئلة المحددة محل الأسئلة العامة. كيف يسقط الحجر؟ كيف يجرى الماء فى أنبوبة؟ ما هى دورة الجسم، ودورة الدم ودورة حياة أى كائن حى، بدلا من أن نتسائل كيف خلق الله الكون؟ أين صنعت المادة؟ ما هو جوهر الحياة؟ كان لهذا التغيير نتيجة مفاجئة مضى الوقت الذى لم تكن المسائل العامة تنال سوى أجوبة محددة فأصبحت المسائل المحددة تقود أكثر فأكثر إلى إجابات عامة. وبعد أن كانت المعرفة العلمية جزرا منفصلة توحدت الميكانيكا والثرومودينامكا إلى الميكانيكا الإحصائية وتوحد الضوء والكهرومغناطيسية إلى نظرية الحقول المغناطيسية وتوحدت الكيمياء والفزياء الذرية إلى ميكانيكا الكوانتم، ورغم كل هذا لا زال فى المعرفة العلمية ثغرات واسعة. تعمل الأساطير والنظريات العلمية وفق مبدأ واحد يتلخص فى شرح العالم المرئى بقوى خفية تربط ما نلاحظه بما نتخيله. فالصاعقة يمكن أن تعتبر تعبيرا عن غضب الرب أو قوى إلكتروستاتيكية. والمرض يمكن أن يكون نتيجة لفعل قدر سئ أو لتأثير عدوى ميكروبية. أصبحت الظاهرة أثرا مرئيا لسبب خفى مرتبط بالقوى الخفية التى تحكم العالم.

العلم عِلمٌ والدين دين ولا يجب الخلط بينها

مقولة باطلة. إنك تقرأ كثيرا عن تفسيرات دينية ساذجة لا تتفق مع عقل راجح أو فكر صائب لدرجة تدعوا إلى أن تتخذ موقفا. لكن أرقى أنواع الإيمان هو ما قام على

العلم والتأمل والتفكير. كثير من آيات القرآنية تحث على البحث عن أصول بدايات الخلق. ففى البدايات دائما تتجلى عظائم الأمور. فيها الوحدات التى تأسست عليها كل الظواهر الكونية. الكشوف العلمية تزيح الغموض عن بدايات خلق الأشياء. العلوم الدينية نختص بالفقه والتفسير وأحكام العبادات. وقد تعجز عن تفسير المعجزات وتعريف الأرواح والجن والمسائل الغيبية الشائكة وهى مسائل بعيدة عن جوهر الدين ومن يغرر بها فإنه يستغل الدين لممارسة الدجل والشعوذة وخداع ضعاف العقول.

العنكبوت. النمل. النحل

العنكبوت ١٩ : ﴿أولم يروا كيف يبدى الله الخلق يعيده إن ذلك على الله يسير﴾.

العنكبوت٢٠ : ﴿قل سيروا فى الأرض فأنظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الأخرة إن الله على كل شئ قدير﴾.

آل عمران ١٩١ : ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا من عذاب النار﴾.

هذا الإستفهام المنفى «أو لم» وهذا الأمر «سيروا» موجة إلى العلماء أم إلى الفقهاء؟ إنه موجه إلى من يستطيع الإجابة عليه . إذا كنت تدرى أيها الفقيه فدعنا ندرى.

ليس من يرى كمن لا يرى، ولا كذلك من يعلم كمن لا يعلم من هنا تختلف درجات الإيمان بإختلاف رؤية الإنسان للعالم ولنفسه. إيمان العوام يقوم على البساطة والفطرة إلا أنه لا يرقى إلى إيمان الذين يسبرون فى الأرض يستكشفون ما أودع الله فيها من أسرار تنوء بحملها عقول الرجال. نظرة رجل العلم التجريبى إلى أصول الخلق تختلف فى الكم والنوع عن نظرة رجل الدين التقليدى أو الإنسان العادى، لأنه ينظر إلى الباطن، إلى الخلق غير المنظور بعيون متطورة. المجهر الضوئى والإلكترونى والنيوترونى هذه الوسائل العصرية الحديثة تجعل من الحبة قبة فتبوح بالسر له وحده فيرى العوالم غير المرئية «وما خفى كان أروع».

الذين ساروا ونقبوا وبحثوا وتعمقوا فى بدايات الخلق يرون غير ما يرى عامة الناس ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ هذه أسرار لا يعلمها الناس ولا حتى علماء الدين. ولا

المثقفون. كيف يفسر من لا يعرف؟ كيف يفتى منْ لا يعلم؟ أنت والعالِمْ خلقتما من طين، لكن الطين فى نظر العالم جزيئات والجزيئات من عناصر والعناصر ذرات والذرات جسيمات. القرآن الكريم كتاب عقيدة وترشيد وهداية. لكن العقول وقت نزوله لم تكن مهيئة لتقبل ما يعرفه الآن خاصة العلماء. وهى الآن أيضا ليست مهيئة لتقبل ما سيكشف عنه أحفادنا. وتظل كل آية من آيات الله الكريمة مثل زهرة نضرة أبداً، شابة دائماً. مثل وردة تتفتح باستمرار ولاتذبل مطلقاً. الحقيقة كامنة فى ذات الآية. كل إنسان يرى فيها على قدر علمه لكن مهما اتسع علمه فمحتواها أكبر. والله أكبر. كل إنسان يعرف ربه على قدر مابحث فأدرك فوعى. ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ العنكبوت ٤٣.

الإنس والجن.. الدجل والشعوذة

يسأل فضيلة الشيخ «محمد أحمد بدوى»: لماذا صار عالم الجن أوضح من عالم الإنس؟. من المزالق التى قذفتنا إلى قاع التخلف: التكميل بالخيال والتضليل بالمنطق.

١ ـ الميل إلى التكميل «علم النفس»

الميل إلى تكميل مايصل للإدراك من معلومات غير كاملة عن شئ من الأشياء أو معنى من المعانى. فالدائرة المقطوعة فى منطقة منها تصل الى الرائى وكأنها دائرة كاملة. أما فى المدركات العقلية فيبدو فى استنتاجات تكمل المدرك وتقره فى الأذهان مكتملا. والمزلقة هنا تتمثل فى الإندفاع إلى الأخبار غير الموثقة فإذا لم تسعف هذه كان التكميل بالخيال فيستريح العقل. ومثال ذلك، مايكمل به الناس أخبار الحوادث من عناصر لم تتوافر فى الخبر، بالتصور والتخيل لأسباب الحدث ودوافعه. وتوجيه التهم الى أشخاص. ومثال ذلك ما أضافته الأحاديث غير الصحيحة والخيال إلى حياة الجن وصفاتهم وسلوكهم حتى صار عالم الجن فى ذهن الخرافين أوضح وأبين. ورأى فضيلته أن الاحتياط من هذه المزلقة هو محاولة إبقاء المدركات على حالها من النقص حتى تكمل بالموثوق به من المعلومات. لاينهض بهذا إلا ذوو العقول الناضجة من المثقفين.

٢ ـ مزلقة اللوازم المنطقية «مناهج التفكير»

هى إنزال المعلومة ومايترتب عليها عقلا ومنطقا بمنزلة واحدة من الصدق. والصعود أو

الهبوط من مترتب الى مترتب آخر الى صدق المعلومة الأولى نفسها حتى يتم منها بناء كاملا أو يكتمل منها بنا ناقص. ومثال ذلك مايرتبه بعض العوام على مجرد ذكر الجن فى القرآن وبعض الحقائق عنهم من بنيان متكامل لحياة الجن وسلوكهم وتعاملهم السيئ والحسن مع الإنس واختلاطهم بالإنس بل والتزاوج بينهم وإذا اعترضت على شئ مما يقترفون قالوا: أوليس الجن مذكورا فى القرآن؟. الاحتياط من هذه المزلقة هو الاكتفاء بما ورد فى القرآن عن أمور الغيب وعدم تجاوزه إلى تفسيرات مهما كانت منطقية ومعقولة يتداعى بعضها عن بعض حتى تكون منه صورة لما لم يكتمل له صورة فى القرآن.

قبل أن يغرق العقل العربى فى بحار الدجل والشعوذة

أعلنت آخر احصائية أصدرتها دار الكتب أنه قد صدر خلال العام الماضى وحده أكثر من ثلاثة آلاف كتاب تحمل عناوين الدجل والشعوذة. يتم تداولها الان مع الباعة وفى المكتبات. تتناول ما يسمونه بالعلاج الروحى فى الوقت الذى لم يصدر فيه كتاب واحد يواجه هذا السيل من الكتب الت تخرب عقول القارئ المصرى. وتساءلت أين دور الرقابة ودور المثقفين فى التصدى لهذه الظاهرة الغريبة؟ لأنه عندما تسيطر الخرافة على العقول تمنعها من التفكير الواعى فى الحقائق إننا إزاء خطر يلوح فى أفق الفكر المثمر الذى يدفع الأفراد الى التقدم والإرتقاء. هذه القضية التى أثارها أهرام ١٩٩٥/٥/١٩ تتصدرها صور كتب الدجل ومن بينها جاء خطأ كتاب الاستاذ محمد منير «ابناء آدم من الجن والشياطين». تعالى الآن نناقش بهدوء ما حمله لنا التيار الفكرى من سوريا الشقيقة. الأستاذ «محمد منير» فى دراسته التحليلية الموثقة بالقرآن والحديث يثبت بطلان الزعم بوجود أشباح خفية اسمها الجن والشياطين. ويقول أن الإيمان بوجود غيبى للجن والشياطين ليس ركنا من أركان الإيمان المعروفة فى الإسلام. كما جاء فى الحديث الصحيح الإسلام هو «الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن القضاء والقدر خيره وشره من الله» ولذلك فلا مبرر لتكفير من يقول أنه لايؤمن بوجود الجن والشياطين بالصورة الشبحية التى يقول ويعتقد بها الذين يفهمونها حصرا بهذا الشكل. ولامدعاة لتكفيره واعتباره مرتدا خارجا عن ملة الإسلام كما يزعمون. وأشار إلى وجود

إشكالات قرآنية واختلاف كبير فى آيات لايمكن أن يزول مع الإصرار على الاعتقاد بهذا الفهم الخرافى. وأثار ثمانية إشكالات كان المفروض أن يتصدى له ويحاوره ويجادله أئمة الفقه فى سوريا وعندنا. اكتفى الفقهاء بأن للقرآن رب يحفظه وخللى اللى يقول يقول. أليست مقيتة أن يهرب جنود الله فى حرب ضد الله. ولا يخجلون عند تقاضى رواتبهم. ويبدو أنه فى كتابه القادم سيتخلى عن حذره ويعلن استحالة وجو العالم الغيبى كله بما فيه الملائكة ومن خلقهم، ولاعذر له فى ان الذى دعاه الى التفكير بهذه الطريقة هو أنه يرفض التجارة الرهيبة بجهل الناس وبكرامتهم وكل صور الدجل والخرافة. لكن الخرافة لاتحارب بالخرافة. يجب أن يتصدى الراسخون فَى العلم وليس علماء الدين فقط للكتب التى تتحدث بإسهاب عن إمكان تحضير الجن وقدرتهم على إيذاء الناس أو تقديم العون لهم عن طريق المشايخ «المؤاخين» أو لهوهم وعبثهم وتخويفهم للمنفردين من الناس فى البيوت المهجورة والأماكن الخربة والدروب غير المطروقة فهى تخيفهم وتمرضهم وتسبب لهم الفالج أو تدخل فى أجسامهم وتصيبهم بالصرع والجنون. تارة تسبب العداوة والبغضاء وتارة تجلب الحب والوفاق بفعل حجاب كتبه الشيخ الفلانى دليلا على قدرته على تسخير الجان. وأحيانا ترصد الكنوز وتؤذى كل من يقترب منها أو تدل عليها بواسطة المندل وتجلب الحظ السعيد للباحث عنها وهى تساعد الشيخ وأعوانه على معرفة الغيب خفايا الأمور ولكنها تؤذى من لايصدق بها وبقدراتها كما تؤذى من يغسل ثيابه بالليل أو يقص أظافره أو يسكب ماء ساخنا إذا تصادف مع مرور جنىّ أو جنيّة أو ولد لهما. والويل كل الويل إذا كان هذا الولد ابن أحد ملوك الجان الأزرق أو الأحمر أوغيرهما. جاء فى كتاب «الإنسان بين السحر والعين والجان»: على الإنسان أن يحذر إذا بال عليهم وهو لايدرى أو قتل أحدا منهم عن غير قصد الحقيقة أن تفسير محمد منير لسورة الجن يضئ العقل وينير القلب.أما إنكاره لوجود كائنات غير مرئية فهو إشكال أكبر وأخطر من الإشكالات الوهمية التى أثارها فى كتابه. التخاطب عن بعد «التليبثى» Telepalhy يدرس الآن فى الفاتيكان. وقد رأيت بنفس ظواهر لا يمكن تفسيرها ويستحيل إنكارها، تثبت وتؤكد وجود قوى خفية يستخدمها بعض القادرين عليها. ومع ذلك نتابع مع «محمد منير» بحياد كامل تفسيره لسورتى النمل والنحل.

سورتان وصورتان: النمل والنحل:

نبدأ بقصة الملك سليمان عليه السلام، ونبدأ بتفقده للهدهد، جاء في سورة النمل، قول ربنا تبارك وتعالى عن سليمان:

﴿وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين﴾ النمل: ٢٠

لو راجعتم كلمة «الطير» فى قواميس الغة العربية لوجدت أنها بالإضافة إلى كونها تعنى الطيور ذوات الأجنحة فإنها تعنى أيضا: الحيوانات السريعة الجرى كالخيل وغيرها. ونجد كذلك أن كلمة الطيار هى صيغة مبالغة لكلمة طير والتى تعنى الحصان السريع الذى يجرى بسرعة هائلة حتى ليبدو وكأنه يطير.

وجاء فى قاموس محيط المحيط، أنه يمكن إطلاق لفظ الطيران على الإنسان إذا أسرع بأمر، فقال: «وطار فلان بكذا: سبق به. وطار فلان إلى كذا: أسرع إليه». وعلى هذا يمكن اعتبار «الطير» أنهم الفرسان السريعون على ظهور الخيل السريع العدو. وكذلك جاء فى مراجع الغة العربية: «الطير: الدماغ». وعلى هذا يمكن اعتبار أن كلمة «الطير» يمكن أن تشير أيضا إلى العلماء الذين يسبقون بأدمغتهم إلى كل علم ومعرفة. ولقد أخطأ الكثير بالاعتقاد أن كلمة «الهدهد» هنا تعنى طائر الهدهد الصغير ضعيف الطيران والذى يقع بكل سهولة فريسة ضعيفة فى مخالب الطيور القناصة كالصقر أو النسر. والصحيح أن كلمة «الهدهد» هنا إنما تشير إلى إنسان عاقل كان اسمه أو لقبه «الهدهد» وكان من قوات جيش سليمان التابعين لفرقة «الطير» أو الخيالة السريعة العدو ولربما كان من كبار ضباط الاستطلاع أيضا. أما الدليل على أنه كان بشرا عاقلا ولم يكن طائرا فنجده فى الآية ذاتها، ولكن قبل ابيان، تعالوا نتفكر معا فى المثال التالى: هب أنك كنت تُرى صديقا لك بعض طيورك الجميلة التى تحتفظ بها فى قفص تستمتع بجمال ألوانها وعذوبة صدحها وإنشادها. افترض أن صديقك هذا أراد أن يمتدح جمال طيورك فقال لك: «هل هذه الطيور جميلين» ثم سألك: «هل هذه جميع طيورك، أم أن ثمة واحدا من الغائبين»؟ أفكنت عند ذلك تعتبر وصفه لطيورك أنها «جميلين» وأن أحدها «من الغائبين» وصفا صحيحا بحسب قواعد اللغة العربية أم تعتبره قد أخطأ القول، إذ كان يجب عليه - وبحسب قواعد اللغة العربية - أن يقول: «إن هذه الطيور

جميلة» أو أن يسألك إن كان ثمة «طيور غائبة» غير التى عندك وكان أحدها من الطيور «الغائبة»؟ لاشك فى أن وصف «الطير» يأتى مؤنثا بحسب قواعد اللغة العربية، وهذا ما يؤكده القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿أولم يروا إلى الطير مسخرات فى جو السماء﴾. النحل ٧٩

نجد هنا وصف ربنا تبارك وتعالى للطير التى تطير بجناحين بأنها «مسخرات» ولم يقل مسخرين، وذلك أن «الياء والنون» فى اللغة العربية إنما هى علامة الجمع للعاقل فقط، وبما أن سليمان قد قال عن الهدهد: «إن كان من الغائبين» فاستعمل له جمع المذكر السالم للعاقل، فهذا يعنى أن الهدهد كان رجلا من قادة سليمان ولم يكن طيرا. وليس غريبا تسمية الناس باسماء الطيور كالصقر والنسر والعقاب وهذا أمر شائع ومعروف. أما أن نقول أن ثمة خطأ لغويا فى هذه الآية - معاذ اله - فهذا أمر لايوافقك عليه أحد من المؤمنين. إذن كان سليمان عليه السلام هنا يسأل عن الهدهد الذى كان أحد ضباط استطلاعه وكان يقوم بمهمة استطلاعية وتأخر فيها بعض الشئ وهذا ما تشير إليه كلمة «تفقد» فى الآية كما هو واضح. ويزيدنا القرآن الكريم فى هذه الحقيقة بيانا إذا ما تابعنا قراءة الآيات حيث نقرأ قول سليمان عليه السلام عن الهدهد.

﴿لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه، أوليأتينى بسلطان مبين﴾. النمل ٢١

تصور أن يقول لك شخص ما: إن الملك فلان صاحب القوة والسلطان قد غضب على ببغاء عنده فعذبه عذاباً شديدا ونتف ريشه ريشةً ريشةً ثم ذبحه! أفكنت تستطيع قبول هذه الصورة غير المعقولة عن تصرف الملك؟ فكيف إذن نقبلها فى حق سليمان الملك النبى عليه السلام؟ ثم تصور أن يقول لك رجل: «لقد اكتشفت حقيقةً مُرّة وهى أن الببغاء الذى عندى هو من الطيور الكاذبين». لاشك فى أنك عندئذ ستستخف عقله بسبب وصفه طيرا أنه «من الكاذبين» لأن الطيور والحيوانات لايصح وصفها بالكذب وذلك لأنها تتصرف دائما بطبيعتها التى فطرها الله عليها ولا تقصد الكذب وإخفاء الحقائق. ثم إنك حتما لن تنسى أن تصحح له خطأه فى استعماله «الياء والنون» فى كلمة الكاذبين فى شأن الببغاء، لأن هذا الجمع يخص العقلاء فقط. والآن نستطيع أن نفهم كيف أن الملك سليمان عليه السلام قد قال للهدهد - بعد أن جاءه بتقريره:﴿سننظر أصدقت أم كنت

من الكاذبين﴾ النمل: ٢٧ . وإليك البيان من أوله لنرى ماذا قال الهدهد وبماذا أجابه الملك النبى سليمان عليه السلام: ﴿فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين. إنى وجدت إمرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم. وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين الشيطان لهم أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون. ألا يسجدون الله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض، ويعلم ماتخفون وما تعلنون. الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم. قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين﴾ النمل: ٢٢ ـ ٢٧.

تفكروا معى فى البيان العظيم للهدهد المؤمن بالله الواحد والذى يستنكر أن يسجد الملوك والعقلاء من الناس للشمس من دون الله الأحد، ثم أسألوا أنفسكم أيعقل أن يكون هذا بيان طائر أعجم؟! ثم أين المعجزة؟ هل هى فى النبى سليمان الذى يفهم لغة الهدهد، أم فى الهدهد ذاته الذى يفهم لغة سليمان ولغة غيره من الناس؟! ثم هل أخطأ ـ حاشا لله ـ القرآن ثانية عندما قال على لسان سليمان عن الهدهد: ﴿سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين﴾؟ أم الحديث هنا كان عن ضابط أرسل فى مهمة فتأخر أو قصر بها أو خان التزامه وقائده فصار يستحق العقاب أو الإعدام كما يحكم القادة على الخائنين من وجنودهم، ولكن ليس قبل التحقق والتأكد من حقيقة، موقفهم، وهذا معنى قوله ﴿سننظر﴾ أى سنتحقق من صدقك فى إنك إلتزمت بمهمتك وجئتنا كما تدعى ب ـ ﴿نبأ يقين﴾. ونحن أيضا لابد أن «ننظر» ونتفكر فى حقيقة كل ما نعتقد لنعلم إذا كان إعتقادنا سليم وعلمنا علم اليقين.

﴿حتى إذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل إدخلوا مساكنكم ليحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾ النمل ١٨

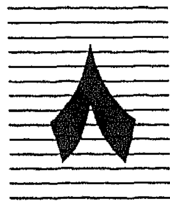
لا شك فى أن «النمل» مثل «النحل » كلاهما ينتمى إلى جنس الحشرات فى مخلوقات الله تعالى. ومن المعروف فى قواعد اللغة العربية أن جمع الحشرات إنما هو مؤنث. والدليل فى القرآن الكريم، هو قول الله تعالى فى سورة النحل:

﴿وأوحى ربك إلى النحل أن أتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون. ثم كلى من كل الثمرات فأسلكى سبل ربك ذللا من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء

للناس﴾ النحل: ٦٨ ـ ٦٩ نجد أن الأمر الإلهى هنا إلى النحل جاء بصيغة التأنيث طبقا لقواعد البيان العربى ولا شك فى أن هذا هو الصواب. إذن كيف يمكننا فهم أن خطاب النملة إلى النمل قد جاء فى صيغة المخاطب العاقل فى الكلمات: «ياأيها» بدلا من يا أيتها . و«أدخلوا» بدلا من «أدخلى» و«مساكنكم» بدلا من جحوركم، حيث أن المساكن إنما تكون للبشر فقط مصداقا لقول ربنا عز وجل: ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكنا﴾ النحل: ٨٠. وقال تعالى:﴿أو لم يهد لكم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم﴾ طه: ١٨٢ وكذلك قوله عز وجل ﴿وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم﴾ العنكبوت: ٣٨. وهكذا نجد فى هذه الآية كريمة أن جميع مؤشراتها تشير إلى أن خطاب «النملة» لم يكن إلى حشرات وإنما كان خطابا إلى عقلاء بدليل الكلمات: «ياأيها» و«أدخلوا» و«مساكنكم» و«يحطمنكم» فمن هى هذه النملة؟ ومن هم هؤلاء النمل الذين تخاطبهم هذه النملة خطاب العقلاء بدلالة جمع العقلاء «أدخلوها» وضمير المخاطب العاقل المذكر «مساكنكم» و«يحطمنكم»؟ جاء فى تفسير إبن كثير الجزء الثالث الصفحة ٣٥٩ طبعة دار المعرفة ما يلى «أورد إبن عساكر من طريق إسحق بن سعيد عن قتادة عن الحسن: أن إسم هذه النملة «خرس» وأنها من قبيلة يقال لهم بنو الشيصان وأنها كانت عرجاء وكانت بقدر الذئب». وماذا عساها تكون هذه النملة العرجاء الهائلة الحجم والتى تنتمى إلى قبيلة معينة؟ إن التعبير «واد النمل» يشير إلى موقع جغرافى يسكن فيه أهل هذه القبيلة من «بنى النمل» ولا شك فى إن مثل هذه التسميات مشهورة بين العرب والقبائل العربية، حيث أن هنالك «قبيلة بنى أسد وكذلك قبيلة بنى كلب وأيضا قبيلة «مازن»، التى تعنى بيض النمل. وكذلك جاء فى «القاموس»: «الأبرقة من مياه النمل» وقوله «مياه النملة» يدل على أسم مكان تسكنه قبيلة معينة، إذ كلمة «نملة» تشير إلى واحد من قبيلة بنى النمل التى كانت تقطن هذا الوادى. ولقد جاء فى «تقويم البلدان» أن وادى النمل هذا يوجد فى منطقة بين «جبرين» و«عسقلان» التى هى مدينة صغيرة على شاطئ البحر على إثنى عشر ميلا إلى شمال من غزة، قرب صحراء سيناء. إن هذا الوصف يدل ـ بحسب الخرائط القديمة لسورية وفلسطين ـ على أن وادى النمل هذا يقع من البحر فى منطقة مقابلة للقدس على الطريق من دمشق إلى الحجاز، وعلى مسافة ميل منها.

وقد كانت هذه المنطقة مأهولة حتى أيام سليمان عليه السلام من قبل العرب والمدينيين. وثمة مصادر تقول أن هذا الرادى يقع فى اليمن. ونجد على ضوء هذه الحقائق الجغرافية، أن الأساطير المنسوجة حول «وادى النمل» إنما هى خرافة وخيال لا يرقى إلى الحقيقة فى شئ. إن كل ما تشير إليه الآية الكريمة هو أن سليمان عليه السلام قد قابل أثناء مسيرته العسكرية إلى سبأ أناسا من قبيلة كانت تعيش فى واد النمل ويقال لهم بنو نمل وقد خاطبهم زعيمهم مشيرا عليهم بالإبتعاد عن طريق جنود سليمان العظيمة القوية. حتى يظن هؤلاء الجنود أن وقوف سكان واد النمل فى طريقهم يعنى رغبتهم فى مقاومتهم فيحطموهم، وهم لا يعلمون أن هؤلاء الناس لا يريدون قتالا، وذلك فقد أشار عليهم قائدهم بالدخول إلى بيوتهم مبتعدين عن مسيرة جند سليمان ، لأن ابتعادهم يعنى فى عرف قوانين الحرب فى ذلك العصر أنهم لا يريدون حربا. وأما كلمة «لا يشعرون» فتشير إلى إشتهار التقوى والخير فى جنود الملك سليمان، حيث أنهم لا يعتدون على من لايبادر أولا بالظلم والإعتداء، وهذا ما جعل سليمان عليه السلام يبتسم راضيا فرحا بفضل ربه عليه فيما إشتهر عنه وعن جنده، حيث جاء فى القرآن الكريم: (النمل: ١٩)

﴿فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى﴾ إن دعاء سليمان عليه السلام هنا يشير إلى أن كلام «النملة» عنه وعن جنوده إنما كان «نعمة» ولم يكن «معجزة» كما أننا نلاحظ هنا أنه ليس ثمة تحد، أو داع لإظهار أية معجزة لتصديق نبوة سليمان عليه السلام، كما يحضر هنا فى الخاطر سؤال وهو: ما وجه الإعجاز أن يرى الناس سليمان الملك عليه السلام يصغى ثم يرفع رأسه ضاحكا ويقول: كنت أستمع إلى هذه النملة وكانت تقول كذا وكذا؟ لقد مر معنا فى تعريف آية المعجزة أن من شروطها ألا يقدر أحد على معارضتها أو يحتج عليها، بل يدلا من أن تعجز الناس عن الرد فتقيم الحجة عليهم وتسكت ألسنتهم .كل ما جاء فى كتاب الأستاذ محمد منير يجب أن تناقشه معه ومعنا فرقة متخصصة من أئمة الفقه والشريعة والتفسير. هذا التفسير الجديد يستريح إليه الضمير وتقبله عقول الناس فى عصر المعلومات.



مولد آدم

رحلة خيالية

الرحلة الخيالية فى كتابى الأول كان هدفها الإلتقاء فى المنام مع ائمة الفكر والفقه وسؤالهم كيف يرون الدنيا من العالم الآخر وكيف ستكون النهاية. أما هذه الرحلة فهدفها التفكير بدون معوقات والإلتقاء بأئمة العلم وسؤالهم هل تأكد لهم صدق نظرياتهم، كيف كانت البداية. بداية خلق الكون والكائنات.

سألت نفسى كيف أفقدك وعيك؟ هل أغطس بك إلى قاع المحيط؟ لكن لماذا يفقد الغواص وعيه عندما يتنفس هواء تحت ضغط عال، ولا يفقد وعيه إذا أستبدل الأكسجين بالهليوم؟ لكنك قد لا تعرف الفرق بين هذين الغازيين. نحن لا نرى الغازات وبعضنا لا يعرف شيئا إلا عن الغازات التى يسمعها والصادرة من فتحتى قناته الهضمية. فكرت مرة أخرى. إنك تسكن معى ف حى الحسين قريبا جدا من الباطنية، حصن المخدرات المنيع. ولا شك أنك سمعت عن الدخان الأزرق. ربما أستنشقه بطريق مباشر أو غير مباشر. لماذا لا أفقدك وعيك بأن أجعلك تتناول بعض العقاقير المخدرة؟ إن الجزيئات المخدرة تكون بللورات فى الجزء المائع من نسيج المخ. يصنع الماء مصائد تشبه إلى حد ما خلايا قرص عسل النحل. تقع جزيئات المخدر فى تجاويف توائمها من هذه الشبكة. فتعاكس النشاط الكهربى للمخ وتسبب فقد الوعى وعدم الأحساس بالألم. لكن هذا يضعنى تحت طائلة القانون. وبإيعاز من الأزهر، سيرتب لى «رجال المباحث الدينية» كمينا فأضيع أنا ولا تضيع أنت. ماذا أفعل ياربى؟ كيف أفقدك وعيك دون أن تموت أو أموت؟ كيف أجعلك تنسى مؤقتا العداوة المتأصلة فى نفسك ضد العلم أو ضد الدين؟ أنا أعوف كثيرا من الكيميائيين الذين يصنعون جزيئات جديدة. يمكنهم ربط الذرات بعضها ببعض وإعادة ترتيبها لتكوين جزئ جديد لا يتعرف عليه أبدا أباطرة المخدرات فى

كولومبيا والباطنية.

التخدير والتكدير

أعلنت عن مسابقة عالمة إنسانية. وحتى أستدرج إليها العدو والحبيب فقد خاطبت ضمائر الناس حتى لا تقوم معارك بين العلماء والفقهاء وتسيل الدماء ويختلط الحلال بالحرام. الموضوع هو: من يساعدنى على إختراع دواء مخدر، من يشربه يغيب مؤقتا عن وعيه فإذا إستيقظ وجد نفسه فاقداً لذاكرته دون أن يفقد قواه المفكرة؟ وقررت أن يقوم الفائز برحلة كونية على حسابى الخاص لعله يستطيع الإجابة على هذه التساؤلات وهى:

عن العالم:هل عالمنا هو العالم الوحيد الممكن؟

عن المادة: هل يمكن تصور وجود مادة تتمتع بخصائص مغايرة؟

عن الكون: هل يمكن أن يكون الكون مختلفا عما هو عليه؟

من الصعب تصور عالم ١+١ فيه لا تساوى إثنين فهل هذه العلاقة حتمية؟ أم أنها ليست إلا إنعكاسا للطريقة التى يعمل بها دماغنا؟ هل يمكن تخيل عالم يسقط فيه الجليد إلى القعر بدلا من أن يطفوا على سطح الماء؟ أو عَالمٌ تقفز فيه التفاحة لتختفى فى السماء بدلا من أن تسقط على الأرض؟

واشترطت أن يوافق الفائز على أن يجرب إختراعه بنفسه. يتناول دواءه، «طباخ السم بيذوقه» الفائز الأول هو من يفقد الذاكرة أولا. وكانت المكافأة التى رصدتها هى أننى سأضعه فى بالون أثناء الغيبوبة ينساب مع الريح فى ليلة ظلما هى ليلة ١١/٥ إذا كان الفائز إنجلزى أو ٧/٤ إذا كان أمريكيا حتى لا يستطيع أن يرى الأرض أو يرانى بسبب الظلمة إلى أن يهبط على الكوكب الذى يريده ليحقق أمله ويتحقق من معتقداته ويجيب عل سؤالى. وطلبت من الفائز أن يسجل ما يحدث عند الإنتقال من نقطة إلى أخرى فى المكان من لحظة إلى أخرى فى الزمان .

من الواضح أنك لو كنت مكانه فإن فزيائك وميتافيزيقاك وفهمك وفقهك ستكون مختلفة تماما. لأنك حينئذ ستكون متحررا من كل التصورات المسبقة والإعتقادات التى تمنع معظم الماس من فهم الحقيقة. فإذا صممت أن تأخذ معك زوجتك فستسمعها تجمجم بكلام غير مفهوم. فتتأكد أنكما كالمعتاد لا تفهمها ولا تفهمك. لكنها فى الحقيقة

وضعت قرص المخدر الذى كان يخصها فى كأسك. لو كانت قد تناولته معك لتفاهمتهما للمرة الأولى والأخيرة. هذه هى المرة الأولى والوحيدة والأخيرة التى تمكنت أنت أن تنسيها المر الذى شربته منذ قبلتك زوجا. فحصت ردود المتسابقيين وأستبعدت المتسابقات لأنهن أسأن فهم شرطى فقد أجمعن على أن «النكد» هو الدواء الوحيد الذى يفقد الرجل قدرته على التفكير. يجمد فكره ولا يفقده وعيه. ولا يمنعه أن يذهب كل يوم إلى عمله ويعود منه. لأن الفكر ليس مطلوبا فى الحكومة ولا فى القطاع العام. مفعول النكد يشبه تماما مفعول الأثير. كل ما فى الأمر. أنهن غيرن إسم العملية من التخدير إلى التكدير.. أليست مهمة المرأة هى إثارة غرائز المخيخ؟ إن إثارة تفكير المخ لا ينشط الجنس ولا يكثر النسل ولا يحد منه. بالطبع أنا لا أقصد أن أهاجم المرأة فالمرأة هى أمى وزوجتى وإبنتى وحفيدتى وملهمتى! حبيبة قلبى. هى التى حملتنى ووضعتنى وأرضعتنى وأسعدتنى. ورغم أنها هى أيضا التى نكدت على عيشتى بالوهم الذى تسميه أمانا والكبر تسميه كرامة، والغيرة التى تسميها حبا، إلا أنه لولا النكد ما عرفنا طعم السعادة. ولولا القهر ما تمنينا الحرية وإن لم نحصل عليها. ولولا السلبية ماكانت المقاومة. ومع ذلك ورغم كل ذلك فمن الظلم أن نسمى المرأة قرينة. لأنه من المعروف فيزيائيا أنه لو إلتقى جسم بقرينة يحترقا ويفنيا معا. حب وحنان الزوجة الوفية يحمى حياتكما بمظلة الأمان. تسلط وضيق أفق الزوجة النكدية لا يبقى منك حيا إلا فكرك. الملكة الوحيدة التى لا يستطيع مخلوق أن يحرمك منها. وهذا يكيفيك ويرضيك. لكنك مهما فكرت فإنه لا قدسية للأفكار الإنسانية ولا هيبة. لابد من تعرضها لحمض النقد الحاد. لا شئ يقف حائلا دون هدم الأفكار وتطويرها. الأفكار الإنسانية ليست أبدا مطلقة ولا أبدية. لا توجد فكرة واحدة أعلى من أن تكون غير قابلة للتغيير والتطور. شرط المسابقة ابتكار دواء يفقدك ذاكرتك ويبقى قدرتك على التفكير. لكن الدواء الذى عرضه كل المتسابقات يفقد الاثنين. لذلك رفضته.

قليلون هم الذين يقبلون أن تصبح الحياة والإنسان مواضيع بحث، لا مواضيع وحى وإلهام. لكن إذا درسنا «متحررين» من جميع الأحكام المسبقة تاريخ نشوء الحياة على الأرض وتاريخ نشوء الأرض ذاتها ونشوء غلافها الجوى. والشروط الكونية التى يقوم عليها كل هذا كما تعرضها لنا المعارف العلمية الحديثة. عندئذ سنجد أنفسنا أمام رأى

مختلف تماماً يقف على النقيض مما كنا نظنه أن. هذه هى النقطة الحاسمة. فما هى الخطوة الحاسمة التى يمكننى بها كطبيب أن «أحررك»؟

المخ والمخيخ

لا يمكن أن يحررك غير طبيب. فأنا أستطيع أن أخدرك، أن أجعلك تفقد وعيك وإحساسك دون أن تموت. لماذا؟ لأنى أعلم أن الأجزاء المختلفة من المخ تستجيب للمادة المخدرة بدرجات متفاوتة. علمنا هذا المريض سئ الحظ الذى كنا نخدره بالطريقة التى عفا عنها الزمن، التخدير على راحل محددة متتالية، التخدير الكلاسيكى القديم،، إستنشاق الأثير. لكن «كلما زاد التعقيد سهل التعطيل». هذه القاعدة تنطبق على المخ كما تنطبق على الأدوات والأجهزة الحديثة. الأجهزة الأكثر تطورا تكون معرضة للتعطل أكثر من القديمة الأقل تعقيدا، وبالتالى الأكثر تحملا للصدمات. إن صاروخا حديثا من طراز ساتورن أكثر تعرضا للتعطل والخلل بسبب المؤثرات الخارجية من سيارة عادية مرسيدس من طراز قديم.

إن التخدير يصيب المخ بالشلل الإصطناعى. أول ما يغيب هو الوعى. فهذه هى بدون شك الوظيفة الحديثة والأخيرة التى إكتسبها هذا العضو المعقد خلال عملية التطور التاريخى. ليس هناك إذاً ما يدعوا إلى العجب فى أن يكون الجزء من المخ الذى يؤدى هذه الوظيفة هو أقل الأجزاء قدرة على مقاومة تأثير الماة المخدرة.

الشعور بالخوف الشيد أو الذعر كان الأحساس الأخير للمريض المخدر بإستنشاق الإثير قبل أن يفقد الوعى. لذلك يبدأ بالتخبيط وفى بعض الأحوال بالصراخ بصون عال. هذه المرحلة الهستيرية هى السبب الذى كان يجعل الطبيب يربط ذراعى ورجلى المريض بإحكام قبل البدء فى التخدير. إن المريض ذاته لا يلاحظ أى شئ من غضبه الوحشى لأن وعيه سيكون غاب وبالتالى قدرته على الحكم على الهدف من الوضع الذى هو فيه. إن قشرة مخه، أى الجزء الأعلى وفى نفس الوقت الأحدث والأكبر من الدماغ البشرى يكون مشلولا. فى هذه الحالة الطارئة ينسلم القيادة المقطع التالى من الدماغ وهو المخيخ: المخيخ هو الجزء الأقدم وهو موجود لدى الأسماك والزواحف بشكله المكتمل. وهو أقدم وأقل تعقيدا وبالتالى أكثر قدرة على المقاومة، ولذلك لم يزل يعمل

ويتحمل. تتمركز فى هذا الجزء الغرائز والدوافع المخزنه فيه كأفعال إنعكاسة موروثة وجاهزة لكى يحصل رد الفعل المناسب على الإثارة أتوماتيكيا. رد الفعل التلقائى.

المخ يراقب المخخ عند الإنسان الناضج الذى يستطيع السيطرة على نفسه، ويحصر هذه الأفعال الإنعكاسية الأوتوماتيكية ضمن الحدود المتناسبة مع تقديره للموقف. أما الأن،فى المرحلة المتوحشة تكون هذه الهيئة العليا القادرة على التحليل عائبة لذلك يسيطر المخيخ كحاكم مطلق ويحكم خطأ على التخدير: إنه حالة تسمم حاصلة بتأثير خارجى. مما يجعله يطلق الأفعال الإنعكاسية الغريزية الجاهزة مسبقا لإتخاذ أقصى درجات الدفاع أو الهرب. وهو مصيب فى ذلك من وجهة نظر غضو غير قادر على التحليل. من هنا يتولد لدى المريض الفاقد لوعيه قلق صاخب يبعث على الخوف فى نفس من يراقبه. فى هذه الحالة لا يستطيع الجراح بالطبع البدء فى إجراء العملية على الرغم من أن الشعور بالألم لدى المريض يكون قد غاب أيضا مع عياب وعيه. لذلك يتابع طبيب التخدير تنقيط الإثير على الكمامة حيث يتحول إلى بخار يستنشقه المريض، بلك يتعمق التخدير، أى يزدا تركيز الإثير فى الدم مما يؤدى إلى تحذير المخيخ أيضا. فيتوقف عن الحركات الغريزه التى كان يطلقها. عندئذ يهدأ المريض ويزول التوتر من عضلاته. لأن يمكن البدء فى العملية الجراحية. لذلك تكمن مهارة طبيب التخدير فى أن يحافظ على هذا المستوى طيلة العمل الجراحى. المخ والمخيخ مشلولين لأن. لكن هناك جزء أدن أقدم منها لا يزال يعمل، ويجب أن يظل يقظا، فعليه تتوقف حياة المريض تتواجد فى هذا الجزء مراكز التحكم الأوتوماتيكى اللاإرادى فى الدورة الدموية والتنفس ودرجة الحرارة وغيرها من وظائف التمثل العضوى ـ الإستقلاب ـ اللازم للحياة. إذا فى أسفل الدماغ تحت المخ والمخيخ توجد «٣ عيون». أى ٣ مراكز لتنظيم الوظائف التى حررت الكائن الحى خطوة خطوة من تعلقه بأبيه، «ماء المحيط» ﴿وجعلنا من الماء كل شئ حى﴾ تسلمت هذه المراكز زمام أمره.

المركز هو كتلة من الخلايا العصبية:

١ ـ «عين الماء». مركز تنظيم كمية وحركة الماء داخل الجسم. يراقب تركيز المحلول الكلوى ويحقق الإنسجام بينه وبين المحتوى المائى فى الأنسجة. يمنع العطش بالتنسق بين العرق والحاجة إلى تناول السوائل.

٢ ـ «العين الحرارية» مركز تنظيم الحرارة الداخلية. الذى يحرر الحيوانات «ثابتات الحرارة» من التبعية للتأرجحات الحرارية فى المحيط. ويحقق بالتالى سرعة ثابتة للتمثل الداخلية العضوى والشروط الثابته Milieu enterieur. تهيئ بدورها الأساس لأشكال أعلى من الإستقلال عن المحيط. يسمى هذا المركز «أحيانا العين الحرارية» لأنه يعرف درجة حرارة الدم المار حوله ثم يقوم على ضوء ذلك بتشغيل الأجهزة المناسبة كما يفعل المنظم الحرارى «االثرموستات». عندما نشعر بالحر الزائد نتناول كمية أكبر من السوائل لكى نطرد الحر من جسمنا عن طريق زيادة العرق. هنا تتقاطع وتتناسق وظيفتا تنظيم المياه وتنظيم الحرارة ـ «عين الماء وعين الحرارة»عينان تجعلان وجهك يحمر فى الحر الشديد أو يبيض فى البرد الشديد! وجوهنا تحمر لأن العروق تتسع أتوماتيكيا لكى يتمكن الدم من نقل أكبر كمية من الحرارة من داخل الجسم إلى سطحه الخارجى حيث تشع من هناك نحو الخارج. هذه آليه تجعل من دورتنا الدموية «محطة تكييف» فعالة بالإضافة إلى جميع وظائفها الأخر. أما التنظيم فى الإتجاه المعاكس فيجعلنا نبدو فى البرد شاحبين. إذا إنخفضت الحرارة شعرنا بالبرد والرعشة. لأن درجة حرارة جسمنا قلت عن المقدار المسموح به. تقوم الآن العين الحرارية بتشغيل مركز أعلى يستطيع أن يحرك العضلات أوتوماتيكيا فنبدأ بالإرتعاش. لماذا نرتعش؟ لكى تحرق العضلات كميات إضافية من المواد الغذائية وتنتج حرارة إضافية. لهذا السبب تزداد شهيتنافى الأوقات الباردة بينما يقل أكلنا بصورة واضحة فى أوقات الصيف الحارة.

٣ ـ «العين القحيفة» فى نفس المقطع العميق والقديم للدماغ أيضا الغدة النخامية. هذه «العين القحيفة» التى تحولت لدينا إلى غدة، معزولة عن العالم الخارجى، بغطاء الجمجمة المحكم الإنغلاق. غير أن هورمونات هذه الغدة لم تزل توجه التوقيت الزمنى لعدد معين من عمليات التطور الجسمى للفرد ليسيطر ليس فقط على الجغرافيا البشرية بل وعلى التاريخ أيضا. تسيطر على المكان. طول كووزنك وجنسك. وشكل جسمك، السهول والجبال والأجزاء كاملة الإستدارة وشديدة البروز. الأعماق والأودية والمرتفعات والمنخفضات الموزعة بأحكام شديد بل وتسيطر أيضا على الزمان. متى يتوقف نموك؟ متى تبلغ الحلم؟ متى تبدء الدورة الشهرية؟ متى يظهر شنبك؟ متى تحلم وتستحلم؟ متى تعرف طعم الحب؟ وكيف تحب؟ كل هذا لم يعد يحصل إستناداً إلى

إشارات من المحيط الخارجى. الماء المحيط بك داخليا. وإن كان يصدر إستجابة لإثارات ممن تحطن بك!

٤ ـ فوق هذه المنطقة توجد الاجزاء العليا من جذع المخ وهى عبارة عن كتل هائلة من الخلايا العصبية التى تشكل مركز قيادة الوظائف والقدرات المكتسبة بعد ذلك بزمن طويل. إن هذه المنطقة من الدماغ هى الكمبيوتر الذى خزنت فيه خبرات الأجيال السابقة التى لا حصر لها من برامج جاهزة! تخزن هذه البرامج هنا فى صيغة أفعال سلوكية أو وظائف محددة. كنوع من المشاهد المسرحية التى تبدأ بالحدوث بناء على مؤثرات حبيبتك تؤدى إلى إفراز وقذف نوع آخر تماما من الوسائل بكمية أفضل وأسرع. لكن ما الداعى لإثارة مشاكل عائلية؟. ثم إننى لست جراحا ولن أجرى لك عملية جراحية. ولن أخدرك أبدا بالطريقة الكلاسيكية. ولن تسمح لى أنت بذلك. أنت حر. أنا كنت أريدك أن تفهم ما يدور فى رأسك أنت لا فى رأسى أنا. يبدوا أنك لست مستعداً لتفهم كيف تعمل سياراتك. كل ما يهمك هو أن تقودها بنفسك أو ربما تترك غيرك يقودها لك. إننى أرى من العبث التفاهم مع مثلك. أو محاولة إقناعك بجدوى أى شىء أو بعدم جدوى كل شئ. لذلك قررت أن أجرى لك جراحة نفسية وهذه أكثر صعوبة. إنك لا تدرك الفرق الفادح بين الفلكى ورجل يقصر إهتمامه على الأشياء الموجودة فوق سطح الأرض. ولا الفرق بين داروين «المعلم» الذى أطاع الله فسار فى الأرض ليرى كيف بدأ الخلق. وبين «المعمم» الذى لا يشغله إلا حرفية النص ولا يدرك مطلقا أن الحقيقة هى جوهر العقيدة وأن التوحيد هو جوهر الحقيقة.

الفائز الثالث: كان أحد العلماء الذين ولدوا اليوم ليعيشوا فى المستقبل

الفائز الثانى: كان أحد الفلاسفة الذين ولدوا اليوم ليولدوا من جديد كل يوم

الفائز الأول: كان أحد الفقهاء! الذين ولدوا اليوم ليعيشوا فى الأمس.

ورقة عمل الفائز الثالث

ما يمكن أن تراه على الأرض يحدث عمليا فى اللحظة التى تراه فيها لكن فى السماء الأمر مختلف تماماً من الذى أسقط الطائرة المعادية؟ أى الصاروخين أرض جو أم الجو جو اللذين إنطلقا فى نفس الوقت من موقعين أحدهما ثابت والآخر متحرك؟

تعريف الآنية يتجاوز القدرة الإنسانية. الآنية هى توقيت الحوادث التى تقع على سطح الأرض بفرض تجاهل أن الأرض تدور. كان من المثير للدهشة إكتشاف أن مرور الزمن يتوقف على الحركة. كيف تحدد وقت حادثة ما ؟ يمكن إستخدام أى حادثة من الحوادث الدورية لقياس الزمن. الأرض ساعة لأنها تدور مرة واحدة كل ٢٣ ساعة و٥٦ دقيقة. لكن هناك ساعات أدق كثيرا من المقاييس المؤسسة على دورات الأرض. الذرة ساعة: ذرات السيزيوم وجزيئات النشادر ترسل موجات لاسلكية قصيرة تحت ظروف معينة. يمكن إستخدامها لإرسال معايير أشد تجانسا لقياس الزمن.

نحن نحتاج إلى ٣ قياسات لتحديد مكان ما وإلى أربعة لتحديد حادثة. لا يكفى ٣. فيثاغورس الذى كان معاصراً لكونفوشيوس وبوذا، والذى أنشأ طائفة دينية تعتق أنه «من الشر أكل الفول»، هو الذى وضع النظرية التى تقرر أن مجموع زاويا المثلث ١٨٠ْ. وبعد آلاف السنين ثبت أن هذا خطأ. إنها لا تساوى دائما قائمتين. لن تعثر على الفرق فى المثلث البسيط الذى ترسمه بالخيط فى حديقة منزلك. أنظر إلى سطح كروى، المثلث الذى يصنعه خط الإستواء وخط الزوال ٩٠ْ وخط زوال جرينتش مجموع زواياه ٣ قوائم. لم يكن من الممكن أيام فيثاغورث أن نتصور مثلثا زوياه أكبر أو أقل من قائمتين. لكن لأن آصبح من الممكن أن نرسم مثلثا مجموع زواه ٣ قوائم. لذلك إذا أردت الإبحار إلى جده فإن السفر شرقا ليس هو أقصر الطرق إلا عند خط الإستواء. يجب أن تبحر شمالا ثم تنحرف شرقا فى دائرة عظمى مركزها هو مركز الأرض.

كان من الممكن قبل آينشتين أن نرى حادثتين فى مكانين مختلفين ونقول إنهما حدثتا فى وقت واحد. كل إنسان كان يعتق أن هذه العبارة ممكنة. لم يفكر أحد فى أن هذا الإعتقاد خاطئ لكن الآن: يمكن أن يقول أحدنا أن الحادثة الأولى سبقت الثانية ويقول آخر أن الثانية سبقت الأولى ويقول ثالث إنهما حدثتا فى وقت واحد واضعا فى إعتباره سرعة الضوء لأنه كان يقف عند منتصف المسافة بين الحادثتين لن يكون أحدهم مصيبا والآخران مخطئين. بل سيكون الثلاثة جميعا مصيبين. هذه النتيجة الغريبة أذهلت ملكات الناس المفكرة. بركانين إنفجراً فى آن واحد، أى فى نفس الوقت. أحدهما على الأرض والآخر على كوكب بعيد عنها بعشر سنين ضوئية. السنة الضوئية هى حاصل ضرب ٣٦٥ ×٢٤ ×٦٠ ×٦٠ × سرعة الضوء أى يوم × ساعة ×دقيقة × ثانية × ٣٠٠ ألف كيلومتر/ثانية

= ٦ مليون مليون ميل. لا أحد يستطيع أن يعيش الإنفجارين فى نفس الوقت. من الذى يوقت، أنت على الأرض؟ أم الآخر الذى على الكوكب؟ أم ثالث على كوكب ثابت فى منتصف المسافة بينهما؟ أم رابع على نفس البعد لكنه فى صاروخ؟ كلهم صادقوا مهما إحتدت المعارضة. مفهوم الآنية والتطابق الزمنى لا وجود له. ماذا لو إستبدلنا الصوت بالضوء. هذا أيسر. نظرا لأن سرعة الصوت أبطأ كثيرا من سرعة الضو. عصابة من قطاع الطرق كلفت لصان بإطلاق النار على سائق القطار وعلى الحارس الذى يقف فى المؤخرة «السبنسة» الحارس والسائق أبناء عم. وفى ليلة ظلما وقف اللصان على الخط الحديى وأطلقا النار على الضحيتين من مكان قريب. الركب العجوز الذى كان يجلس وحيدا فى منتصف القطار سمع الطلقتين فى وقت واحد. وقرر أنهما حدثتا فى وقت واحد. لكن ناظر المحطة الذى كان واقفا فى منتصف المسافة بين اللصين سمع الطلقة التى قتلت الحارس أولا. أقام الورثة قضية لأن المليونير عم القتيلين كان قد وهب ثروته كلها لمن يموت منهما أولا. الأرث كبير والأتعاب خيالية. محاميا الطرفين إتفقا على أنه إما أن يكون العجوز مخطئا أو أن ناظر المحطة هو المخطئ. لكن القاضى كان أوربيات وأربيا، فقد تعلم القانون فى السوربون. وقرر أن كليهما على صواب تماما.

يمكنك أن تتخيل أرنبا وسيد قشطة يتجادلان عما إذا كان الإنسان حيوان ضخم «حقا»؟. كل منهما سيعتقد أن وجهة نظره هى الحقيقة. الحقيقة أنه ليس هناك شئ حقيقى. هذه وخزات الضمير التى تعترى العالم فى اللحظات اللامهنية. لكن الذى يرتدى نظارة زرقاء يعرف أن نظرته الزرقاء إلى كل شئ ترجع إلى نظارته لا إلى ما يشاهده. إخترت هذا الفائز الثالث الذى يهتم جدا بالكون. طلب أن يقابل فى منامه آينشتين أو أن ترحل معه إحدى تلميذاته، وهذا أفضل. فسيفهم ما تقوله أكثر مما يفهمه الإنسان العادى. ويدرك المعنى العميق لآرائه الفذه حين ينظر إلى الأرض الذى كان عليها وإلى السماء التى حوله فإنه لن يتمكن أبدا، ولا بأى طريقة من الطرق ولا فى وقت من الأوقات أن يرى نجما من النجوم فى اللحظة التى يراقبه فيها. لن يندهش لأنه حتى علماء الفلك حين يشاهدون أو يراقبون قبة السماء فأنهم لا يرون إلا أشباحا. لأن الأجسام التى يرونها بمناظيرهم ويصورونها بأجهزتهم لم تعد موجودة. إن الذى يرونها لأن كان موجودا هنا قبل عدة سنين ضوئية. ﴿ولا أقسم بمواقع النجوم وإنه قسم لو

تعلمون عظيم﴾ .

ورقة عمل الفائز الثانى

أما الفائز الثانى فكان لا يهتم بالكون ولا بالقوانين. لا يهتم بالكون لكنه يهتم جدا بالكائنات. إنه الوحيد الذى إكتشف عبثية السؤال: خلق أم تطور؟ وقال أو تجرؤ أن تسأل مثل هذا السؤال الساذج؟ ألا تذكر الأسئلة المماثلة: هى الضوء موجات أم دقائق؟ Waves or particles هل ضيعتنا «أم» ضيعتنا «or».

كانت له شروط عجيبة. قال إن البالون قد ينفجر إذا إصطدم أو إذا أطلق عليه أعداء العلم والحياة قذيفة صاروخية. وأنه يفضل أن نضعه فى صندوق مصفح محكما بلا نوافذ وننقله إلى أبعد مكان فى الكون بحيث لا تطوله أطول الألسنة قذفا. وطلب من الله أن يقابل نفسه ف المنام نفس داروين. لأنه يريد أن يعرف ويتأكد أنه إذا حدثت الحياة فجأة على الكوكب الذى هبط بصندوقه عليه فهل ستنتج حيوانات شبيهه بتلك التى تعيش على الأرض؟ وتتطور بالضرورة إلى طلائع الجنس البشرى؟ وقال أنه سيقوم بينهما حوار مستمر فيما يمكن أن يكون وما هو كائن. إنه يريد أن يرى لحظة ميلاد الحياة ميلاد الجزئ الحى الخالد الصامد. دنا. DNA. ميلاد الجينوم.

ورقة عمل الفائز الأول

لاحظت أن الفائز الثالث يتكلم عن حقائق وقوانين يمكن أن ننظرها ونتثبت منها ونتأكد من صدقها كلما إزدادت قدرتنا التقنية ووسائلنا العلمية. وأن الفائز الثانى يتكلم عن الروح، ويؤكد أنه ليس إلا أمر الله المسجل فى كتاب مشفر مكنون. والشفرة تقرأ بإستخدام القلم. القراءة بالقلم. ترتيل آيات الله المكتوبة بحبر من تراب الأرض فى كل خلية حية. ورغم أن إكتشافه كان مذهلا وغير متوقع بالمرة إلا أن ما توصل إليه ليس إلا حقيقة كانت غائبة وأصبحت منظورة. دارون فتح الأبواب المغلقة والهندسة الوراثية مهدت الطريق إلى إدراك الحقيقة الخالدة. وفى أنفسكم أفلا تبصرون. الجزئ الإمام الخالد، الحاكم بأمر الله.الفائز الثالث والثانى يتكلمان عن عالم الشهادة. العالم المنظور أو الذى سيصبح منظورا إن عاجلا أو أجلا. أما الفائز الأول فإنه الوحيد الذى أطل على المجهول فى عالم الغيب، العالم غير المنظور. والذى سيظل إلى الأبد غير منظورا. إذن الفائز الأول هو الوحيد الذى أدخلنى إلى عالم الغيب، عالم الكائنات غير المنظورة. عالم

كناه وسنكونه. إنا لله وإنا إليه راجعون. عالم النفس والقرين. عالم الغيب. الفائزان الثالث والثانى ينظران إلى السماء من الأرض أما الأول فإنه ينظر إلى الأرض من السماء. فإتحد، فى نظريته الشمولية، الحاضر بالماضى بالمستقبل. إتسع الزمان وضاق المكان. الزمان كله زمانى رغم أنى لست إلا جسيما فيه. لكننى بالتأكيد ذو قيمة كبيرة وإلا لما عشت ولا كنت. وأنت أيضا مهما كان قدرك فلابد أنك خلقثت لتلعب دورا على مسرح الحياة، لا يمكن أبدا أن يقوم به غيرك. الدوبلير مستحيل كل كائن حى ممثل وحيد وفريد. خشيت أن أعطيه الجائزة الأولى أن يعتبر أن انجازه إعجاز، رغم أن هناك فرق جسيم بين الفيلسوف الحقيقى وارس الفلسفة مثلى، بل ويعتبر ظلما للعلم لأنهم رغم أنهم فى كلية آداب فصلوا علم النفس عن الفلسفة إلا أن أساتذة علم النفس بل وأطباء علم النفس لا يعرفون مطلقا أن النفس كائن مستقل عن الجسد تماما، خلقت قبله فى عالم الذر وتحل فيه وتخرج منه عند النوم وستبقى بعده عند الموت. وأن علاقة النفس بالجس مثل علاقة لعازفة بالبيانو. بل وسيُعتبر إختيارى له جحودا للحقيقة المؤلمة. فرغم أن الأستاذة الدكتورة نازلى كانت الوحية التى إحتفت وأحتفلت بى إلا أن القائمين على القسم والمهيمنين على دراساته لم يهتموا بالطالب الطبيب العجوز أثناء دراسته، ولا قيموا ثمرة إنتاجه بعد أن تخرج، ولا نقدرا عمله فهنئوه أو وبخوه. تسعة أعشار الرزق فى التجارة. وتسعة أعشار العلم فى الفلسفة. أم العلوم. نسى الأستاتذة الكسر الثانى وتمسكوا بالكسر الأول.

الفائز الأول إحتج على سؤالى غير الدقيق، خلق أم تطور؟ وقال: أولا أنت تسأل عن خلق مادة الجسم ولم تسأل عن حقيقة الخلق. الخلق الأول هو خلق النفس. وثانيا، ماذا تقصد بالتطور وبدور الصدفة فيه؟ الصدفة هادفة سواء كانت للإبقاء أو للإفناء. إن الطفرة هى الخطأ المقصود الهادف الذى يؤدى إلى تطور وفق مخطط. مرسوم مسبقاً إن سؤالك دائرى لأنه حدد اختيارى سلفا بين إحتمالين. إنه يا سيدى تطور خلاق Creative Evolution. إنه أمر نادرا جدا، أن تسمع مثل هذا الكلام العميق من فقيه. إذن هذا فقيه متنور ومتطور. قد لا يتكرر ظهوره أبدا وتابعت بشغف قراءة ورقته.

«أن أنوار الفجر الباهته لتشارك وهج الظهيرة فى أنهما معا يصدران عن أشعة الشمس نفسها».

شوبنهور

حياة من تراب وتراب من حياة

﴿أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾. الشعراء ٧

﴿ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾. الذاريات ٤٩

فسر المفسرون التقليديون ظاهر هذه آية بأن الأزواج بالنسبة إلى الإنسان والحيوان والنبات، هى الذكر والأنثى، الجمل والناقة، الكبش والنعجة، الأسد واللبؤة، ذكور الخيل وأناثه. هذا ما يمكن أن تراه كمفسر، إذا أخذت بظاهر الآيات فأنت على حق وإن كان لك باطنها فلا أظنك قد جانبت الصواب، فالظاهر مرتبط بالباطن ولكن أكثر الناس لا يعلمون. أما الباطن فهو أعمق من ذلك بكثير، الأجنة النائمة فى بذورها أو الكامنة فى ثمارها لا يمكن أن تراها رؤية العين ولا أن ندرك وجودها بالحواس الخمس. لو رأى الفقيه الباطن وعاينه لإتسعت مداركه وتطورت معارفه وتفتح عقله على كنوز من الأسرار. فكرة خلق الزوجين تبدأ من الذرة إلى المجرة. كل ما فى الكون. كل شئ، سواء كان منظورا أو غير منظور. وليس فقط الكائنات الحية الكون الذى نراة والذى لا نراة. المعنويات والمحسوسات، الماديات والمجردات، المادة والطاقة، الجنة والنار، النور والظلام، اللذة والألم. كل هذه المتناقضات يجمع بينها إطار واحد «سبحان الذى خلق الأزواج كلها» ما أكثر الآيات القرآنية التى تحصن الإنسامن على التأمل والبحث والتدبر والتفكير فى الخلق العظيم لا ينهانا الله أبدا عما أمرنا به يخاطب العقول االواعية لا اللاهيه. ولا يخاطبها أبدا بلا الناهية.

﴿ألم يك نطفة من منى يمنى. ثم كان علقة فخلق فسوى. فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾. القيامة ٣٧ ـ ٣٩.

الحيوانات المنوية: أزواج

كل مفسر تناول هذه آية على قدر علمه. والقرآن صالح لكل زمان ومكان وصالح أيضا لكل مستويات التفكير. كل يسعد بما أدرك وعرف. لغة القرآن عطاءها سخى جدا. لأنك تنهل منه على قدر ما تعلم. لوكان يقص النطفة أو العلقة لقال «فجعل منها». ولكن قوله «فجعل منه» معناه أنه يتكلم عن المنى. الذى يكمن السر فيه فنصف الحيوانات المنوية إناثا ونصفها الآخر ذكور «أزواج». على رأس كل حيوان منوى قبعة. هذه القبعة

دقيقة جداً . فيها تكمن هويته. بطاقته الشخصية. فإذا أصاب بويضة من نفس نوعه خلع قبعته إحتراما. يحدث فى رأسه تعرية. يقابله هدم فى جدار البويضة فتخترق المادة الوراثية السور العظيم. ولوج الحيوان يبدأ بهدم الجدار كأنما هو عدو مبين. من الهدم ينشأ البنا. وبدون هاتين العمليتين لن تكون حياة فى العالم الآن ٤٠٠٠ مليون نسمة. فى كل فرد ١٠٠ ألف نوع من بروتين له بروتين مضاد. أى جسم لأى فرد يرفض الغرباء فى أمبراطوريته حتى لو كان فى ذلك إنقاذا لحياته. يفضل الموت على أن يستقبل فى جسمه بروتينات غريبة.

الكروموزمات: أزواج

نترك المرأة والرجل إلى الحيوان المنوى الذكر والأنثى إلى نواة الخلية المحلقة. التى فيها لـ٢٢ زوج من الأمشاج. جاء الزوجان فرأى من الخلايا الجنسية. للذكر وأنثاه ٤٦ كروموزوم ٢٢ زوجا متشابهين تمتما وزوج واحد مختلف. حين يذوب الزوجان فى كيان واحد أحدهما نسخة طبق الأصل من نظيره. ولكل مشيج «زوجة» يحتضن كل زوج قرينة لتأخذ منه وتعطى له. عرف كل زوج زوجه يسعى إليه. يتقابل معه. يسكن إليه. ويلتحم به. يجمع بينها فراش بروتينى خاص. ويتبادل معه المعلومات الوراثية. طوفان هائل من المعلومات بين ملايين المواقع والخطأ هنا لا يغتفر.

الجينات: أزواج

والآن نلقى نظرة على خرائط السجلات الوراثية. المكتوبة بلغة خاصة جدا على لوح الخلية المحفوظ «حجر رشيد الحياة» «ملايين الجينات» «وحدات الوراثية» «الموروثة» المرصوصة بنظام مذهل على خطوط التشغيل جاءت أزواجا. أو ليس هذا تكرارا؟ أبدا إنها قطعة غيار حية تصلح ما فسد. ﴿وأصلحنا له زوجه﴾.

حروف الوراثة: أزواج:

٤ حروف هى بداية كل شئ هى شفرة الحياة لغة خاصة جدا، بسيطة جداً، مثيرة جداً وهذه أيضا جات أزواجا. نفس الشفرة فى الدودة والحوت والقرد والحمار والإنسان والملوخية والباذنجان الرموز السرية A دائما مع T وC دائما مع G. فهل يتزارج الإنسان

مع القرد؟ أو الذيك مع البطة؟ قوانين الحياة لا تسمح بذلك. لغة موحدة لملايين الأنواع رغم إختلاف أشكالها وأنواعها وسلالاتها. لغة نشأت من التراب. من عناصر التراب وإلى التراب تعود. إنها حياة من تراب. وتراب من حياة. هذا الثرى من عيون ساحرة الإحورار.

﴿الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون﴾. الروم ١١.

﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شئ موزون﴾. الحجرات ١٩.

إخترت هذا الفائز وأعطيته الجائزة الأولى لأنه لا يهتم بالكون ولا بالكائنات ولا بالقوانين التى تحكمهما فقد كلن فقيها متطورا، وهذا أمر نادرا جداً، ولكنه فاجأنى حين قال: أنا ليس لى علاقة مطلقا بالحاضر. الحاضر لا وجود له. ولا أريد أن أعرف شيئا عن المستقبل. من المهم جدا أن يكون المستقبل مجهولا. هذه وجهة نظر معقولة فلو كنت تعرف ما ستقرأه فى السطر التالى لما أشتريت كتابى أصلا ولا فكرت فى قراءته. أنا أحب الماضى وأعيش فيه هذا الفقيه الجليل قد إعتاد العيش فى الماضى، لأنه كان سلفيا حتى النخاع. فقد طلب أن نطلقه فى صاروخ فى الزمن المعكوس. وافقته بعد أن درست ما يمكن أن يحدث إذا إختلت قوانين الكون:

١ - الثلج فى كوب الماد سيسقط فى القاع بدلا من أن يطفو على السطح

٢ - التفاحة تقفز من الطبق إلى شجرة التفاح ثم تقفز من الشجرة لتختفى فى السماء

٣ - الحليب ينفصل عن القهوة فى الفنجان ويندفع فى الهواء إلى زجاجة اللبن ثم إلى ضرع البقرة.

٤ - الحيوانات المنوية التى قذفها أى مغامر فى رحلاته وغزواته تعود إلى مكانها الطبيعى. لو كان سى عبده يعلم أن إبنته ستصبح فيفى وأن أبنه سيصبح مدمنا ويضحك وتضحك عليه الملايين،لما أنجب.لو كان العالم أو الفيلسوف يعرف أن هذا سيكون قدره فى أمته، التجاهل حتى الموت ثم التمجيدحين لا يجدى العزاء، لتمنى لو أن أباه لم ينجبه.

٥ - تختفى الكلمات ويعود الحبر السائل إلى القلم

٦ - الأفكار ترجع إلى الرأس لتختفى فى أعماق اللاشعور

هذا الفقيه كان يريد أن يعيد عقارب الزمن إلى الوراء ١٤ قرنا لعله يقابل رسول الله أو أحد خلفائه الراشدين لكن الرحلة كانت مع الأسف الشديد Nonstop flight، رحلة بدون توقف إلى الماضى السحيق.كان لا بد أن نعيد عقارب الزمن إلى الوراء ألف مليون عام أو يزيد. لا أشجار باسقة، ولا زهور متفتحة، ولا طيور مغردة، ولا حشرة شاردة، ولا فراشة محلقة، ولا سمكة عائمة. ولا شئ إطلاقا ألا الله «كان الله» ولا شيء معه. إلا نوره الذى ينكشف بالأمر كن. كل شيء من نورى. البراكين الثائرة، والرياح العاوية، والأمطار المتساقطة، والأبخرة الصاعدة، والزلازل المتتابعة. فالأرض كانت فى ذاك الزمن لازالت «طفلة شقية» والحياة لم تظهر بعد. ولما ظهرت بأروع شئ شهدته السماوات والأرض. ما أشهدنا الله خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسنا، لكن إنسان القرن العشرين، ووقف اليوم حائرا مفكرا. فلا يستطيع عقله القاصر أن يستوعب أسراره البدايات على دقتها، ولا أن يدرك الحكمة على بساطتها. ما إعراب «كن»؟ من هو هذا الجزئ الذى وهب الحياة للكائنات الحية؟ أنه الحاكم بأمر الله. الحامض النووى، نسبة إلى النواه التى يسكنها. الجينوم الجزيئ الإمام «دنا» هو الأساس هو الذى سيقود طوفان الحياة. هل هناك أعظم من الروح. أمر الله الذى أرسيت قواعده فى جزيء خالد حى ليشكل كل ما على الأرض وفى السماء الأمر صدر مرة واحدة فى الماضى السحيق والتنفيذ مستمر إلى الآن ٣٠٠,٠٠٠ نوع من النباتات غير ما إنقرض واندثر ١,١٥٠,٠٠٠ نوع من الحيوانات غير ما إنقرض واندثر. وإذا أدمجنا «تحت الأنواع» Sub species وصل العدد إلى أكثر من مليونى نوع. أضيف إلى ذلك أن العلماء يكتشفون سنويا أكثر من عشرة آلاف نوع جديد تضاف إلى مملكة الحيوان ومملكة النبات ولو لم يكتب الموت على كائنات هذا الكوكب لكان نسل نوع واحد كفيلا بتغطية الأرض فى أيام معدودة. لكن إذا كان:

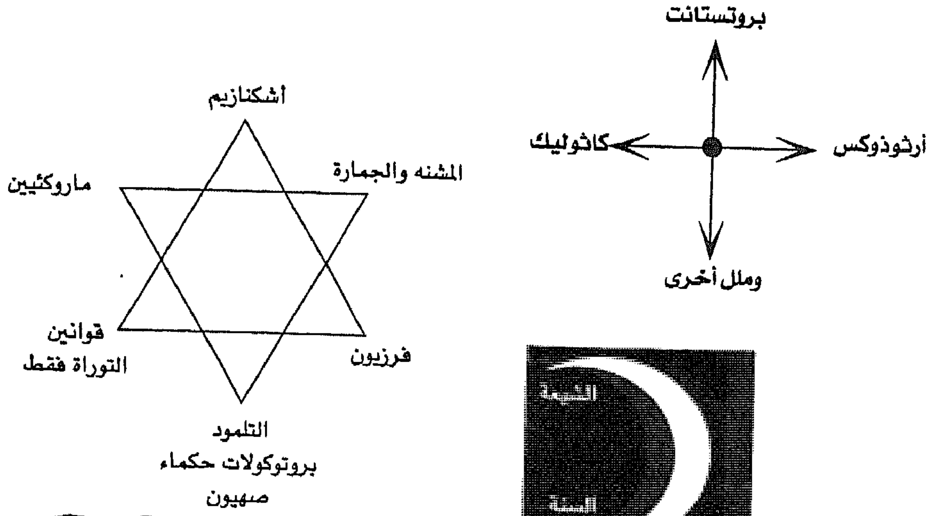
- عدد الجسيمات التى تكونت عند النشأة الأولى ثابت. عدد معروف.
- عدد الأنفس التى خلقت عند النشأة الأولى ثابت. عدد غير معروف.

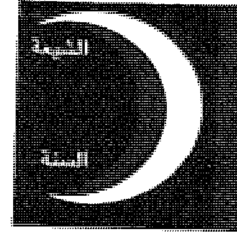
فإنه سبحانه حين قال أنه خلق من كل شئ زوجين إثنين. فإذن لابد أن يكون لكل شئ نقيضه. لم نخلق فرادى. خلقنا توائم. لكل جسيم نقيض من المادة المضادة. يماثله تماما

فى الكتلة والحجم والسرعة واللف والدوران ولكن له شحنة كهربية معكوسة ومجال كهرومغناطيسى معكوس. صورة مطابقة للأصل بنفس التفاصيل والخصائص ولكنه يدور بطريقة معكوسة. ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن يجتمع التوأمان وإلا حدثت كارثة. لماذا إذن لم يمت الجسيم الوليد فى مهده مع أن له جسيم نقيض من المادة المضادة؟ هل هناك كون من المادة المضادة؟ هل الماء النقيض صالح للوضوء والإعتسال ورش الزرع ورى الضرع؟ أم أنه ينقض الوضوء؟ هل هناك عالمين مختلفين؟ كل شئ محتمل الأصل والصورة. العالم والعالم الآخر. الكون والكون النقيض World & antiworld «عالم الغيب وعالم الشهاة». هل النجوم التى نراقبها من مادة عالمنا أم شموسا نقيضة أى من مادة نقيضة. إذا كانت الطاقة كما نعرفها لها قوة إيجابية تدفع الشئ إلى الأمام «بنزين - كهرباء - فحم» فهل هناك طاقة سالبة تدفع الصاروخ إلى الخلف؟ تركل الكرة إلى الأمام فتندفع إلى الخلف؟ ذعر ديراك العالم الرياضى البريطانى الشاب عندما إكتشف الجسيم المضاد: هذا مزاح لا يستقيم مع أبسط قواعد المنطق. وحاول التخلص من هذا المأزق. لكن علماء كبار جدا دعموا وجود العالم الآخر بالمعادلات والبراهين فإذا كان لكل جسيم نقيض فما هو نقيض النفس؟ إنه القرين، وما هو نقيض الملاك إنه الشيطان. لكن الله ليس له يمين كيميننا ولا يسار كيسارنا حين قال «والسموات مطويات بيمينه». فليس لك أن تسأل حتى يرتاح عقلك القاصر، وماذا طوى بيساره؟ ليثبت إيمانك بفكرة التناسق الكونى. فى لحظة خاطفة يتم خلق جسمين من نقطة واحدة يبتعدان ويفترقان أحدهما عدو لقرينه. أو نقيض له فى سلوكه وتصرفاته. ما من جسيم صغر شأنه أو كبر إلا ويظهر معه قرينه فى نفس اللحظة، وبعدها تتميز الأشياء. هناك تناسق بين النقيضين. لولا الموت ما عرفنا معنى الحياة. ولولا الألم ما عرفنا معنى اللذة. ولولا الخير ما عرفنا الشر. هذا التناسق قائم أيضا بين كل زوجين متضادين أو متآلفين. هذه هى التسوية أى التآلف. ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾.

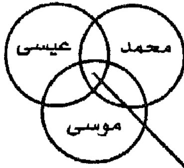
الخاتمـــة

ليس هناك خطر يعادل خطر ثقتك بأنك وحدك ودائماً على حق

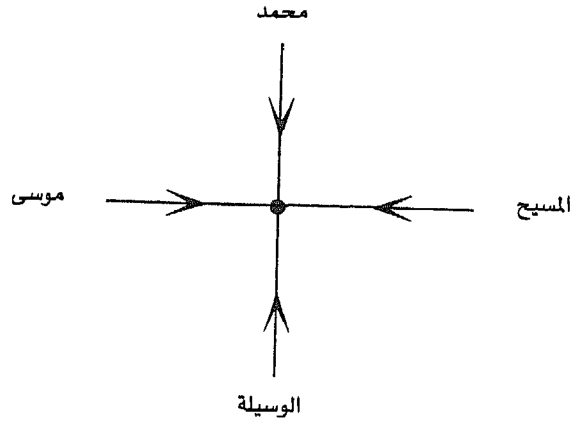


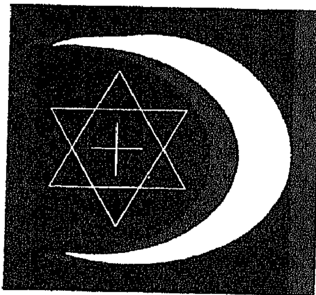


ومذاهب أخرى



الحــل الوحــيد





الهدف

هذا الكتاب دائرى. الخاتمة أقرب الابواب إلى المقدمة. البداية والنهاية. الصورة والأصل. الصدى والصوت.

هذا الكتاب يعالج عدة قضايا، يشترط للحوار حولها ضرورة تصور القضية الرئيسية الأولى.

القضية الأولى: قضية النفس والروح

القضية الثانية: قضية الإغتصاب والإجهاض

القضية الثالثة: قضية الخلق. خلق الإنسان من تراب، متى وكيف؟

القضية الرابعة: قضية حرية الفكر والإبداع

القضية الخامسة:قضية النشر

القضية السادسة: قضية أخلاقية.

يجب أولا أن تفهم الفرق الوثيق والجليل بين النفس والروح. يجب أن تحسم هذه القضية أولا لكى تفهم قضية الخلق.

القضية الأولى: النفس والروح

ماهو الفرق بين النفس والروح؟ ما أهمية أن نعرف ذلك؟ ماهو الجديد الذى سأقدمه لك؟ هل هى قضية فلسفية عسيرة على الفهم، يخاطب بها الحكماء؟. أم أنها قضية غيبية نتركها لتصورات الفلاسفة أو لكل من يتجرأ على الخوض فيما حجبه الله عنا أو

حرمه علينا؟. أم أنها قضية اجتماعية تهم الناس، كل الناس، أيا كان مستواهم الاجتماعى أو الفكرى أو الثقافى، الحكماء منهم والبسطاء، المرضى والأصحاء؟

صديقى المؤمن - سيترتب على إدراكك للفرق الهام جداً والجسيم بين النفس والروح - تفسيراً متنوراً للحقائق القرآنية التى شوهتها التفاسير العجيبة، الغريبة، الناقصة، بل والمتناقضة التى تستعصى على الفهم والإقناع. وبالتالى سيتعمق إيمانك، أليس هذا هو غاية كل مؤمن؟ أما أنت ياصديقى العلمانى أو الملحد: فأنت تنحاز بشدة إلى عقلك، وتتصور أنه يكفيك ويغنيك، من قال أنك تتفرد بالعقل وحدك؟ أو أنك تتميز به على غيرك؟ أنت لاتصدق إلا ما تدركه حواسك وما يمكن أن تخضعه للقياس. من قال أن الحواس قادرة على إثبات وجود كل شئ؟. الحواس. يمكن ان تضللك، والحدس أيضا قد يخدعك. شعارك: أن ما لاقصور له لاوجود له. أنت مادى حتى النخاع. أنت لاتؤمن بالله ولابملائكته ولا بالشياطين، لأنك لاتراهم. الأعمى أيضا لايرى. والعين لاترى كل الأضواء والأذن لاتسمع إلا بعض الأصوات. الحيوانات تحس بالزلزال قبل أن تسجله أدق أجهزة القياس وحاسة الشم تهدى الطيور المهاجرة إلى الأماكن النائية والكلاب إلى الأماكن الخافية. ولكن ما رأيك أن تمسكك بالعلم وحده، أو بما نعلمه منه حتى الآن سيؤدى بك وبنا أيضا إلى ذات الحقيقة؟ أنت تؤمن بالمادة وبإزدواجية المادة، وأن المادة طاقة، وأن الضوء مادة، وأن للمادة ضد. إقترينا جدا من الإعتراف بوجود ما لايمكن قياسه، وما لاتتصور وجوده. الإنسان أيضا مادة، وإزدواجية الكائن تعنى أن للجسم نفس وللنفس ضد أو ما نسميه القرين. دعنا نلتقط انفاسنا، ونترك العلم يسلط أضواءه على الحقائق الكامنة والوجود الخفى. وماخفى كان أعظم. أنت تنكر ما وراء الطبيعية وتؤمن بما وراء المادة. والسبب أن الاسم الأول يزعجك لأنه من مخلفات فلسفة القرون الوسطى، والاسم الثانى وليد الفيزياء الحديثة، مع أنه الوجه الآخر لذات المفهوم. أنت أصبحت قاب قوسين أو أدنى من الحقيقة. أنت توشك أن تعرف نفسك، وتتبين حقيقة وجودك، والحكمة من خلقك، بل وأن تتعرف على من أوجدك، على من خلقك. لايمكن أن نخاطبك الآن بقال الله وقال الرسول، لأن عقلك المادى يسيطر على قلبك الصلد. نستأذن عقلك قبل أن نخاطب قلبك. الناس إما مؤمن أو كافر أو لايدرى. وحتى يعرف كل منا موقعه وموقفه وقدره دعنا نترك الأوهام ونركز على الحقائق. لكن هذا يستحيل إلا إذا تخلينا

مؤقتا عن سيطرة مانعتقده. وهذا هو مضمون الفصل الأخير. بصفتى طبيباً سأصف لك دواء مرا لكنه مستساغ، إذا تناولت منه الجرعة التى تتلاءم مع «طول» قدرك و«وزن» فكرك، فسوف تفقد ذاكرتك تماما لكن تبقى قدرتك على التفكير. والآن تكلم عن بعض الحقائق البسيطة والمؤكدة. الموت حق والحياة حق فلماذا خلقت؟ وكيف خلقت؟ ولماذا يجب أن تموت؟ ولماذا يجب ألا تعرف متى؟ ولا كيف؟. ولا كم سيبقى: الزمان؟ علم الساعة عند ربى، ولا أين ستموت: المكان. هل يمكن أن تتحدى هذه الحقيقة البسطة؟ ولدتك إمرأة، هذه أيضا حقيقة، حملتك ووضعتك وأرضعتك، ثم تأكل لتنمو، وتحبو ثم تحب، وتتزوج لتنجب، ثم تموت، ويبكى عليك بعض أهلك ثم ينسوك بعد أن يرثوك، وإذا تذكر أحدهم قال: «الله يرحمه » وقال الآخر غار فى ستين داهية. ثم يأكلك الدود ويتحلل جسدك. زهرة الصبار على قبر والدك مصنوعه من تراب جسده. مخلوقة منه، بعد أن تعفن وتحلل دمه، هل هذه النهاية الحزينة والمصير البشع هى فلسفة الوجود وحكمة الخلق؟ أيهما أكرم وأعقل، أن تتصور أن هذه الفاجعة هى مصير كل حى، أوأن تطمئن إلى أن الموت ليس إلا ولادة جديدة فى عالم الوجود الحقيقى؟. خدعوك فقالوا: أن الله سيبعثك بعد عدد من السنين، أوربما ملايين السنين، ليحاسبك ويعذبك ويحرقك فى نار جهنم، أويدخلك جنة الخلد مع الحور العين. الجبارة والطغاة والعصاه، «هولاكو» و«جنكيز خان» و «هتلر» و«موسولينى» و«ستالين» وقتلة «عثمان» و«عمر» و«الحسين» وقتلة الأسرى المعتقلين والأبرياء ومجرمى الحرب مصاصى الدماء، قابرى الأحياء ومغتصبى النساء أمثال الصربى «زراطة فيتش» لن يعذبوا إلا بعد ملايين السنين، يوم القامة والحساب. مع أننا نعلم أن العقاب الرادع هو القصاص الفورى. لابد أن عذاب القبر هو عذاب النفس. فلا يعقل أن الشهداء والأبرار والصالحين والصحابة والأنصار وبعض الفقهاء الأجلاء لن يدخلوا الجنة إلا يوم القيامة من قال هذا؟ الفقهاء! كيف؟ والله نفسه قد أمر بدخول كل نفس راضية مرضية جنته فور الموت؟. لابد أن النعيم هو للنفس. معظم ما يردده الفقهاء هذا الزمان غير صحيح بالمرة، لا عطالة فى الكون ولا عذاب لتراب، النفس التى خلقت فى عالم الذر كان لها مهمة قبل أن تحل فى جسدها الذى لم يخلق بعد، ولها مهمة أيضا بعد أن خلعت رداء الجسد ودخلت البرزخ. أبسط الناس ضللته تفاسير الفقهاء. إذا سألت المؤمن البسيط شفت ربنا؟ يرد عليك فورا

وبتلقائية وعضوية وصدق، ربنا عرفوه بالعقل؟ إذا ماذا يمنع أن نستخدم العقل لنؤمن؟ المؤمن لا ينكر أى حرف أوكلمة أوآية من الكتاب المقدس سواء فهم أولم يفهم، والفهم مسئولية الدعاة. أنت تسمعهم ولا تفهم لأن الكثير مما يقولونه هراء أوخطأ، وجل من لا يخطئ، وما لا يعرفونه يغلفوه بالغامض من القول مثل قولهم «أقانيم»!. هذا هو الحل الوحيد وهل من مهرب غيره؟.

والنتيجة لخصها الحسن البصرى:

أهلك الناس الأمانى، قول بلا عمل ،إيمان بلا يقين، مالى أرى رجالا ولا أرى عقولا، وأسمع خصيصا ولا أسمع أنيسا، دخل القوم ثم خرجوا، عرفوا ثم أنكروا، حرّموا ثم إستحلوا.

لازال المفسر الذى لا يعرف الفرق بين (الحق والباطل) و(الحلال والحرام) يسيطر على البسطاء، بل إنه إذا تبين له خطأ تفسيره أصر عليه، يستكبر والله أكبر، يستصغر شأن غيره، ويستعظم رأيه وسبحانه ربى الأعظم، ويستعلى وسبحان رب الأعلى. هذا المفسر أشد خطرا على الأمة من الحاكم الدكتاتور والدكتاتورية حماقة، يؤلهه أتباعه يقبلون يديه والأرض بين قدميه فإذا مات أصبح وليا، يدرون حول قبره كما تدور الثيران حول سواقيها. بعض الأتباع يسكت خوفا أوطمعا، يخشى الخطأ «وربنا يكملها بالستر» و«دع الخلق للخالق». وبعض الأتباع مشغلون عن المعاد بالمعاش، بالدنيا عن الدين، وبعضهم يفضلون الصدقة الجارية أوالنذر والزكاة والإحسان على العمل والكفاح. وبعضهم لا يتخيل مصيره، ينسى أويتناسى، لا يفكر أولا يستطيع أولا يريد أولا يدرى، واللا أدرية هى فلسفة الجهلاء أوالجبناء. كيف سنشرح لأمثال هؤلاء، الفرق بن الضوء والنور أوالفرق بين النفس والروح أوأن المادة والطاقة وجهان لشئ واحد، أوكيف نبسط لهم إنجازات الهندسة الوراثية. لكن العتاب الربانى لخير الخلق، نبهنا إلى أن الأعمى له حقوق، وأن السكوت عنه وزر.(عبس وتولى أن جاءه الأعمى، وما يدريك لعله يتزكى أويتذكر فتنفيه الذكرى) . على المؤمن أن يتهئ نفسيا للثورة القادمة، ثورة المعلومات. لازال البسطاء يتكلمون عن الماضى والحاضر. عن السلف والخلف. عن العرب الأمجاد والفراعنة والأشاوس والروم والفرس. وبمجرد أن نتخطى القرن العشرين سصبح العالم عالمين. عالم قدم وعالم جديد. العالم الجديد ألغيت فيه المسافات، يتكلم لغة واحدة

جديدة، يسير كل فرد فيه على الطريق السريع Highway فى الحارة التى يختارها بنفسه بلا حواجز ولا مطبات ولا شرطى مرور ولا حتى أضواء حمراء وخضراء -Inter net، لو إعترض طريقه أى «تائه» من العالم النامى لسحقه، ولو حاول تعطيله لقضى عليه. لذلك يجب أن نأخذ بيد الأعمى، والعمى هنا صورى وليس عمى حيسى. فكل ما وهبه الله لهم وهبه الله لك. الغلطة غلطتك. لك ذات العيون ونفس الحواس. لكن الذى يعميك جهلك. الأمى اليوم هو الذى لا يعرف غير لغته. والأعمى اليوم هو الذى لا يقرأ الكمبيوتر. من منعك؟ وماذا يمنعك؟ كن نبويا. ألم يعلمك نبيك أن المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف؟. كل ما ذكر فى كتاب الله صادق تماما وصحيح طبعا، الوعدَ والوعيد، الجنة والنار، النفس والروح، الإسراء والمعراج، الموت والحاة، البث والبعث، معجزات الأنبياء. كل ما كنت تتصوره غيبا ويتصوره الملحد وهما وخيالا صارا حقا وحقيقة قابلة للإدراك والتصور، العقيدة علم، الإعتقاد أصبح قضية علمية، عنوان كتابى الأول سيتحقق لو أدركت الفرق بين النفس والروح.

١ ـ رجال الدين يخاطبون الله من (مقام الخوف) مهمتهم الحقوق، حقوق الله وحقوق الناس، ويخطبون فى التلفاز وعلى المنابر عن الحلال والحرام، شفقة فى نفقة، رحمة فى مجهود، إنصاف فى الإستقامة، عطاء فى الحقوق. نحن نحتاج إليهم فعلا وأبدا فى هذا المجال.

٢ ـ فإذا إستويت وتأهلت وجاهدت والتزمت وأحببت أصبحت صوفيا، ويمكنك أن تخاطب الله من مقام آخر (مقام الحب). ومن لا يسعى إلى الحبيب الذى إذا أحببته أحبك، وإذا رضيت عنه رضى عنك، وإذا ذكرته ذكرك، وإذا شكرته شكرك، وإذا دعوته إستجاب لك، وإذا صليت له صلى عليك؟.

٣ ـ وهناك أيضا العلماء، يخاطبون الله من (مقام الخشية) العلم هو مهمتهم الحقيقية، إعرف نفسك تعرف ربك العلم عباده والعمل عباده الدين المعاملة. والخشية كما تعلم هى الخوف والحب. هذا المقام يقيم فيه العارفون بالله، المؤمنون بحق، إيمانا فى يقين، قوة فى دين، حلم فى علم. يؤمنون أن أصلب الطرق إلى الحقيقة الربانية هو العلم. حقيقة الخلق أصدق شاهد على حقيقة الخالق.

الطواف حول الكعبة والطواف حول الذرة:

إذا طفت بجسدك حول الكعبة كما يفعل الحجيج عكس عقرب الساعة سيدفعك التيار، ويختلط جهدك بجهد غيرك، لا ترى وجه من أمامك ومن خلفك لا يرى إلا قفاك. أما الطواف بعقلك حول كعبة العلم فهو عكس التيار، ستجد مقاومة، وتبذل جهدا. لتنعم بنور الحق والحقيقة.

(وأينما تولوا فثم وجه الله). هذا هو الفرق بن مجهود رجل الدين الذى يتربع على الأريكة وربما محمولا عليها وبين جهاد العلماء.

القضية الثانية: الإغتصاب والإجهاض وعلاقتهما بالنفس والروح

ماذا سيحدث لو أن إحدى أهلك، أقربهن إليك، أوأعزهن عليك، اغُتصبت، اعُتدى عليها بالأكراه وحملت؟. هذا غير مستحيل، يمكن أن يحدث، اليس كذلك كيف ستواجه هذا الموقف العصيب؟ هل ستتركها تغرق فى بحر الظلمات؟ بالقطع لا، ستحاول إنقاذها لأن تجاهل الفضيحةوالتعامى عن الجريمة مستحيل.الذى ينمو فى بطنها سيخرج يوما ويعلن بنفسه عن الجناية ويفضح المستور. الحاكم لم يحل المشكلة، الشرطة تستأصل الفروع ولا علاقة لها بالجذور، أما سيدنا الشيخ فإنه سيعقد الأمور أكثر وأكثر إذا فكرت أن تلجأ إليه. إذن لا حل أمامك إلا أن تلجأ إلى الطبيب، لكن هل أضحى بنفسى من اجله أو من أجلها؟ من أجل حفنة لحاليح أضحى بماضى ومستقبلى؟ وأخسر دنياى وآخرتى؟ بعض الفقهاء أباح إسقاط الجنين وحرمه آخرون، فأى الفريقين نتبع؟فى أى الطريقين نسير فى طريق (الحلال والحرام) أم فى طريق (الحق والباطل)؟ ما مصير الجنين الذى ينمو فى أحشائها؟ نحكم له أوعليه؟ نقتله أم نقتلها؟ فإذا تريثت وتكاسلت أوإذا جبنت، فستلده، فإذا ولدته فمن أبوه، ولمن ينتسب؟ ثم كيف نزوِّر شهادة ميلاده وبطاقة هويته ورقمه القومى؟ وكيف نحمى حقوق غيره، المولود لن يرث والده الحقيقى، وزوج أمه ليس أبيه، إخواته من أبيه سيأخذون حقه وهو سيأخذ حق إخواته من أمه. ضاعت الحقيقة وضاعت الحقوق، لأن مسوغات الفقهاء وحيثيات أحكامهم باطلة. ما علاقة هذه الجريمة بالنفس والروح؟ حل المشكلة هو الذى له علاقة وثيقة، وهذا كان موضوع كتابى الأول. بسائل يتدفق بين الصلب والترائب يشترك الذكر والأنثى فى صنع

ذكر أوأنثى. ألا يثيرك أنك قادر على أن تزرع مادة حية فى رحم زوجتك وتشتركا معا فى إنتاج خلق جديد، طفل حلال، ومنتسب؟ تبارك الله أحسن الخالقين. تتميز الخلايا وتتكاثر وبعد أن تتحدد الأجزاء والأعضاء ويتشكل الفم وتتكون الرئتان وينبض القلب وتتهئ الخلقة عندما يتدخل الله، يأتى الملك فينفخ «من روح» الله فيه. لا تنسى حرف الجر «من» ولا تنسى أن «فيه» إسم، وليس كما يقول الفقهاء حرف جر وضمير الغائب. ينفخ شيئا من روح الله فى فم الجنين فتتحول المادة الحية إلى كائن حى. هذا هو معنى (كنتم أمواتا فأحياكم)، إذن الموت سبق الحياة. الخلق شئ والإحياء شئ آخر. الإحياء هو حلول النفس، أى هبوطها من المحل الأرفع. الآن فقط لا يجوز الأجهاض، لأن قتل النفس حرمه الله. الحياة والموت ليس لهما علاقة مطلقا بالروح. عدم وجود النفس موت. الموته الصغرى عند النوم والكبرى عند انتهاء الأجل. الإحياء ليس نفخ الروح. والموت ليس طلوع الروح. الروحى نزل ولا يطلع. (تنزل الملائكة والروح فيها). الروح أمر. هل «فيها» فى هذه الآية عائدة على الليلة أم على الملائكة؟ لا يوجد مخلوق لله حتى لو كان إسمه ملك الموت (عزرائيل) قادر على أن يقبض على روح الله أوروح من الله. الموتة الكبر، هى إمساك النفس، فرضه الله. الآية ٤٢ سورة الزمر. الموتة الصغرى، هى النوم، خروج النفس، ضرورة حيوية. والقتل هو إخراج النفس بالقوة، حرمه الله. إذن لو حملت المعتدى عليها، المغتصبة بالإكراه، فإنه يجوز لنا إسقاط المادة الحية قبل أن تتحول إلى كائن حى. بدون إعتداء على النفس. لا قتل ولا إزهاق، ولا صحة لكل ما يخيفنا به ومنه الفقهاء. الإسقاط هو منع الخطء أن تحول إلى خطيئة تهذيب وتقليم شجرة الأنساب بإستئصال الفروع الضارة الفاسدة

القضية الثالثة: ما معنى خلق الإنسان من تراب

كل ما تحت الأرض كان فوقها وكل ما فوقها كات تحتها، كل شئ من تراب، أنت وكل من حولك، الجماد والنبات والحيوان، فكيف حدث هذا؟ خلق أم تطور؟ هل نظرية دارون صحيحة، أم أنها تخالف الدين؟ هذا الموضوع قتل بحثا، فهل من جديد؟ نعم. لو علم المؤمنون: روعة وصدق ما توصل إليه دارون لألبسوه العمامة ووضعوا على صدره الصليب وعلى كتفه نجمة داوود ولأصبح الإمام الكاهن والحبر الأعظم. نعم أخطأ دارون، لكن له

عذره وله أجره، فكيف أصاب وأين أخطاء؟ ما معنى علم آدم الأسماء كلها؟ وكيف خرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئاً وفي رأسنا كنز من المعلومات. كيف شهد كل الناس من مات ومن لم يولد بعد بوحدانية الله. كيف نصف كل مخلوق مهما كان لونه ولسانه موقعه وزمانه بالشهادة قبل أن يولد.

إفعل ولا تفعل: بالأمر المباشر بالفطرة، بلا رسالة ولا رسول. الوردة الجميلة والزهرة اليانعة والنخلة الباسقة والبلبل المغرد والكروان الشادى والسمكة العائمة فى المياه والطيور السابحة فى السماء والدجاجة البيضاء والبقرة الحلوب، كل هذه الكائنات الحية، أحل لنا الله أن نستمتع بمنظرها ورائحتها وطعمها، أحل الله لنا صيدها وقطفها وذبحها وسلخها وأكلها مع أنها ليست مادة حية بل كائنات حية. من المهم جدا أن ندرك معنى الصيغة القرآنية للموت والحياة. الموت والقتل ليس قتل روح ولا إزهاقها. الروح ليس إلا أمر الله تجسد، كتابا مكتوبا مكنونا فى كل خلية حية، نباتية أوحيوانية أوبشرية. هذا «الأمر» يمكن الآن أن نقرأه. يمكن أن تطلع على ما هو مكتوب بيد الخالق بحبر من مداد الأرض. الوحى المباشر لكل من صنعته يداه. وحتى تتصور معى هذا المفهوم الجديد لابد أن نتريث ونضرب لك الأمثال من الحياة والأحياء، لذلك أجلت فصل (الروح) إلى ما بعد تهيئة الجو المناسب لعرض الفكر الجديد عليك.

القضية الرابعة: قضية حرية الفكر والإبداع

من السهل جدا أن نخاطب الجسد. ليلة حمراء تكفى لكتابة «مسخرية» لراقصة خليعة، ويدفع المتفرج الشئ الفلانى ثمنا لمتعة بعض أعضائه. وليلة زرقاء تكفى ليكتب أحدهم سيناريو للمدمنين والمسطولين أوعنهم، يثير به المراهقين والمراهقات فتتكاثر جرائم الأحداث. ومن السهل أيضا أن يلتقون إلى واقعهم المزرى ويثوروا عليه. ومن السهل جدا أن يكتب المحترفون القادرون عن الحرافيش أو لهم. كل هذا يسمونه إبداعا فإذا سببت النبى وآله إستقبلك الرئيس كيلنتون فى مكتبه البيضاوى. وإذا لعنت الله نفسه فى رواية وإستهزأت بكل أنبيائه بالترتيب الدقيق وبلا أى إستثناء ولا خجال، حصلت على جائزة نوبل، وروجت لك وسائل الإعلام تبشر بإذاعة رائعتك وهللت له ولها الصحف المسائية ونشرت مسلسلة. أما إذا توصلت إلى حل لمشكلة إنسانية تعبث بشرف

الأمة - هئ لها الآخرون بإبداعهم الذى تباركه الدولة بإثارة الغرائز فإنتهك الشباب عرض الفتيات - صودر كتابك ومنعه الأزهر الشريف من النشر والتداول. إذن مشكلة المؤمنين هى وجود بعض الفقهاء والكهنة والأحبار.

هم الحجاب الذى يمنع الرؤية الصادقة والعقيدة الصحيحة.

هم الإرهاب الذى تحاربه الدولة. إذا إرتدى أحدهم الرداء الموشح أولبس العمامة البيضاء أوالطقية السوداء، لا تجادله. إذا ليس ضع الغمامة إخلع الفهامة، حتى لا تراه ولا تسمعه لأنه يخاطب من لا يفهم.

القضية الخامسة: قضية النشر

المصرى أول من عبد الله من بنى آدم، أول من قال أشهد ألا إله إلا الله، المعلم الهادى، المشرع، المربى، الفاتح، الصائغ، الصانع، الفنان، أقدم سياسى عرفه التاريخ، أول من مارس الطب وعرف الحكمة، أول من أعلن خلود النفس ونادى بوحدة الوجود، ماذا يفعل حين يبدع أوإذا تصور أنه أبدع؟ يبحث عن من يمتلك القدرة على إكتشاف الجديد فى الفكر الوليد، فيعرض عليه ما توصل إليه، يرجوه النقد البناء والتمحيص، الصحح والتنقيح، الصد والرد، فيلتقط الناقد الأمين الفكرة ويهذبها ويحولها إلى نبتة صالحة للغرس فى حديقة المعرفة، فيشكر الناقد النزيه وينوه عنه، ويربيها الكاتب حتى تزهر وتثمر، ثم يبحث عن ناشر حر أمى. لكن ما حدث لى ليس مسألة شخصية بل مأساة علمية، ما كانت لتحدث أبدا لو أن القائمين على وزارة الثقافة أوهيئة الكتاب كونوا لجنة تفحص الإنتاج الجديد وتقيمه وتوصى بنشر الجديد الفريد المتميز والنافع للأمة. فطبعت كتابى بنفسى وعلى نفقتى بعد أن أصبحت صيدا ثمينا لتجار الورق وسماسرة المطابع الأهلية وأرسلت نسخا لقادة الرأى والفكر. لم يرد أويعلق أى صاحب رأى أوفكر على موقفى من هذه الظاهرة الإجتماعية: الإغتصاب! إلا الكاتب الكبير أنيس منصور الذى كان أول من أبدى رأيه شفاهة.

١ - أ. د. مصطفى محمود صاحب برنامج العلم والإيمان الذى كان أول من علق كتابة ثم نشر فكرتى كاملة بإسمه، دون أن يتراجع أويعتذر.

٢ ـ إبن الراحل العظيم محمد زكى عبدالقادر الأستاذ الصحفى سمير عبدالقادر الذى علق فى أخبار الأدب بموضوعية تليق بقدره ومقام أبيه. رغم مهاجمتى للكويت إلا أن صحيفة الهدف نشرت ملخصا أمينا لكتابى، فخجلت لأننى لم أقدر دور الكويت الثقافى وما قدمته من ثروة فكرية للأمة العربى. بروائع إصداراتها وترجماتها. أما على الجانب الآخر فقد هاجمنى أحد الجبناء فى يومياته بالأخبار دون أن يتطرق إلى الموضوع أويناقش الفكر ورفض نشر ردى ودفاعى. مثل هذا الرجل الذى تقرأه ولا تراه مفروض عليك بلا سبب ولا كفاءة ولا حق. أنظر حوله وتحته ستجد أنه محمول على أكتاف الآخرن وسائر بإقرامهم. لذلك كان مشواره إلى اليوميات أقصر، و«البعرة تدل على البعير». وأخيرا، صحفى شاب صغير أحمق من مجلة عقيدتى كتب عن «جريمة جديدة فى حق المسلمين» شتم وجرى ثم إعتذر ثم لم يتراجع نائب رئيس تحريرها. لم يف بوعده فنشر ردى على أكاذيب صحيفته رغم تثجته من ذلك فأوقعه أستاذنا الدكتور فياض فى ورطه حين استدرجه لنشر تفسيرة الجديد لحديث بنوى صحيح مخالفاً برأيه كل ما استقر عليه فقهاء السلف وفقهاء هذا الزمان. ولازال ينشر خرافات يطمئن إليها السذج من قرائه. هل أفاد أحدهم الأمة الإسلامية؟ هل صان أحدهما عرض المرأة الإسلامية؟ أما الفقهاء فلم ينطق منهم أحد. أصيبوا بالسكتة الفكرية.

القضية السادسة: قضية أخلاقية

بعد ٣ سنوات من تسلمه لكتابى وتعليقه بخط يده على محتواه، نشر الكاتب الإسلامى المشهور، العالم المؤمن، خلاصة فكرى بقلمه دون أن يشير إلى فى مجلة أكتوبر ٩٥/١٠ فى حلقتين متتاليتين. فإتصلت به وأبلغته أنه ليس فى حاجة إلى الشهرة بقدر ما أنا فى حاجة إلى التشجيع. فرد بخط يده: أن ما نشره سبق أن ذكره فى كتيب له صدر منذ ١٠ سنوات. فبحثت عن هذا الكتيب الذى أشار إليه ولم أجد فيه على الإطلاق ما يدعيه، فحزنت. وأنا أحتكم للقارئ المحترف هل الذى يقرؤه فى هذه السلسلة التى تعالج موضوع النفس والروح، فكر مسبوق؟ إن إحتكار وسائل الأعلام والقدرة على النشر لا تبيح للقوى أن يعتدى على حق المكافحين. إن عدم وجود منبر حر شعبى ورسمى هو السبب الرئيسى لضياع حقوق الفكر الشاب. لماذا لا ننشئ «هايد بارك» فى حديقة الخالدين بالدراسة، بحى الأزهر. يكفر بها الأزهر الشريف عن تقصيره فى حق المسلمين.

ملحق

أنا ونفسى

me & myfself

أنت بالنفس لا بالروح إنسان

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ « الحج ٤٦ ».

It is with the heart that one sees rightly.
What is essential is invisible to the eye.

التفرقة بين النفس والروح هى النقطة الحساسة والحاسمة التى تفصل تماماً بين الفهم السطحى والتفسير اللفظى والحرفى لكلام الله المقدس فى كل كتبه المنزلة التوراة والإنجيل والقرآن وبين التأويل الصحيح للمعنى الكامن العميق للرموز Symbols والأمثال الإلهية فإذا استعنت بالمعاجم الغربية التى لا تفرق بين العم والخال، الضوء والنور، البشر والإنسان، لن تدرك الفرق أبداً بين النفس والروح. لكن الفرق واضح فى لغتنا الجميلة لأن الترادف منعدم. فالنفس لغوياً لفظ مؤنث والروح مذكر، ولا تطابق بين اللفظين لأن المعنى مختلف جداً وهام أيضاً، بإدراك هذا الفرق ستنهار غرائب المفاهيم وعجائب التفاسير العتيقة. فلا يحجب شروق الحق إلا دوران الرأس فى فلك ضيق، كما لا يحجب شروق الشمس إلا دوران الأرض حول نفسها، لذلك بدأت بداية صحيحة، فسألت: ما رأى الدين فى الفرق بين النفس والروح رجعت إلى أقوال إمام الدعاة رحمه الله، لأنه كان يحفظ ويحافظ جيداً على تراث أئمة السلف الصالح، ولأنه بذكائه الفطرى كان يخضع التفاسير العتيقة والحديثة للمنطق السليم وأصول ومناهج البحث العلمى الحديث فيرى المعانى بعيون عصره، لكنه انتقل مع الأسف الشديد قبل أن يستقر فكره على شاطىء

الحقيقة. فلم يُفرق أبداً بين النفس والروح لأنه تمسك بما أجمع عليه المفسرون القدامى والمحدثين من أن الروح لا شأن لنا بها فهى من أمر الله ﴿يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ الثلث الأول من الآية معناه أن بعضهم سأل النبى ﷺ عن ماهية الروح، والثلث الأوسط معناه أن الله قد أجاب عن السؤال بلسان نبيه إجابة صريحة حاسمة: الروح أمر من أوامر ربى، والثلث الأخير معناه أننا سنظل إلى يوم القيامة ما أوتينا من العلم إلا قليلاً. وأمر ربى فى هذه الآية هو الأمر التنفيذى الموجود فى أى خلية حية لكل كائنات الممالك النباتية والحيوانية وما بينهما. نفس الأمر الواهب الحياة بنفس التصميم بنفس المداد النووى موجود فى أى خلية من البكتريا إلى الإنسان وما بينهما. لم يسألوه عنها بل سألوه عنه لأن الروح لفظ مذكر. أما النفس فهى لفظ مؤنث، وقد أفاض الله سبحانه وتعالى فى وصفها ووصف أحوالها وتكليفه لها والهامها بحيث لم يدع مجالاً للنفس إلا طرقه، فسمعنا صوت الحق وصداه ولم يدع شكا إلا تركه ينهار. وأصبح لزاما علينا بعد أن افتقدنا الشيخ الجليل أن نسأل أهل الذكر، وهم فى هذا المجال أطباء علم النفس. ولا ينبئك مثل خبير، ولا يحيرك مثل خبير. فكاتبت الأستاذ الدكتور أحمد عكاشة فلم يرد، وسألت الأستاذ الدكتور عادل صادق فلم يهتم وحضرت الندوات الأسبوعية فى عيادة الأستاذ الدكتور محمد شعلان، وقابلت الدكتور يسرى عبدالمحسن فى ندوة أصدقاء بريد الأهرام فلم يقنعنى فقد فوجدتهم يجمعون على أن النفس وظيفة وأنه لا فائدة من التفرقة بين النفس والروح فهذه فلسفة أو سفسطة، مضيعة للوقت لن تفيد فى أساليب العلاج: ذلك لأنهم يعالجون المرض لا المريض. انزعجت لأن تعريف أطباء النفس للنفس يخالف تماما الحقيقة القرآنية فالنفس خلقت قبل الجسد وتحل فيه بعد أن تحمل به الأم وقبل أن يولد وتخرج منه عند النوم وتعود إليه ليستيقظ وتغادره بلا عودة عند الموت فى رحلة من المستقر إلى المستودع. ثم تبقى فى البرزخ أو تعود إلى ربها راضية مرضية مع عباده فى جنته. وبالتالى فإن اعتبارها وظيفة قول غير معتبر لا من الناحية المنطقية، فلم نولد لنموت ولم نخلق عبثاً فالحساب ضرورة منطقية. ولا من الناحية الدينية. ولا من الناحية العلمية فالظواهر النفسية غير المرئية حقائق مؤكدة تخضع للبحث والدراسة الجادة فى جامعات عريقة ومعاهد كبرى والفاتيكان. ولكن بعد أن خذلنى الفقهاء وأطباء النفس فلمن ألجأ؟

إلى العلماء طبعاً، لأن المسافة بين الفقه والشريعة هى ذات المسافة بين القانون والعدل والمسافة بين ممارسة الطب والعلم بأسرار الحياة هى ذات المسافة بين الممارس العام أو الخاص وبين العالم الحقيقى.

وقد صنف عالم بحاثه Asenior research scientist أطباء النفس إلى نوعين:

١ ـ معظمهم P يمارسون الـ Psyichatry لأن مهمتهم هى تقويم النفس وعلاج أمراضها soul healing.

٢ ـ والأقلية PZ يمارسون تدمير النفس Psychizatry ويتعيشون على غموض مفاهيمها عمداً أو عن غير قصد.

تجولت حائراً فى معرض القاهرة الدولى للكتاب ٩٩ وفى لحظاته الأخيرة بالإسكندرية عثرت على ضالتى: كتاب صغير عجيب اسمه «لغز المخ» طبعة أولى ٩٩ فلم أتردد فى أن أدفع ثمناً باهظاً لهذا الكتيب وتفرغت له تماماً حتى انتهيت منه لأعيد الاستمتاع بقراءته مرة ومرات والإعجاب بالحوار العميق الهادف بين علماء أمريكا فى ختام القرن العشرين. ونصحت المترجم الكبير الدكتور أحمد مستجير أستاذ الوراثة بكلية الزراعة جامعة القاهرة، أن يترجم هذه التحفة العلمية ليستفيد منها كل الناس العامة والخاصة وليتواضع أمام هذا الكنز أساتذة الطب النفسى والفقهاء. فالكتاب عبارة عن حوار بين علماء الدين وعلماء المخ وأساتذة الفلسفة فى أمريكا بحثاً عن ماهية النفس، أى ما هى النفس، و هل هى مستقلة عن الجسم كما يقول أفلاطون أم أنهما وحدة واحدة. Me myself Body/Mind Monism or dualism وأكدوا أن تعريف النفس ضرورة والبحث فيها وعنها له أهمية قصوى واحترم كل منهم تخصص الآخر وتواضع له وناقشوا بروح سمحة المفاهيم الدينية المسيحية الغامضة والمعقدة واحتكموا إلى رأى علماء المخ وقالوا كلاما «يرد الروح» و«يفتح النفس». الروح التى منعنا فقهائنا من البحث فيه والنفس التى حرم أطباء النفس على أنفسهم البحث عنها. الممارس العربى لطب النفس عاجز عن تعريف النفس التى يقومها أو يدمرها لأن ذلك مضيعة لوقته فالعيادة مزدحمة بفضل الشروخ الاجتماعية والاقتصادية الهائلة وبفضل الدعاية الإعلامية التى لا تقاوم من الطبيب ومن أهل المرضى على السواء.

أما العلماء الأجلاء فى الغرب بفضل الحكومات الرشيدة التى توفر لهم كل إمكانيات البحث العلمى فقد نذروا حياتهم للبحث فى مجاهل المخ لعلهم يجدون فيه للنفس مقراً.

نبدأ برأى القدماء قبل اتصال الأرض بالسماء ونزول الرسائل إلى الأنبياء ونستمتع معاً بكتب أفلاطون Phaedrus - Mythos - Apology حكم على سقراط بالإعدام فلم يهتم. يقول أرسطو على لسان سقراط أن الموت أحد احتمالين لا يجوز أن نخاف من أحدهما:

١ - نوم أبدى بلا أحلام. عدم total annihilation وهل يضير الشاة سلخها بعد ذبحها. الموت لا يُفرق بين الحمار وصاحبه.

٢ - رحلة إلى عالم آخر. لا شك أنه سيكون عالماً أفضل بالنسبة لسقراط. لماذا؟ لأنه عاش حياته كما ينبغى فقد عرف سر العلاقة بين النفس والجسد two in one علاقة الربان بالسفينة، والعازف بالقيثارة، وحافظ على الـ harmony بينهما وأدرك أن للنفس أجهزة psychological strutures لها وظائف حيوية vital functions ولكى نبسط الأمور علينا أن نتصور أو نتخيل صورة النفس على أنها عربة يجرها جوادان ويقودها سائق charioteer+two horses (steeds) وأن الكائنات الحية الأخرى غير الإنسان تتمتع بذات الخصائص. نفس نباتية ونفس حيوانية، لكن الإنسان وحده فقط ينفرد بقوة متعالية وهى العقل أو النفس الإنسانية.

النبات: نفس نباتية. الحيوان: نفس نباتية + نفس حيوانية «غريزة».

الإنسان: نفس نباتية + نفس حيوانية + العقل

الإنسان يحيا والحيوان يعيش What it means to be human

Desire الغريزة		Reason العقل
Gain - Loving	Honor - Loving	Wisdom - Loving
الآكل والجنس والمال البقاء النفس الأمارة gaining	اللذة الألم الخوف والمتعة النفس الحاكمة الحارسة Guarding	الحكمة الاستمتاع النفس الآمرة الحكيمة Ruling
الأعتدال	الشجاعة	الإيمان

وجد سقراط تكاملاً بين هذه القوى وتفاهم معها فاعتدلت، وكان الشك طريقه إلى اليقين والمادية وسيلته إلى المثالية والعبودية دربه إلى الاستقلال والحرية Beleif & Doubt-Idealism & Materialism-Monism & Dualism ولذلك لم يخشى الموت لأنه لن تبقى منه إلا النفس الآمرة المكلفة الرشيدة المسئولة وبعد الموت تتم تصفية الحساب النفس الطاهرة الراضية المرضية تعود إلى ربها أما الأنفس الضالة الشقية فلازالت تحتاج إلى جسد تحل فيه Reincrention فتتقمص النفس الشريرة أجساداً أخرى مرة ومرات لتتوب وتذوب شوائبها العالقة بها حتى تتأهل لمقام كريم. بهذا تؤمن كثير من الشعوبَ القديمة والهندوس.

بحث العلماء فأثبتوا وجود الفطرة Innate Processes واستمعوا إلى حديث النفس حين اتضحت لهم كيفية مراجعة النفس لأفعالها لاحتياجها اليومى لحساب الضمير. وأكدوا وجود كل مراحل التطور فى المخ من بداية الحياة إلى سيد الكائنات. وفسروا كيف أن الله قد علم آدم الأسماء كلها. فكل حقائق الكون منذ بداية الحياة إلى نهاية العالم محفوظة بدقة فى الكمبيوتر الحى. وفهموا أن النفس الحيوانية والنفس النباتية تفنى بفناء الجسد لأنها ليست إلا biological products نتاج النشاط الذاتى للمخ. اعتمدت هذه النظريات Pet iheories على دراسة سلوك الحيوان وتشريح مخه. لكنها لم تنتبه إلى أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذى يخطط لمستقبله ويتمتع بعلاقة خاصة بخالقه وأن هذه النفس الإنسانية «العقل والفؤاد» لا تفنى أبداً. فكيف توصل العلماء إلى هذه الحقائق؟

المخ يتكون من فصين أماميين غير متماثلين ومخيخ وجذع. واختلاف الأجزاء الثلاثة المتراكمة المترابطة basal ganglia. limbic system. neocortex حفرياً وتشريحياً ووظيفياً وكيميائياً وهو الدليل الأكيد على تطور الإنسان من سلف آخر. Beasts Within us فى الزواحف Basal Ganglia الثدييات الدنيا Paleomammalian cortex الثدييات الحديثة Neomammalian cortex هذه الأجزاء تتكامل وتتعاون ٣ سائقين لأوتوموبيل واحد.

التطور يحدث بقفزات هذه حقيقة مؤكدة فزيادة الكترون واحد أو أكثر يفرق بين الحديد والذهب وزيادة أو نقص كرموزوم واحد يفرق بين النعجة والناقة.

أطباء النساء والأطفال حديثى الولادة والوالدات يعرفون جيداً ضرورة تحليل دم الوالدين لتحديد الفصيلة، ليس فقط ABO ولكن بالضرورة RH لتجنب المشاكل التى قد تودى بحياة الجنين أصبح روتينياً تحليل دم الأب والأم الحامل لمعرفة هل الدم سالب أو موجب RH ما معنى هذا؟ معناه أنه يوحد فى دم بعض النساء جسيم مضاد يدمر خلايا دم الطفل المصاب، وكذلك خلايا دم القرد Macacus Rhesus إذن لاشك أن بيننا وبين كل الكائنات الحية وليس القرد فقط صلة نسب.

كان السبب الرئيسى فى إنعدام الإيمان وإنعدام العفة والكفر بولى النعم هو مشكلة الشيطان وكيف أنه قادر على الإيذاء والله لا يمنعه. وحيرهم السؤال الخالد Why bad things happen to good people? احتار الناس لماذا يحدث هذا؟

هل الله هو المذل المنتقم الجبار المتكبر المميت أم المعز العادل الرحيم الحليم المحى؟ هل الله القادر غير راغب فى التدخل لحماية محبيه، كيف والله محبة؟ هرباً من الإجابة أو البحث عنها. تصور العلماء وأستقر رأيهم على أن كل ما يحدث فى المخ ويصدر عنه ليس إلا عمليات حيوية ووظائف عصبية. السلوك والعواطف والفطرة والذاكرة والأعتقاد، كل هذا صادر عن المخ. هذه النظرية الحيوانية Pet Theory صحيحة تماماً لكل من لا مستقبل له ولا أمل. لكل من نشأ من الأرض وارتبط بها وخضع للسماء قهراً وغفل عن خالقه سهواً أو عمداً أى كفراً.

أما الإنسانِ الذى كرمه ربه ونعمه ومتعه بحرية الإرادة فقد كلفه بأن يسير فى الأرض وينظر كيف بدأ الخلق، منحه الحرية وحمله المسئولية. فسار فى الأرض واكتشف بداية الخلق ومشى بقدميه على القمر، ورأى بعينيه وجهه الآخر المظلم، واقتطف بيديه صخوراً من أرض المريخ والتقط معلومات خطيرة من الفضاء البعيد، وعرف كيف ولد الكون. وأنه كلما ابتعد عن الأرض اتسع له الفضاء وانفتحت له السماوات البعيدة فآمن بالله أكثر وتأكدت لديه وحدانية الله وأحديته، وازدواجية كل شىء خلقه. من كل شىء خلقنا زوجين اثنين. من كل شىء بلا أى استثناء، من الذرة إلى المجرة. من الجسيمات تحت الذرية إلى المجرات العملاقة. من النور الذى خلق منه الضوء. ومن الضوء الذى خلق منه كل شىء: الطاقة والمادة. من الجسيمات الضوئية Photons تشكلت كل العناصر من

الطاقة تكونت المادة وإليها تعود. الضوء نفسه يتصرف كشيئين مختلفين، موجات وجسيمات. والمادة التى صدرت عنه لها شكلين مختلفين. المادة التى نراها وضد المادة الذى لانراه. من المادة الأولية وحدها خلق التراب. ومن التراب خلق كل شىء. كل شىء من تراب وإليه يعود. هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً؟ نعم. بعد مشوار طويل تطورت الحيوانات إلى القرده العليا ثم إلى أشباه البشر فاصطفى الله منهم من سوّاه فاعتدل وسار على قدميه Homo Erectus. حتى هذه اللحظة كانت بداية الكائنات الحية معروفة ونهايتها غير سعيدة. فالخط المستقيم له بداية ونهاية وبينهما الصيرورة. والمصير Bad infinity «رايحه بلا رجعة» ولما حان وقت تغيير النوع استدار الخط المستقيم إلى الدائرة المقدسة. البداية هى النهاية لا أول لها ولا آخر. إلى الخالق ينتهى كل شىء إلى ربك الرجعى إنا لله وإنا إليه راجعون. ما أحلى الرجوع إليه True in-finity. أصبحت النهاية أسعد من البداية. متى وكيف حدث هذا؟ اصطفى الله آدم ونفخ فيه من روحه أى فى فمه لأن فيه اسم وضمير وليس حرف جر وضمير كما يقول الفقهاء. وبدأت الإنسانية بمولد آدم من أبوين من البشر. أخطأ الفقهاء فى النحو أولاً ثم أخطأوا فى المنطق بالتبعية. فإن الملك الذى بشر سيدة نساء العالمين مريم ابنة عمران، وأتاها مرتين. مرة نفخ فيها ومره نفخ فيه. النفخ فى فمها كان لخلق المسيح بلا أب النفخ فى فم المسيح كان لإحيائه بعد موت. كنتم أمواتاً فأحياكم. النفخ تم والعذراء حية ولها روح فأضاف الله إليها روحاً آخر من عنده. من روحنا. ولا حياة بغير روح. بمولد آدم أصبح كل إنسان بشراً والعكس غير صحيح. فآدم أبو الإنسانية وليس أبو البشرية. اصطفاه الله فتغير النوع وتغيرت النهاية ووجبت حتمية الرجوع إلى الخالق ليسترد وديعته. النفس وديعة. إنا لله وإنا إليه راجعون لله يعنى منه منه أى من نوره خلقنا وإليه نعود والنتيجة هى أن القوى الضرورية للبقاء على الأرض «النفس النباتية والنفس الحيوانية» بالقوى المؤهله للوجود الدائم نتج عنه قدرة الإنسان بنفسه البشرية على الانتقال إلى أى مكان «كالأسراء» مثلاً. وعبر الفضاء إلى السماوات العلى كالمعراج قطعاً ولا يأذن من الله بهذا الشرف إلا لمن اصطفاه وأحبه.

قبل حلول النفس من المحل الأرفع كان لابد أولاً من تجهيز المخ وتطويره فهذه التحفة

المعمارية عبارة عن جملة عصبية مركبة من أجهزة موروثة، متطورة ومستحدثه. لا شيء يضيع، كل شيء محفوظ فى أم رأسك.

قول الله أنه علم آدم الأسماء كلها يعنى أنه قد تم تسجيل كل المعلومات من بدأ الكون إلى نهايته داخل هذا الكمبيوتر الحى. يكفى أن نبذل جهداً لتسلط نور العلم على المنطقة المناسبة فى الكتاب المكنون المحفوظ داخل مخك لتجد تطابقاً بين العلم المكتسب وبين ما هو مثبت فى رأسك. لا شيء جديد فى الكون ولا فى العلم. كل ما سيحدث وكل ما حدث مسجل فى رأسك. فى رأس الجاهل والعالم على السواء. هو عالم لأنه بذل جهداً، لينير المناطق المجهولة فى مخه، وأنت غير عالم لأنك لا تبذل جهداً. لا تريد أو لا تستطيع. هناك فرق بين المخ والعقل. المخ هو البيانو والنفس هى العازفة. الآلة «المخ» هبة الله والنفس قبس من نوره أعدل الأشياء قسمة بين الناس هو العقل. أصبح رأسك الآن يحتوى الغين الفزيزة مقيمة إقامة دائمة و«العين» العقل مقيم إقامة مؤقتة. الغين مقيدة داخل رأسك والعين حرة تخرج وتدخل بدون قيد منك وتنطلق حين تنام بلا إذن منك. وكان لابد من الصراع بين العزيزة والعقل ليتحقق الانتقال من الفطرة innate إلى الاعتقاد إلى الإيمان conscience الصراع بين العزيزة والعقل كان حتمية للانتقال من العيش إلى الحياة.

ما معنى الإنسان؟ What it means to be human?

ما معنى؟It hman being?

لم الكينونة ? for what being

بحلول النفس أصبح الإنسان Qnalilative being لماذا حلت؟ ليتحقق الانتقال الهادىء من الجبر إلى التسليم إلى الاختيار من Compulsive beharior إلى Free Will فالخالق هو رب الناس بإرادته ليس كرهاً بل لمصلحة مخلوقاته. لكنه إله الناس بإرادتهم. بحلول النفس تغير النظام. كل نظام له قاعدة لا تنتهك inviolate ولا تفنى immortal ولا تنظر invisible هذا الرمز الحى Self Symbol خلقت قبل الجسم فى عالم الذر وشهدت أنه لا إله إلا هو وتحل فى الجسد وتخرج منه وتعود إليه. ثم تبقى بعد موت الجسم الذى تحل فيه. وبذلك حلت مشكلة الخط المستقيم الذى لا يلتقى طرفاه أبداً إلى

حركة دائرية فتتم المراجعة الدائمة لأفعال النفس ومطابقتها بما يجب أن يكون وبذلك حلت أيضاً مشكلة المراجعة Self reference بل الإنسان على نفسه بصيرة وتحققت ضرورة المراقبة الداخلية والمراجعة الدائمة حتى تطمئن النفس على ذاتها فالنفس ذات وصفات الصفات غير السوية تعكر مرآة النفس فلا تتعرف على نفسها ولما انكر العلماء الماديين وجود شىء داخل المخ دائم غير مرئ قدروا ضرورة حدوث عمليات فى المخ تنتج النفس. ورفضوا ازدواجية العقل والمخ وأصروا على وحدتهما واستحال عليهم تفسير ظواهر محيرة مثل Telepathy التخاطب عن بعد سابق الرؤية لأفعال كأنها حدثت قبلاً isopraxic behavior أى التصرفات الفورَية المماثلة لأفراد لا تربطهم صلة ولا يجمعهم مكان واحد ووجدوا أن المخ يحتاج للعقل والعقل يحتاج للمخ فبحثوا داخل المخ عن هذه القوة المسيرة والمسيطرة فاستنتجوا وجودها ولم يأكدوه. وجدوا أنه بالعيش وحده لا يحيا الإنسان وأنك بالنفس لا بالروح إنسان. حاولوا فك الاشتباك بين العين والغين. بين العقل والغريزة. لاثبات أن المخ ليس خطأ فى التطور، وأننا لم نخلق عبثاً meaningle life. وأن للحياة معنى.

لكن هذه الآراء المخيفة اليائسة البائسة يرددها علماء كبار لأنهم فشلوا فى الإجابة عن سؤال واحد لماذا يتعاظم الشر وينجسر الخير والله والشيطان موجودان دائما وفى كل مكان؟ الشيطان يلبى طلبك فوراً ويسعدك دائماً والله يعدك بسعادة أخروية.

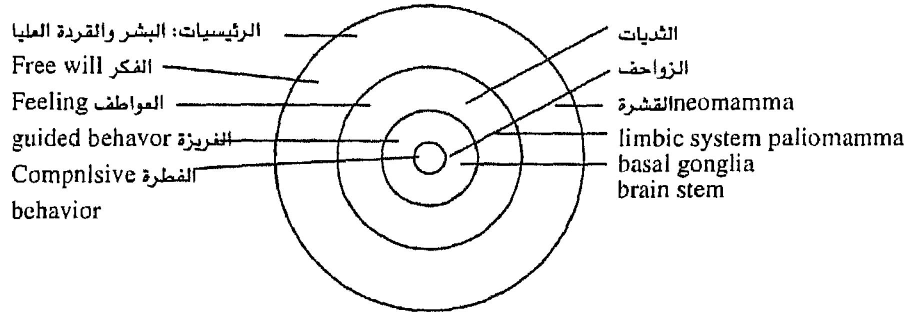
لو سمعنا مثل هذا السؤال فى المملكة الحيوانية لأجزناه وهو جائز أيضاً بين البشر. لكن كل من هو إنسان له أمل وله مستقبل والإجابة المجهولة عن هذا السؤال الصعب موجودة فى العقل الجمعى لكل الناس. فقط تحتاج إلى من يعثر عليها.

هل حضرت مؤتمراً للكلاب يناقشون فيه أوضاعهم الاجتماعية ويصنفون الكلاب الارستقراطية فى جانب الضالة فى المعارضة؟ هل حضرت مؤتمراً للحمير يدافعون فيه عن حكمة التمسك بـ ٥٠٪ حمار حصاوى و٥٠٪ حمار شغل؟ هل حضرت ندوة للزواحف أعلنت بيها الأفاعى تمردها على التصاقها بالأرض وحرمانها من التجول فى الفضاء؟ هل وجدت فى «دليل» جبلاية القرود عنوان الجمعية التى تحقق تطلعاتهم؟ هل وجدت قطة تستخدم المحمول للاتصال بعشيقها فى بلاد بعيدة لأن القطط فى المملكة المتحدة

طالبت بمنع دخول قطط الدول النامية وبخاصة السامية لأنها تعادى السامية مثلما منعت أسبانيا دخول السفينة المصرية التى تحمل ١٠٠٠ راكب وردتنا صيف عام ٢٠٠٠ لأننا لسنا من دول الاتحاد الأوروبى. أسبانيا التى حكمها العرب قروناً وأنشأوا فيها جنة الأندلس ومنارات العلم التى آنارت أوروبا فى العصور الوسطى، تمنعنا الآن المظلمة من دخول أرضها ناكرة للفضل والجميل. كما حدث فى الدين تكامل الأديان حدث فى التطور تكامل الرسالات لما نضج المخ كان لابد من التخلى عن الالحاد والوثنية وافتتاح قنوات فضائية نورانية للاتصال بين الخالق والمخلوق. لذلك تتابع مجىء الرسل موسى وعيسى ومحمد. لم ينسخ أحدهم ما اعتقده الناس من قبله. بل طوره ثم أكمله. أرسل الله موسى إلى أول الموحدين وأمده بالألواح والتوراة ثم أرسل عيسى إلى خراف بنى إسرائيل الضالة ولما احتدم الصراع بين اليهود واتباع المسيح جاء محمد ﷺ لينهى النزاع ويوحد كلمة الإنسان فى كل مكان وزمان على دين الله الواحد. نسخ القرآن مالم يعد يصلح من أحكام وكشف عن التحريف الذى تم بفعل المنتفعين، واحتضن الجميع معترفاً بحريتهم فى الاعتقاد بأى رأى مخالف فلا إكراه فى الدين وقال الله لاتباع عيسى على لسان محمد ﷺ ﴿جاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾ هذا هو رب موسى وعيسى ومحمد وإله كل المؤمنين به، هكذا اجتمعت كل العقائد فى كتاب واحد يستحيل تحريفه لأن الله تعهد بحفظه من أجل كل المؤمنين به، بعد أن صحح التحريف البشرى للتنزيل الإلهى.

المخ البدائى تطور إلى المخ الحالى دون إلغاء لوظيفة أو استبدال جهاز ليحل محل آخر بل ظلت الأجهزة القديمة كامنة وضامرة والوظائف القديمة مقهورة، لكنها قد تظهر إذا انفجرت بكبت أو ترعرعت بفجر «تحولت الوظائف من مجرد Pereption واستجابة Re-ponse تحول الكائن من مجرد Perceiver يأكل ليعيش ويتناسل ليبقى إلى كائن أرقى يتمتع بمخ قابل للاستقبال والإرسال وتطورت لغة العيون فأصبح الإنسان لا ينظر إلى الدنيا بعينه فقط بل يطل عليها من عينيه وليبصر مالا تراه عيناه. أنت تشاهد الفيلم السينمائى فترى مناظر متحركة حوادث متصلة، لكن الحقيقة أنها لقطات منفصلة ساكنة. تحركها آلة بسرعة مناسبة لتخدع عينيك فيتصور المخ الحركة ويصدق ذلك ترى الجبال تحسبها هامدة العين أيضاً قد ترى المتحرك ساكناً، العين هى نافذة المخ على

العالم. والمخ يمثل عربة يجرها جوادان ويقودها سائق يتحكم فيهما كما يقول أفلاطون أو أن جذعه يمثل شاسيه «سيارة سفينة طائرة» يحتاج لقيادة ثلاثية «سائق وقبطان وطيار» ليتحرك ويحدد له اتجاه السير لأن المخ يتكون من ٣ أجزاء مختلفة تماماً حفرياً وتشريحيا ووظيفياً لكنها متعاونة متكاملة.



هذه هى الوظائف المختلفة:

١ ـ السيطرة على وظائف الجسم الداخلية الحيوية اللازمة لبقاء الجسم كمادة حية والتعامل مع البيئة المحيطة.

٢ ـ للدائرة الأولى أضيفت الـ basal ganglia فتميزت الزواحف عما قبلها Reptilirn Stucturesr

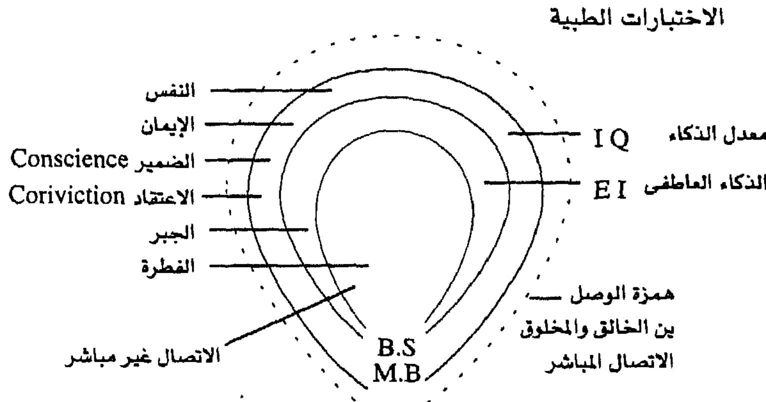
٣ ـ الدائرة الثانية أضيف الـ Limbic System وهو مكون من Cingnlate Gyrus المعبر Septnm اللوزه Amygbala وthalamns وهذا يتصل بالمهاد وتحت المهاد hypothalamns والمخ الأوسط Midbsal

٤ ـ الدائرة الثالثة أضيفت القشرة neocortex فظهرت الرئيسيات للوجود.

هذه التراكيب المعقدة جداً تبدو ثلاثية بينما هى فى الواقع الله وحده هو الواحد الأحد.

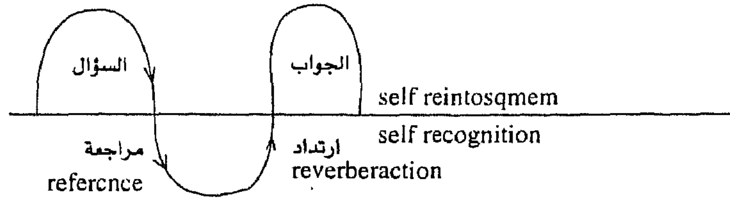
كل هذه الأنسجة المختلفة المترابطة تعمل كوحدة واحدةtriune brain وتتصل بالخالق بطريقة غير مباشرة تسبح بحمده ليرعاها. لكن ليتم اتصال الأرض بالسماء كان لابد من مرآة حية تغلف آلة العقل معجزة الخلق، المخ ثلاثة فى واحد آلة لكل البشر. لكن الإنسان

يختلف بحلول النفس الإنسانية من المحل الأرفع كائن نورانى مستقل عن المخ تتحد به وتنفصل عنه فبعد أن كانت علاقة الكائن الحى بخالقه جبر لا اختيار فيه Compulsive behavior تحولت إلى اعتقاد Conviction أى تصديق بدون وعى ولا حاجة لاثبات أو دليل وأخيراً إلى الإيمان Conscience الضمير حين أصبح الاعتقاد قضية علمية ومحاورة الخالق بشأن ما خلق ضرورة إنسانية وتحول الإيمان عند بعض الناس إلى يقين «أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى» اليقين ينبع من القلب يتدفق من عيون القلب وأنها لا تعمى الأبصار لكن تعمى القلوب التى فى الصدور هذا الفؤاد والعقل هما لب النفس الإنسانية التى هى قوى، لا يمكن وصفها ولا رسمها لأنها غير مرئية. هى التى حولت البشر من Homo erectus إلى الإنسان العاقل Homo sapiens

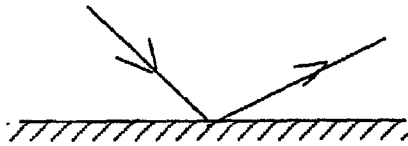


قدم العلماء كل الأدلة على أنه لولا هذا الأمخاخ الثلاثة مجتمعة ما كان ممكنا للبشر أن يعيش. لقد تطور المخ فى ملايين السنين من أجهزة بدائية إلى أجهزة أعقد وحين اكتمل التصميم الهندسى أصبح ممكنا حلول القائد الأعلى من السماء لتشغيل هذا الكمبيوتر الحى المعقد جداً ولإعادة برمجته حسب الظروف والأحوال ليتمكن المخ فى التفاهم المثمر مع كل الأجهزة والأجواء الداخلية الموروثة والحديثة، العتيقة والجديدة، وفى نفس الوقت التقاط إشارات السماء وقبول الفيض الإلهى. البشر يعيش والإنسان يحيا هذه الأجزاء المختلفة تتفاهم بالإشارات. كان لابد من استحداث سلاح للإشارة أكثر

تطوراً وتطوير الإشارة التى تنطلق ولا تعود التى تؤكد سوء المصير bad infinity إلى Self symbol مرآة حية تصدر الإشارة وتستقبلها وتبحث فيها وتراجعها وترتد إليها حاملة معلومات جديدة. تراجع الإشارة ثم ترتد لتعود مرة أخرى محملة ببيانات لترى النفس أفعالها وتحدث النفس نفسها فتأكد ذاتها وتقوى وتشتد Self reinforcement reverberation Self rosonance & Reverbration لا لتحقق بطريقة الدوائر المغلقة Closed Circuit التغذية المستمرة Feed Back بل كدائرة لولبية Strange loop.



لكى يلمع سطح المرآة الجامدة سواء كانت مسطحة أم كروية لابد أن يظلم السطح الآخر هذه المرآة السلبية لا تتفاعل أبداً مع الشىء الذى تعكسه سواء كانت مسطحة أم كروية Static reflection. أما النفس الإنسانية فهى مرآة حيوية. ولأنها قبس من نور الله فهى تحيط بالجسد الذى نشأ من الأرض. تحلُّ فيه وتَحِلُّ عنه. باطنها مثل ظاهرها. الظاهر والباطن يتفاعل مع ويسجل ما يراه بالداخل والخارج Dynamic reflection هذه النفس الإنسانية تختلف عن النفوس النباتية والحيوانية بأنها



تعدت مرحلة الفهم المادى النفعى الميكانيكى. فهى تملك القدرة على المواجهة والمراجعة. فالإنسان يخطط لمستقبله لأن عنده أمل. هذا التفاعل الانتقادى يمكنها من تطوير الفعل وتصحيح الخطأ وبناء الوعى Reflexive modernization. النفس سريان يقينا بأسى أنفسنا.

كيف يتم هذا؟ لا يمكن أن يتم أبداً بدون التفاهم مع المخ. العقل يحتاج للمخ والمخ يحتاج للعقل. وحديث النفس هو حديث مع الروح. مع ممثل الجسد الحى وهو المخ. لمطابقة ما هو كائن فيه بما يجب أن يكون. بالفطرة المسجلة الدستور المودع باللوح

المحفوظ بالمخ. والمخ هو آخر وأكمل وأجمل ما نفذه الرحم من الأمر الذى أودعه فيه ذكر وأنثى. فامتثل للأمر وأثمر المخ.

هذا هو حديث النفس «بل الإنسان على نفسه بصيرة» هذا هو التصوير الرياض للغز النفس. أما على المستوى المادى، على مستوى الجزيئات والجسيمات فهذه العمليات الحيوية تجرى بالرنين المغناطيسى والتذبذب والتردد الكهربائى.

تعددت العيون عيون القلب والعين القحفية فى قاع المخ وعيون النفس التى ترسل وتستقبل. نوافذ مفتوحة على العالم الداخلى للجسم الحى والبيئة المحيطة به وأصبح ممكنا الإيمان بوجود كائنات غيبية وقوى خفية وعوالم أخرى لا تراها العيون العادية. هذه الدائرة اللولبية البيولوجية biological strange loop لها مثيل مادى يمنح الكمال والجمال

١ ـ للمعادلات الرياضية

٢ ـ والنغم للموسيقى

٣ ـ ويبعث الحياة فى الأعمال الفنية الخالدة من تصوير أو نحت. ولما قد ثبتت الازدواجية فى الضوء أصل كل الكائنات وتأكد تماماً أنه يخضع للثنائية جسيمات وموجات وثبت أيضاً أن الحركة تخدع العين فتصور الساكن متحركاً وثبت أن الضوء له وزن وأنه ينحنى فى الفضاء ساجداً لربه. لكن العين تنخدع بالحركة البطيئة جداً للتطور وتظن خطأ أن ملايين الأنواع والأجناس خلقت خلقاً مستقلاً والحقيقة غير ذلك. فكل الكائنات نباتية وحيوانية بعضها من بعض. خلق مترابط أبدع تصميمه أحكم الحاكمين وأحسن الخالقين. ما تراه العين مختلفاً هو فى الحقيقة شىء واحد يؤكد وحدة الوجود. وقد أثبت عالم الرياضيات الشاب النمساوى أن أى قانون معقد يضعه البشر لتفسير ظاهرة بسيطة يحمل فى صلبه دليل نقصه وتناقضه مع نفسه ومع الواقع. أما قوانين الله البسيطة التى تفسر أعقد التكوينات فسحرها فى بساطتها ويحتاج الخلق لزمن طويل وجهد كبير لفهم أبسط القوانين.

كنت أتصور سابقاً أن الـ Soul تعنى الروح وSelf تعنى النفس ولكننى فوجئت أنهم فى أميركا لا يفرقون بين Self Soul Spirit Mind كلها مترادفات لمعنى واحد. هذا مفهوم

خطير ومـريك لمن يعلم جيـداً أن الروح شىء والنفس شىء آخـر ويدرك أهمـيـة التـفـرقـة بينهمـا. هـذا الكتـاب «لغـز المخ» يحاول بكل الطرق اثبات وحدة المخ والعقل Body/Soul Brain/Mind ويصطدم حين يفعل ذلك بالنتيجـة الحـتـمـيـة: أن الحـيـاة لا مـعنى لهـا meanigles life وأن تطور المخ خطيئـة a mistake of evolution. ولكل جواد كبوه لأن من يدعى هذا لم يستطع أن يجب عن سؤال بسيط كيف أن الرأى الذى ليس لـه كـتلة Mass ولا شرارة كهربائية ولا سرعة ولا أى صفة مادية يحرك المخ وهو مادة؟ لم يستطع تفسير لغة العيون وانفرط عقد العلماء حين اختلفوا على معنى الحياة وقيمتها. لم يدركوا أن انفعالات النفس حقيقية حتى لو لم تتمكن من الإمساك بها أو لمسها وتذوقها واخضاعها لتجارب فيزيائية لا شك أن هذا الكتاب الرائع العميق يحتاج لمن يترجمه. فأنا بالطبع عاجز عن الإقدام على هذه المغامرة لأنها فوق إمكانياتى اللغوية. لذلك ربما أكون قد أخطأت أحياناً أو تجاوزت أو قصرت أو أخفقت كل هذا أنا معترف به ولا يلومنى أحد عليه لكننى على الأقل اجتهدت لتفجير هذا اللغم فى عقر دار أطباء النفس لأكرههم على الكف عن النظر إلى المريض كسلعة وأسألهم ماذا قدموا للعلم غير المترجمات؟ وكيف نتوقع منهم ربط العلم بالدين إذا كان الوحى فى نظرهم هلوسه بصرية وسمعية لا وجود حقيقى له فإن أنكروا ذلك فعليهم أن يثبتوا عكسه. لقد يئست من الفقهاء لكننى لم أيأس من أطباء النفس وكفانا Folk Psycholosy علم النفس للعامة وبسطاء وربما يأتى اليوم الذى يصبح فيه هؤلاء وهؤلاء علماء بالمعنى الصحيح الصريح.

الفقه الشعبى والطب الإعلامى Folk Psychology

لقد أصدرت دار السلام للنشر فى باريس Le voyage de l'ame apres al mort ترجمة ليلى مبروك لكتاب الروح لابن القيم وابتدأته بترجمة الآية الكريمة ﴿.ويسألونك عن الروح..﴾.

(Ils te questionneront a propos de l'ame. dis l'ame le principe de la vie. Est de domaine de votre seigneur. vous n'avez recu a son sujet que peu de savoir)

ما تحته خط إضافة مضللة. هذه الترجمة غير الصادقة وهذا الخلط الجهول بين النفس والروح يحمل المسلمين العرب مسئولية جسيمة. بينما المسئول الأول هم مكلمنجية

السلطة الفقهية، والعجز المثير ولا مبالاة أطباء علم النفس، الذين تجاهلوا عامدين التفرقة الهامة بين النفس والروح. فى سبيل الحق وانتصار للدين والعلم، تجرأت على الدخول فى عش الدبابير رغم سابق علمى أن الفقهاء وأطباء النفس يملكون زمام الكلام ويحتكرون مقالاً يحجب شمس الحقيقة ويأسر عقل الأمة العربية بأسرها ويقيده.

أنا لا أستطيع بأى حال من الأحوال، أن أواجه عُصبة قوية من الفقهاء وأطباء النفس فهم يملكون قدراً هائلاً من اللغة وهم اهل علم ومعرفة بأصول الكلام الذى تستقبله وتثبته مجاناً أو بأجر جميع القنوات الإعلامية. إذ سألت هؤلاء أو هؤلاء عن ما هى النفس فى القرآن الكريم؟ ستسمع أو تقرأ لهما ردوداً متناقضة تماماً، الرد يجب أن يكون مقنعاً للعامة والخاصة وخاصة الخاصة إذا كانوا مؤمنين فعلاً أو قرع طبول جوفاء إذا كان هؤلاء أو هؤلاء مسلمين فقط، لا يعرفون حتى هذه اللحظة الفرق بين النفس والروح. كنا متفرجين، فاستدرجت الفقهاء وأطباء النفس إلى حلبة الملاكمة. خلعوا الأقنعة فانكشف المستور. القارىء الواعى هو الذى سيحكم بينهما، ولن يعلن الحكم فوز أحدهما. لأنه يصرع التعالى والغرور مثل الحق.

النتيجـــة

ضحك على الفقهاء. إبتدأت كتابى بالهجوم عليهم، وبشدة، وفى النهاية كان الفقيه هو الوحيـد الذى أجاب على السؤال الحاسم وفـاز بجـائزتى، وتفـوق على كـا منافسـيه من العلماء والفلاسفة. وأنا سعيد بذلك فخور به، لماذا؟ لأنه فقيه متطور. وهو المطلوب.

أستطيع أن أتخيل جيدا أنه لا تزال لديك أيها القارئ العزيز أسئلة كثيرة رغم أننا لم نستطع الوصول إلى إجابات مقنعـة لمعظم الأسـئلة التى راودتك. لكن هـذا الكتـاب مع تشابهـه المزعوم مع بعض مراجعه فإنه لا يتساوى فى المنزلة مع أى منها. ثمة تركيبة فى هذا الكتاب تقودكم على نحو لا يمكن إدراكه بالحس وبالذات منذ البداية إلى نوع جديد من الرؤية والإحتبار.

المراجـــع

١ - طبيعة الحياة فرانسيس كريك. د. أحمد مستجير عالم المعرفة

٢ - الجزيئات حاضرها ومستقبلها. مرجريت هايد . د . سى رمضان هداره. دار النهضة العربية

٣ - خلق الإنسان دراسة قرآنية علمية. د. عبد الفتاح طيرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب

٤ - الحقيقة، بحث فى الوجود. فايز محمود. مجلة العلوم البيروتية

٥ - ما أصل الإنسان؟ موريس بوكاى. مكتب التربية العربى لدول الخليج.

٦ - تاريخ النشوء. هويمارفون ديتفورت. محمود كبيبو. دار الحوار سوريا اللاذيقية

٧ - evolution. alec panchen. mind matters

٨ - الكتاب والقرآن. د. مهندس محمد شحرور. الأهالى. دمشق

٩ - الكون ذلك المجهول. جلال عبد الفتاح. الألف كتاب

١٠ - معنى الحياة والموت. ريتشارد شتايبتباخ. هى موسى. الحوار اللاذقية.

١١ - إنهم يصفون البشر. نانسى بكارد. زينب الصباغ. الألف كتاب

١٢ - لعبة الممكنات. فرانسوا جاكوب. أحمد صالح. الحصاد

١٣ - ومن كل شئ خلقنا زوجين. د. عب المحسن صالح. عكاظ

١٤ - من كل شئ موزون. د. عبد المحسن صالح. عكاظ

١٥ - الجنس وعلماء الإسلام. إبراهيم عيسى. مدبولى

١٦ - أبناء آدم من الجن والشياطين. مجمد منير أدلبى. الأهالى دمشق

١٧ - تطور الحياة. كاترين جاومن. معهد الإنما العربى

١٨ - دارون ونظرية التطور. شمس الدين آق بلوت. الصحوة

١٩ - قصة الحلقة المفقودة. اليانور كلايمر. دنيا العلم

٢٠ - قصة نشوء الكون. د. مخاقى الريس، د. على موسى دار دمشق

٢١ - ترجمة معانى القرآن الكريم. عبدالله يوسف على. دار الفكر.

الفهـــرس

مقدمـــة

قضية الخلق

التطور والترقى.. النشور والارتقاء

ترتيل الكائنات

الروح

النفس

التطور والترقى.. النشور والأرتقاء

ترتيل الكائنات

الروح

النفس

العلــم والإيمــان

سـيرورة التوحـيد

رحلــة خياليــة